ومضات السبط

عليه السلام

الجزء الاول

بسم الله الرحمن الرحیم

ومضات السبط عليه السلام

كاتب:

نبيل قدوری الحسنی

نشرت فی الطباعهٔ:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمی الناشر:

مركز القائمیهٔ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

ومضات السبط علیه السلام المجلد ۱

اشاره

رقم الإیداع فی دار الکتب والوثائق ببغداد

لسنه ۲۰۱۱ ۱۵۹

الفتلاوی، علی، ۱۹۶۰ - م.

ومضات السبط (ع): البعد العقائدی والأخلاقی فی خطب الإمام الحسین علیه السلام / تألیف علی الفتلاوی؛ تقدیم نبیل الحسنی - کربلاء: قسم الشؤون الفکریه والثقافیه فی العتبه الحسینیه المقدسه، ۱۴۳۲ق. = ۲۰۱۱م.

۲ ج. – (قسم الشؤون الفکریه والثقافیه فی العتبه الحسینیه المقدسه؛ ۵۳)

المصادر.

۱. الحسین بن علی (ع)، الإمام الثالث، ۴ – ۶۱ق. – الخطب – دراسه وتعریف. ۲. الحسین بن علی (ع)، الإمام الثالث، ۴ – ۶۱ق. – نظریه فی العقائد . ۳. الحسین بن علی (ع)، الإمام الثالث، ۴ – ۶۱ق. نظریه فی الأخلاق الإسلامیه. ۴. واقعه کربلاء، ۶۱ق. – أسباب ونتائج. ۵. أهل البیت (ع) – فضائل. ۶.الحسین بن علی (ع)، الإمام الثالث، ۴ – ۶۱ق. الخطب – اللغه. ۷. الحسین بن علی (ع)، الإمام الثالث، ۴ – ۶۱ق. أصحاب. ألف. الحسنی، نبیل، ۱۹۶۵ - م.، مقدم. ب. العنوان. ج.العنوان: البعد العقائدی والأخلاقی فی خطب الإمام الحسین علیه السلام

BP ۴۱ / ۷ / ف۲ و۸

تمت الفهرسه فی مکتبه العتبه الحسینیه المقدسه قبل النشر

ص: ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم

ومضات السبط

البعد العقائدی والأخلاقی

فی خطب الإمام الحسین علیه السلام

تألیف الشیخ علی الفتلاوی

الجزء الأول

إصدار

قسم الشؤون الفكریه والثقافیه

فی العتبه الحسینیه المقدسه

وحده الدراسات التخصیصه فی الامام الحسین صلوات الله وسلامه علیه

ص: ۴

الطبعه الأولی

۱۴۳۳ه ۲۰۱۲م

العراق: کربلاء المقدسه العتبه الحسینیه المقدسه

قسم الشؤون الفکریه والثقافیه هاتف: ۳۲۶۴۹۹

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمه الشعبه الدراسات والبحوث

الحمـد لله على ما أنعم وله الشـكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسـبوغ آلاء أسداها وتمام منن والاها، جم عن الاحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدها وتفاوت عن الإدراك أبدها.

والصلاه والسلام على خير الأنام وكاشف الظلام وعلى آله الهداه إلى الإسلام وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

لم يزل الإمام الحسـين عليه السـلام منهلًا عذباً لأصـحاب الفكر والتأمل وموردًا خصـباً لأهل البحث والتدقيق والدراسه، تحل فى فناء روضـته العلماء وتغدوا إلى درسه الأجلاء، فهم بين مسـتمع ومفكر ومتعلم قد تزاحمت ركبهم فى محضره وتناسقت الأنفاس بمجلسه حتى كأن الطير على رؤوسهم.

من هنا:

نلمس ان عطاء المعين النبوى لا ينفد والفكر الحسينى لا يتوقف حتى كان الناظر إلى هذا العطاء يخال نفسه واقفاً أمام نواه الحياه ومشدوداً إلى سخاء الشمس ونورها، فما طعم العيش والمرء معصوب العينين عن كلام ابن بنت سيد النبيين وأبو الأئمه الميامين.

من هنا أيضاً:

انبری سماحه حجه الإسلام الشیخ علی الفتلاوی دام توفیقه إلی الارتحال إلی معین أبی الأئمه ومرفئ العلم، ومنبع الدمعه لترسو به الوسیله إلی بحر من بحور النبوه لیغرف من لئالئ بحر الخلق النبوی وجواهر بحر التوحید العلوی فیضعها فی کتابه الموسوم «ومضات السبط علیه السلام» کی یزدان بها المؤمن ویختزنها المتأمل ویتزودها المتقی.

فَإِنَّ خَیْرَ الزَّادِ التَّقْوَی

وسیجد القارئ أن الکتاب مشبع بالأحادیث الشریفه والآیات الکریمه، والنکت العلمیه الظریفه، ففضیله الشیخ یمیل إلی بهذا اللون من الکتابه الذی یعتمد سلاسله العباره وغزاره المعلومه ومخاطبه کل الفئات حتی کأنک تخال نفسک فی واحه من ریاحین علوم آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم.

إذ لا یخفی علی اللبیب ما للبعد الأخلاقی والعقائدی من الریاده فی المکتبه الإسلامیه وما له من الحظوه عند علماء الإمامیه حتی ملئوا المکتبات بهذا النتاج الفکری.

نسأل الله القبول والخلف علی باذل هذا الجهد فإنه خیر زاد لیوم المعاد.

السید نبیل الحسنی

مسؤول شعبه الدراسات والبحوث الإسلامیه

فی العتبه الحسینیه المقدسه

مقدمه المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رزقنا موالاه محمد وآل محمد والذى دلنا على هداهم فأنعم علينا بنعمه ولايتهم، وأنار عقولنا بنور كلامهم، وطمأن نفوسنا بإتباع نهجهم، والصلاه والسلام على السراج المنير والبشير النذير وعلى آله الأخيار والأئمه الأبرار لاسيما سفينه النجاه ومصباح الهدى سيد الشهداء ورمز الفداء الإمام الحسين عليه السلام.

أما بعد:

لقد أطلعنا على كتب كثيره تعنى بشخص الإمام السبط عليه السلام وصفاته وثورته وجهاده ومواقفه وكلامه ورسائله وخطبه وكتبه ونصائحه، إلاـ أننا لم نعثر بعد تفتيش وفحص دقيقين على شروح تتناسب وكثره ما تفوه به سيد شباب أهل الجنه عليه السلام إلا أن هناك بعض المؤلفات التى تعد على أصابع اليد الواحده قد سلطت الضوء على بعض أقواله بشكل موجز ونافع، فرأينا من الواجب علينا أن نضيف تأليفا على ما سبق من المؤلفات، كما ندعوا أن يتصدى غيرنا لإضافه تأليفات أخرى ليتناسب ذلك مع ما صدر من كلام لإمامنا الحسين عليه السلام، سيما أن المكتبه الإسلاميه بحاجه إلى إصدارات تشرح خطب ومواعظ الإمام السبط عليه السلام وتسلط الأضواء على الأبعاد الفقهيه والعقائديه والأخلاقيه فضلا عن الأبعاد الأخرى فى كلامه الشريف.

ومن هـذا المنطلق أخـذنا على عاتقنا بيان البعـدين العقائـدى والأخلاقى فى خطبه فقط دون سائر أقواله، وبيان المعنى اللغوى فى هذه الخطب ليتسنى لمن يريد الاستفاده منها منبريا أو ثقافيا.

ولكى تسـهل الإحـاطه بنصوص الخطبه ومعانيهـا، وتيسـير الاطلاـع على البعـدين العقائـدى والأخلاقى فيها ارتأينا أن نـذكر نص الخطبه أولا ثم نبـدأ شـرح الخطبه ببيان المعنى اللغوى لكل فقره تحتاج إلى بيان ثم نتعرض إلى بيان البعـد العقائـدى فى الخطبه ويتلو ذلك بيان البعد الأخلاقى فيها.

الشيخ على الفتلاوى

ص: ۹

الخطبه الأولى: فى التوحيد

اشاره

نص الخطبه

اشاره

«أيّها النّاس، اتَّقُوا هؤُلاءِ المارِقَهَ الَّذِينَ يُشَبِّهُوَن اللهَ بِأنْفُسِهِمْ، يُضاهِئونَ(۱) قَولَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهلِ الكِتابِ، بَلْ هُوَ اللهُ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَیءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصيرُ، لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ وَهُوَ الخَبِيرُ.

استَخلصَ الوَحدانِيَّهَ والجَبَرُوتَ، وأمضَى المَشِيئَهَ والإرادَهَ والقُدرَهَ والعِلمَ بما هُوَ كائِنٌ، لا مُنازِعَ لَهُ فی شَیءٍ مِنْ أمرِه، ولا كُفءَ لَهُ يُعادِلُهُ، وَلا ضِدَّ لَهُ يُنازِعُهُ، ولا سَمِّی لَهُ يُشابِهُهُ، ولا مِثْلَ لَهُ يُشاكِلُهُ، لا تَتَداولُهُ الأُمورُ، ولا تَجری عَلَيهِ الأحْوالُ، ولا تَنزِلُ عَلَيهِ الأحْداثُ، ولا يَقدِرُ الواصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِه، ولا يَخطُرُ عَلى القُلُوبِ مَبلَغُ جَبَرُوتِهِ، لأنَّه لَيسَ لَهُ فی الأشْياءِ عَدِيلٌ، ولا تُدرِكُهُ العُلَماءُ بِألبابِها، ولا أهلُ التَّفكِيرِ بِتَفكِيرِهِمْ إلاّ بِالتَّحقِيقِ(۲) إيقاناً بِالغَيبِ، لأنَّهُ لا يُوصَفُ بِشَیءٍ مِن صِفاتِ المَخلوُقِينَ، وَهُوَ الواحِدُ الصَّمَدُ، ما تَصَوَّرَ فی الأوهامِ فَهُوَ خِلافُهُ، لَيسَ بِرَبٍّ مَنْ طُرِحَ تَحْتَ البَلاغِ، وَمَعْبُودٍ مَن وجِدَ فی هواءٍ أو غَيرِ هَواءٍ، هُوَ فی الأشْياءِ كائِنٌ لا كَينُونَهَ مَحظُورٍ(۳) بِها عَلَيهِ، وَمِنَ الأشْياءِ بائِنٌ لا بَينُونَهَ

۱- ضاهأه: شابهه، وفعل مثل فعله.

۲- اللّبُّ: العقل. والتحقيق: التصديق.

۳- المحظور: الممنوع.

غائبٍ عَنها، لَيسَ بِقادِرٍ مَن قارَنَهُ ضِدٌّ أوْ ساواهُ نِدٌّ، لَيسَ عَن الدَّهرِ قِدَمُهُ ولا بِالنّاحِيهِ أمَمُهُ(۱)، احتَجَبَ عَنِ العُقُولِ كَما احتَجَبَ عَنِ الأبصار، وعَمَّنْ فى السَّماءِ احتِجابُهُ كَمَنْ فى الأرضِ، قُربُهُ كَرامَتُهُ وبُعده أهانَتُهُ، لا تُحلّهُ (فى) ولا تُوَقِّتُهُ (إذ) ولا تُؤامِرُهُ (إنْ)، عُلُوُّهُ مِنْ غَيرِ تَوَقُّلٍ(۲)، وَمَجيئُهُ مِنْ غَيرِ تَنَقُّلٍ، يُوجِدُ المفقُودَ ويُفْقِدُ المَوجُودَ، ولا تَجتمِعُ لِغَيرِهِ الصِّفَتانِ فى وَقتٍ، يُصِيبُ الفِكرُ مِنْهُ الإيمانَ به مَوجُوداً وَوُجُودُ الإيمانِ لا وُجُودُ صفهٍ، به تُوصَفُ الصِّفاتُ لا بِها يُوصَفُ، وبِه تُعرَفُ المعَارِفُ لا بِها يُعرَفُ، فَذلِكَ اللهُ لا سَمِيَّ لَهُ، سُبحانَهُ لَيسَ كَمِثْلِه شَیءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البصيرُ».

المعنی العام

(أيّها النّاس، اتَّقُوا هؤُلاءِ المارِقَهَ الَّذِينَ يُشَبِّهُوَن اللهَ بِأنْفُسِهِمْ، يُضاهِئونَ قَولَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهلِ الكِتابِ).

وجه الإمام الحسین علیه السلام خطابه إلی عامه الناس سواء کانوا موالین أو غیر موالین، أرشدهم فیه إلی التحرز والتحذر من فئه خرجت من الدین کما خرج السهم من الرمیه (أی مرقت) خرجت بسرعه کما یمرق السهم من القوس، وما کان هذا التحذیر إلا لانحرافهم عن التوحید حیث إنهم یشبهون ویمثلون الله تعالی بخلقه، فقولهم هذا یشابه قول الکافرین من أهل الکتاب.

(بَلْ هُوَ اللهُ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَیءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصيرُ، لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ وَهُوَ الخَبِيرُ).

ویردف الإمام علیه السلام قوله بقوله إن الله تعالی الذی احتارت فیه عقول العقلاء لا یمکن أن یشابه شیئا من خلقه، فهو محیط بالأسماع والمسموعات والأبصار

۱- النّد: المثل والنظیر. وأممه: قصده.

۲- تَوَقَّلَ فی الجبل: صعد فیه.

والمبصرات، وممتنع على إدراك وإحاطه أبصار خلقه، وهو (اللطيف) الرفيق بعباده (الخبير) والعالم والعارف بكل صغيره وكبيره من خلقه.

(استّخلصَ الوَحدانِيَّةَ والجَبَرُوتَ، وأمضَى المَشِيئَةَ والإرادَةَ والقُدرَةَ العِلمَ بما هُوَ كائِنٌ).

اختص الله سبحانه بأنه قاهر منفرد بقهاريته، وأنفذ الحكم والقدره والعلم بالأشياء.

(لا مُنازِعَ لَهُ فى شَىءٍ مِنْ أمرِه، ولا كُفءَ لَهُ يُعادِلُهُ، وَلا ضِدَّ لَهُ يُنازِعُهُ، ولا سَمِّى لَهُ يُشابِهُهُ، ولا مِثْلَ لَهُ يُشاكِلُهُ).

لا ـ معطل ولا مفسد ولا مخاصم لما أراد هو سبحانه فى خلقه، ولا نظير له ولا مساوى يعادله، ولا مخالف له يخالفه أو يخاصمه ويمنعه، ولا يوجد من اسمه اسم الله تعالى لعدم انطباق الاسم على المسمى فى المخلوق، ولا نظير له يماثله ويشابهه.

(لا تَتَداوَلُهُ الأُمورُ، ولا تَجرى عَلَيهِ الأحْوالُ، ولا تَنزِلُ عَلَيهِ الأحْداثُ، ولا يَقدِرُ الواصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِه، ولا يَخطُرُ عَلى القُلُوبِ مَبلَغُ جَبَرُوتِهِ، لأنَّه لَيسَ لَهُ فى الأشْياءِ عَدِيلٌ، ولا تُدرِكُهُ العُلَماءُ بِألبابِها، ولا أهلُ التَّفكِيرِ بِتَفكِيرِهِمْ إلاّ بِالتَّحقِيقِ إيقاناً بِالغَيبِ، لأنَّهُ لا يُوصَفُ بِشَىءٍ مِن صَفاتِ المَخلوُقِينَ، وَهُوَ الواحِدُ الصّمَدُ، ما تُصُوِّرَ فى الأوهامِ فَهُوَ خِلافُهُ).

لا ـ تحوّله الأحوال من حال إلى حال، ولا ـ تقع أو تتوالى عليه الأحوال والتغيرات، ولا ـ تهبط أو تهطل عليه الأمطار، ولا يحيط الواصفون بقدر عظمته ولا يقع أو يمر فى القلوب منتهى قاهريته وقدرته، لأن ليس له فى الخلق مثيل أو نظير، ولا تعرفه أو تعقله العلماء بعقولها وبصائرها، ولا يحيط به الذين يفكرون أى الذين يحلون العقل فى المعلوم ليصلوا إلى المجهول وهم أهل النظر والتأمل إلا أنهم يعرفونه من خلال

التصديق بالغيب والإيقان به، لأنه لا ينعت بنعوت المخلوقين، وهو الفرد الذى يقصد فى الحاجات دون سواه، وما تشبه من صوره وما وقع فى الذهن من خاطر فهو خلافه وليس من الحقيقه بشیء.

(لَيسَ بِرَبٍّ مَنْ طُرِحَ تَحْتَ البَلاغِ، وَمَعْبُودٍ مَن وجِدَ فى هواءٍ أو غَيرِ هَواءٍ).

ليس بمدبر ومربى للخلائق من ألقى أو وضع تحت الشجر، وليس له حق العباده من وجد فى ريح أو غيره.

(هُوَ فى الأشْياءِ كائِنٌ لا كَينُونَهَ مَحظُورٍ بِها عَلَيهِ، وَمِنَ الأَشْياءِ بائِنٌ لا بَينُونَهَ غائبٍ عَنها، لَيسَ بِقادِرٍ مَن قارَنَهُ ضِدٌّ أوْ ساواهُ نِدٌّ).

أى أنه سبحانه موجود وحاضر فى الأشياء دون أن يكون حادثا بحدث كما فى الخلائق لامتناع ذلك عليه ولجريانه فى الممكنات فقط، وهو مبتعد ومنفصل عن الأشياء لا ابتعاد غائب عنها كما فى الممكنات، وليس بقادر من كان له قرين يخالفه أو نظير يساويه.

(لَيسَ عَنِ الدَّهرِ قِدَمُهُ ولا بِالنّاحِيهِ أَمَمُهُ، احتَجبَ عَنِ العُقُولِ كَما احتَجَبَ عَنِ الأبصار، وعَمَّنْ فى السَّماءِ احتِجابُهُ كَمَنْ فى الأرضِ، قُربُهُ كَرامَتُهُ وبُعده أهانَتُهُ، لا تُحلّهُ (فى) ولا تُوَقِّتُهُ (إذ) ولا تُؤامِرُهُ (إنْ)).

استتر عن العيون النواظر، واستتر عن أهل السماء كما عن أهل الأرض، دنوه من العبد يظهر فى إكرامه له ونأبه وبعده يظهر فى احتقاره أو استضعافه، واستخدم الإمام عليه السلام أدوات لغويه، (فى) تشير إلى رفض حلوله فى الأشياء أى غير متحد مع شیء أو داخل فيه، (وإذ) تشير إلى رفض جريان الزمن عليه، (وإن) إشاره إلى امتناع كونه مأمورا.

(عُلُوُّهُ مِنْ غَيرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيرِ تَنَقُّلٍ، يُوجِدُ المفقُودَ ويُفْقِدُ المَوجُودَ، ولا تَجتمِعُ لِغَيرِهِ الصِّفَتانِ فى وَقتٍ).

ارتفاعه من غير صعود، واقدامه وإتيانه من غير حركه وانتقال، يخلق ما لم يكن، ويفنى ما كان، وهاتان الصفتان لا يأتى بها أحد فى آن واحد إلا الله تعالى.

(يُصِيبُ الفِكرُ مِنْهُ الإيمانَ به مَوجُوداً وَوُجُودُ الإيمانِ لا وُجُودُ صفهٍ).

لا يحصل الفكر منه إلا الإيمان به موجودا حاضرا شاهدا وهذا الإيمان الموجود فى الفكر حقيقه لا شك فيها.

(بِه تُوصَفُ الصِّفاتُ لا بِها يُوصَفُ، وبِه تُعرَفُ المعَارِفُ لا بِها يُعرَفُ، فَذلِكَ اللهُ لا سَمِيَّ لَهُ، سُبحانَهُ لَيسَ كَمِثْلِه شَىءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البصيرُ).

بالله تعالى تنعت النعوت وليست هى التى تثبت له نعتا، وبه تعالى تعرف العلوم والمعارف وليست هى التى تعرّفه وتشبه، فهذا الموجود المحير للعقول الذى تكلمت عنه هو الله تعالى الذى ينفرد بهذا الاسم والذى ينطبق فى اسمه الاسم على المسمى، تنزه عن كل نقص ليس له نظير يشابهه، وهو المحيط بالمسموعات والمبصرات.

التحذير من الفكر المنحرف

(أيّها النّاس، اتَّقُوا هؤُلاءِ المارِقَهَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللهَ بِأنْفُسِهِمْ، يُضاهِئونَ(١) قَولَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهلِ الكِتابِ).

حذر الإمام المعصوم عليه السلام الأمه من الانجرار وراء الأفكار الضاله البعيده عن سبيل الله تعالى وأرشد إلى التحرز من ترويجها وبثها وتبنيها بل حث الأمه على رفض أصحاب هذه الأفكار ومقتهم وعدم مخالطتهم والاقتراب منهم لخطوره ما ينطقون به من ترهات إذ إنهم يجعلون الله تعالى كأحدهم من خلال تشبيهه تعالى بأنفسهم ومن خلال فهمهم الخاطئ والقاصر لآيات القرآن الكريم والجمود على ظواهر

١- ضاهأه: شابهه، وفعل مثل فعله.

هذه الآيات وتعطيل دور العقل فی الوصول إلی الحقائق، فنراهم یقولون بالرؤیه البصریه ویقولون بوجود ید لله تعالی أو رجل أو صوره ویجعلون له أبعاداً من طول وعرض وحجم وکتله فی الوقت الـذی یرفض القرآن الکریم هـذا الفهم الخاطئ کما فی قوله تعالی:

(لَا تُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصَارَ) (۱).

وقوله تعالی:

(لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ) (۲).

الشبه بین المارقین وبین الکافرین

بعد أن أوردنا جهل وکفر أهل الکتاب الـذین شبهوا الله تعالی بأنفسهم، صار لزوما علینا أن نبیّن وجه الشبه بین قول المارقه الـذین ذمهم الإمام علیه السلام وبین قول الکافرین من أهل الکتاب الـذین کفروا لتشبیههم الله تعالی بخلقه، ولکی یتضح هـذا الأمر نورد هذا التشابه فی أقوال الفریقین:

ورد فی التوراه فی سفار الملوک الأول: الإصحاح الثانی والعشرون /۱۹:

(قد رأیت الربّ جالساً علی کرسیّه وکلّ جند السماء وقوفٌ لدیه عن یمینه وعن یساره، فقال الربّ من یغوی أخآب فیصعد ویسقط فی راموت جلعاد...)(۳).

وورد فی إنجیل یوحنا: الإصحاح العاشر /۳۸:

(إن کنت لست أعمل أعمال أبی فلا تؤمنوا بی، ولکن إن کنت أعمل فإن لم تؤمنوا بی فآمنوا بالأعمال لکی تعرفوا وتؤمنوا أن الأب فیّ وأنا فیه...).

۱- سوره الأنعام، الآیه: ۱۰۳.

۲- سوره الشوری، الآیه: ۱۱.

۳- الفوائد البهیه: ص۱۳۴.

وورد فی صحیح البخاری:

حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِی هُرَیْرَهَ رَفَعَهُ وَأَکْثَرُ مَا کَانَ یُوقِفُهُ أَبُو سُفْیَانَ: (یُقَالُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِیدٍ فَیَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَکَ وَتَعَالَی قَدَمَهُ عَلَیْهَا فَتَقُولُ قَطِ قَطِ)(۱).

وورد أیضا فی صحیح البخاری:

حَدَّثَنَا شُعْبَهُ، عَنْ قَتَادَهَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِیِّ صلی الله علیه وآله وسلم قَالَ: (یُلْقَی فِی النَّارِ).

وَقَالَ لِی خَلِیفَهُ حَدَّثَنَا یَزِیدُ بْنُ زُرَیْعٍ حَدَّثَنَا سَعِیدٌ، عَنْ قَتَادَهَ، عَنْ أَنَسٍ، وَعَنْ مُعْتَمِرٍ سَمِعْتُ أَبِی عَنْ قَتَادَهَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِیِّ صلی الله علیه وآله وسلم قَالَ:

(لاَ یَزَالُ یُلْقَی فِیهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِیدٍ، حَتَّی یَضَعَ فِیهَا رَبُّ الْعَالَمِینَ قَدَمَهُ فَیَنْزَوِی بَعْضُهَا إِلَی بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ قَدْ قَدْ بِعِزَّتِکَ وَکَرَمِکَ، وَلاَ تَزَالُ الْجَنَّهُ تَفْضُلُ حَتَّی یُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَیُسْکِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّهِ)(۲).

وورد أیضا:

حَدَّثَنَا أَبِی، عَنْ صَالِحِ بْنِ کَیْسَانَ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِی هُرَیْرَهَ، عَنِ النَّبِیِّ صلی الله علیه وآله وسلم قَالَ:

(اخْتَصَمَتِ الْجَنَّهُ وَالنَّارُ إِلَی رَبِّهِمَا فَقَالَتِ الْجَنَّهُ یَا رَبِّ مَا لَهَا لاَ یَدْخُلُهَا إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ یَعْنِی أُوثِرْتُ بِالْمُتَکَبِّرِینَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَی لِلْجَنَّهِ أَنْتِ رَحْمَتِی، وَقَالَ لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِی أُصِیبُ بِکِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِکُلٍّ وَاحِدَهٍ مِنْکُمَا

۱- صحیح البخاری: ج۱۶، ص۱۵۳، ح۴۸۴۹.

۲- صحیح البخاری: ج۲۴، ص۲۱۶، ح۷۳۸۴

مِلْؤُهَا قَالَ فَأَمَّا الْجَنَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقَوْنَ فِيهَا فَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلاَثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولَ قَطْ قَطْ قَطْ)(١).

فبعد هذا التشابه بين أقوال الذين كفروا من أهل الكتاب وبين أقوال الشبه المارقين تبين ضروره الحيطه والحذر التى أمر بها الإمام عليه السلام الناس من الوقوع تحت تأثير هؤلاء المارقه.

ما هو التشبيه؟

التشبيه فى اللغه: التمثيل، تشابه الشيئان أشبه كل منها الآخر(٢).

التشبيه فى الاصطلاح: هو تشبيه ذات الله تعالى بشيء من مخلوقاته.

نشأت فكره التشبيه عند ظهور أحاديث التشبيه التى بدأت فى عهد عمر بن الخطّاب واشتد انتشارها فى عهد الدوله الأمويه لأغراض سياسيه إذ إنها لم تكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى عهد أبى بكر بدليل الروايات الآتيه:

(ورد فى تنبيه الخاطر: روى عن ابن عباس أنه حضر مجلس عمر بن الخطاب يوما وعنده كعب الأحبار إذ قال عمر: يا كعب! أحافظ أنت للتوراه؟

قال كعب: إنى لأحفظ منها كثيرا، فقال رجل من جنبه: يا أمير المؤمنين! سله أين.

كان الله جل جلاله قبل أن يخلق عرشه؟ ومم خلق الماء الذى جعل عليه عرشه؟ فقال عمر: يا كعب! هل عندك من هذا علم؟

١- صحيح البخارى: ج٢٤، ص٣٠١، ح٧٤٤٩.

٢- المعجم الوسيط: ص ٤٧١.

فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين! نجد فى الأصل الحكيم أن الله تبارك وتعالى كان قديما قبل خلق العرش، وكان على صخره بيت المقدس فى الهواء، فلما أراد أن يخلق عرشه تفل تفله كانت منها البحار الغامره واللجج الدائره، فهناك خلق عرشه من بعض الصخره التى كانت تحته، وآخر ما بقى منها لمسجد قدسه.

قال ابن عباس: وكان على بن أبى طالب عليه السلام حاضرا.. فعظم ربه وقام على قديمه، ونفض ثيابه، فأقسم عليه عمر عاد إلى مجلسه، ففعل.

قال عمر: غص عليها يا غواص، ما يقول أبو حسن فما علمتك إلا مفجرا للغم؟ فالتفت على عليه السلام إلى كعب فقال:

«غلط أصحابك وحرفوا كتب الله، وقبحوا الفريه عليه، يا كعب! ويحك! إن الصخره التى زعمت لا ـ تحوى جلاله، ولا ـ تسع عظمته، والهواء الذى ذكرت لا يجوز أقطاره، ولو كانت الصخره والهواء قديمين معه لكانت لهما قدمته، وعز الله وجل أن يقال له مكان يومى إليه، والله ليس كما يقول الملحدون، ولا كما يظن الجاهلون، ولكن كان ولا مكان بحيث لا تبلغه الأذهان.

وقولى: (كان) لتعريف كونه، وهو مما علم من البيان، يقول الله عزّ وجل:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (١).

فقولى له كان مما علمنى البيان لأنطق بحجه عظمه المنان، ولم يزل ربنا مقتدرا على ما يشاء، محيطا بكل الأشياء، ثم كون ما أراد بلا فكره حادثه له أصاب، ولا بشبهه دخلت عليه فيما أراد، وإنه عز وجل خلق نورا ابتدعه من غير شىء، ثم خلق منه ظلمه وكان قديرا أن يخلق الظلمه لا من شىء، كما خلق النور من غير شىء، ثم خلق من الظلمه نورا وخلق من النور ياقوته غلظها

١- سوره الرحمن، الآيتان: ٣ و٤.

كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، ثم زجر الياقوته فما عت لهيبته فصارت مارا مرتعدا، ولا يزال مرتعدا إلى يوم القيامه، ثم خلق عرشه من نوره، وجعله على الماء، وللعرش عشره آلاف لسان يسبح الله كل لسان منها بعشره آلاف، ليس فيها لغه تشبه الأخرى، وكان العرش على الماء من دونه حجب الضباب، وذلك قوله:

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (١).

يا كعب! ويحك! إن من كانت البحار تفلته على قولك كان أعظم من أن تحويه صخره بيت المقدس، أو يحويه الهواء الذى أشرت إليه أنه حل فيه..»

فضحك عمر بن الخطاب، وقال: هذا هو الامر، وهكذا يكون العلم لا كعلمك يا كعب، لا عشت إلى زمان لا أرى فيه أبا حسن)(٢).

ففى هذه الروايه يظهر أن عمر بن الخطاب هو من سمح لأفكار اليهود أن تدخل إلى الأمه الإسلاميه من خلال روايه كعب الأحبار عما فى التوراه، كما أن اعتراض أم المؤمنين عائشه على من يقول برؤيه الله تعالى فيه دلاله على أن الثقافه السائده لم تكن تؤمن برؤيه الله تعالى بل أن ثقافه الرؤيه لم تكن سائده أو منتشره فى عصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو فى خلافه أبى بكر وإلّا لسمحت بها أم المؤمنين عائشه ولتبنت فكرتها ودافعت عنها، ولكن ما يظهر من الروايه الآتيه لا يشير إلى ذلك.

جاء فى صحيح البخارى (حدّثنا عبدان، عن أبى حمزه، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن أبى موسى الأشعرى قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

١- سوره هود، الآيه: ٧.

٢- بحار الأنوار للعلامه المجلسى: ج٣٦، ص٢٢٢، ح٦.

«ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثمّ يعافيهم ويرزقهم»(۱).

أن التشبيه والتجسيم انتشر فى الشام بل عملت الشام بقوه على نشره، ومما يدل على ذلك هذه الروايه التى يذكرها الشيخ الصدوق فى كتاب التوحيد.

عن أسد بن سعيد النخعى، قال: (أخبرنى عمرو بن شِمْر، عن جابر بن يزيد الجُعْفى، قال: قال محمّد بن علىّ الباقر عليهما السلام:

«يا جابر ما أعظم فِرْيه أهل الشام على الله عزّ وجلّ، يزعُمون أنّ الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صَخْرَه بيت المَقْدِس(۲) ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حَجَرَه(۳) فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتّخذه مصلّى يا جابر إنّ الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه، تعالى عن صفه الواصفين، وجلّ عن أوهام المتوهّمين، واحتجب عن أعين الناظرين لا يزول مع الزائلين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم»(۴).

التشبيه محال عقلاً

يتفق العقل مع الشرع على رفض التشبيه وإبطال التجسيم لما فيهما من جرأه على خالق الخلق ومدبر الأكوان ورب الأرباب، ولما فيهما من تحديد اللامحدود وافقار للغنى المطلق، وجعل واجب الوجود ممكنا ضعيفا تعتريه الحوادث والمتغيرات وتحيط به الأماكن والأبعاد، وحيث إننا نريد أن نظل على قول العقل فى تشبيه المخلوق بالخالق وتشبيه الممكن بالواجب وتحويل الإله الغنى المطلق إلى فقير محتاج.

۱- صحيح البخارى: ج۶، ص۲۶۸۷، باب قول الله تعالى: (إنّ الله هو الرزاق ذو القوه المتين)، ح۶۹۴۳.

۲- المقدّم والتالى كلاهما مزعومهم الباطل.

۳- هو إبراهيم النبىّ على نبيّنا وآله وعليه السلام وضع قدمه على حجره فى مكّه حين تفقد عن ابنه اسماعيل لتغسلها زوجته فبقى فيها نقش منها، وهى الآن فى المحلّ المعروف بمقام إبراهيم عليه السلام قرب الكعبه، وقصّته طويله تطلب من مظانّها.

۴- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص۱۷۴ ،۱۷۵، ح۱۳.

فنقول: اتفق أهل الاختصاص على أن العقل يدرك أن المعقول إمّا أن يصح اتصافه بالوجود الخارجى أو لا، والذى يصح اتصافه بالوجود إمّا واجب أو لا، فالذى لا يصح اتصافه بالوجود الخارجى هو ممتنع الوجود، والذى يصح اتصافه بالوجود الخارجى يكون على قسمين: واجب الوجود وممكن الوجود، وواجب الوجود ما كان وجوده واجبا بذاته لذاته أى لا يحتاج فى وجوده إلى غيره بل أن وجوده من ذاته بذاته وهذا هو الله تعالى لا غير، وأمّا ممكن الوجود من كان وجوده بغيره، أى يحتاج فى وجوده إلى غيره فيكون حينئذ وجوده متساوى النسبه إلى الوجود والعدم فيحتاج إلى موجود يوجده فإمّا أن يكون الموجد للمكن نفسه فيلزم الدور وإمّا يكون غيره فننتقل إلى ذلك الغير فيتسلسل الأمر وحيث إن التسلسل باطل ثبت أن الموجد للمكن لابد أن يكون واجب الوجود، فيظهر مما تقدم أن واجب الوجود غنى مطلق وما سواه فقير محتاج مطلق، فلذا صار أن يتصف كل منهما بصفات تليق به، فإذا قلنا إن واجب الوجود يشبه ممكن الوجود فى بعض الصفات التى يتصف بها الممكن الفقير المحتاج المحدود الحادث الفانى يلزم من قولنا انقلاب واجب الوجود الغنى مطلقا إلى الممكن وهو لا يزال واجب الوجود وهذا محال لاجتماع النقيضين، أى ما فرضناه غنيا لا يحتاج إلى غيره مطلقا انقلب فقيراً محتاجا مع وجوب وجوده وهذا محال.

التشبيه لا يصح ولا يجوز فى القرآن الكريم

حثنا القرآن الكريم على التدبر فى آياته الكريمه لنفهم ما يمكن فهمه ونرد ما يصعب فهمه إلى أهله الذين خوطبوا به، ففى كل آيه ظاهر أنيق وباطن عميق، ولكل آيه تفسير وتأويل ولكن لا يعلم تأويله إلا الله تعالى وعباده الراسخون فى العلم إلاّ أن هذا لا يمنع أن نفهم ما يظهر من آياته التى تشير إلى عدم صحه وجواز التشبيه كما فى الآيات الآتيه:

۱ قوله تعالی:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (۱).

يظهر هنا أن اليهود والنصارى نسبت إليه تعالى الأبوّه فجعلت عزيز وعيسى ولداً له تعالى، هذا قول يلزم منه مفاسد كثيره تدل على جرأه قائله وجهله بمقام ربه، ففى هذا القول الباطل يشيرون إلى أن الله تعالى يشبه خلقه فى حاجته للولد، ويشبهه فى التناسل والتوالد تعالى عن ذلك علواً كبيراً فهو تعالى كما وصف نفسه:

(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)

وهو تعالى منزه عن كل صفات المخلوقين من حيث الحاجه والمحدوديه والتجسيم والمكان والزمان وكل نقص، فلا يصح ولا يجوز ولا يمكن أن نجعل له ولداً أو امرأه ولا يمكن أن يكون له شبهٌ وهذا ما أكده قوله تعالى:

(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَهٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (۲).

فكيف بعزير وعيسى أن يكونا ولدين لله تعالى وهو الإله الغنى المطلق اللامحدود؟ وكيف يكون الولد الفقير المحتاج المحدود الممكن المركب العاجز الحادث شبيها لله تعالى الكامل المطلق؟ فهذا محال لانتفاء الشبه بين الولد المدعى وبين الله تعالى الأب كما يدعون، فإذا انتفى الشبه انتفت البنوّه والأبوّه معاً، بل لا شبيه له فى الوجود إذ إنه تعالى الخالق وما سواه مخلوق حادث فقير محتاج.

۱- سوره التوبه: ۳۰.

۲- سوره الأنعام، الآيه: ۱۰۱.

٢ قوله تعالى:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (١).

تؤكد هذه الآيه الكريمه أن الله تعالى الذى خلق الخلق وبرأ النسمه وفطر السموات والأرض ودبر الكون واستوى على العرش، لا يمكن أن يكون رجلًا فقيراً محتاجا مولوداً من رحم امرأه، كما لا يمكن أن يكون هذا المولود الحادث الذى هو مسبوق بوجود أمه، والمحتاج إلى رعايتها إلّا غنيا أزليا قديما له كل صفات الكمال، بل يلزم من هذا القول الباطل الانقلاب الحال.

٣ قوله تعالى:

(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (٢).

تستنكر هاتان الآيتان الكريمتان أن يكون لله تعالى نسب كما لغيره من المخلوقات، وتؤكد أن على من يقول هذا القول فهو ممن يثبت الشبه بين الله تعالى الذى ليس كمثله شيء وبين خلقه الذى ينسب إلى غيره، فالجن ينتسب إلى الجن للتشابه بينهم، والإنسان ينسب إلى نوعه للتشابه بين أفراد النوع الواحد، وهكذا المخلوقات الأخرى تنتسب إلى جنسها ونوعها لاشتراكها فى صفات واحده، وهذا مما لا ينطبق على الله تعالى إذ لا شبه بينه وبين أحد من مخلوقاته كما تقدم أعلاه.

۴ وهناك آيات أخرى تنفى التشبيه بين الله المثال وبين خلقه، فآيه تنفى رؤيته

١- سوره المائده، الآيه: ٧٢.

٢- سوره الصافات، الآيتان: ١٥٨ و١٥٩.

بالبصر كما فی قوله تعالی:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (۱).

وقوله تعالی:

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِی وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِی فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (۲).

وأخری تنفی الحاجه التی هی من صفات المخلوق كما فی قوله تعالی:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (۳).

وثالثه تنفی فناءه إذ كل مخلوق فان كما فی قوله تعالی:

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (۲۶) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (۴).

بعد هذه الآیات الكریمه وغیرها كیف یتسنی لأحد أن یشبه الله تعالی الغنی بخلقه الفقیر؟

التشبیه لا یجوز ولا یصح نقلا فی السنه النبویه

بلغنا ما نقر بصحته من الروایات التی وردت عن أهل بیت العصمه علیهم السلام ما یؤكد حكم العقل الذی یقول باستحاله التشبیه بین الخالق والمخلوق وبین

۱- سوره الأنعام، الآیه: ۱۰۳.

۲- سوره الأعراف، الآیه: ۱۴۳.

۳- سوره فاطر، الآیه: ۱۵.

۴- سوره الرحمن، الآیتان: ۲۶ و۲۷.

الواجب والممكن، وحيث إن النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار هم عيبه علم الله تعالى ومنابع المعرفه الحقه وخزائن الحكمه ومصادر التشريع صار لزاما علينا أن نقف على رواياتهم وخطبهم وأقوالهم فى هذا الموضع لتتضح لنا كيفيه وصف الحق سبحانه.

۱ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يصف ربه تعالى وصفاً يليق به سبحانه، يؤكد فيه على نفى التشبيه.

عن إسحاق بن غالب، عن أبى عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بعض خطبه:

الحمد لله الذى كان فى أوّليّته وحدانيّاً، وفى أزليّته متعظما بالإلهيه، متكبرا بكبريائه وجبروته ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثالٍ كان سبق بشيءٍ ممّا خلق»(۱).

ويشير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن المشبهه يجهلون مقام ربهم سبحانه كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما عرف الله من شبّهه بخلقه، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده...»(۲).

۲ أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البلغاء بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصدح بخطبته التى يوحد الله تعالى بها وينزهه عن صفات المخلوقين ويؤكد على أن الله تعالى لا يشبه خلقه ولا أحد من الخلق يشبه، بل يصرح بجهل من شبه الله تعالى بخلقه، ويشير أيضاً إلى عدم توحيد من يقول بالتشبيه، ولكى نترك القارئ الكريم يطلع على

۱- كتاب التوحيد للصدوق: ص۴۵، ح۴.

۲- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص۴۸، ح۱۰.

نهج أمير المؤمنين عليه السلام وفكره ويقف على معرفته بربه تعالى نورد إليه هذه الخطبه البليغه المليئه بالعلم والحكمه والتوحيد الحقيقى.

عن فرج بن فروه، عن مسعده بن صدقه، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفه إذ قام إليه رجل فقال:

يـا أمير المؤمنين صف لنا ربّك تبارك وتعالى لنزداد له حبّاً وبه معرفه، فغضب أمير المؤمنين عليه السـلام ونادى الصـلاهَ جامعه فاجتمع الناس حتّى غصّ المسجد بأهله، ثمّ قام متغيّر اللون فقال:

الحمـد لله الّـذى لا يَفِرُه المنع، ولا يُكْـديه الإعطاء إذ كلّ معطٍ منتقصٌ سواه، المليء بفوائد النعم وعوائد المزيد، وبجوده ضَـمِنَ عيـاله الخلق؛ فأنهـج سبيـل الطلب للراغبين إليه، فليس بمـا سـئل أجود منه بما لم يُسأل، وما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، ولو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال وضـحكت عنه أصـداف البحار من فِلَـذِ اللُجَيْن وسـبائک العِقْيان ونضائد المرجان لبعض عبيـده، لمـا أثّر ذلـک فى وجوده ولاـ أنفـد سعه ما عنـده، ولکان عنـده من ذخائر الإفصال مالا ينفَـدُه مطالب السؤّال ولا يخطر لکـثرته على بـالٍ، لأنّـه الجـواد الّـذى لاـ تنقصه المـواهب، ولاـ ينحله إلحـاح الملحّين (وإنّمـا أمره إذا أراد شـيئاً أن يقول له کن فيکون) الّذى عجزت الملائکه على قربهم من کرسىّ کرامته، وطول وَلَههم إليه، وتعظيم جلال عزّه، وقربهم من غيب ملکوته أن يعلموا من أمره إلاّـ ما أعلمهم، وهم من ملکوت القـدس بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا: (سـبحانک لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنّک أنت العليم الحکيم)»)[1].

۱- کتاب التوحيد للصدوق: ص۴۹ ۵۰، ح۱۳.

۳ وحيث إن الأئمه المعصومين عليهم السلام هم نور واحد وقول واحد ومنهج واحد نطمئن أن وصفهم لربهم سبحانه لا يختلفون فيه فقول كل واحد منهم هو قول جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأخيه المرتضى عليه السلام وخير دليل على ذلك ما قاله الإمام الرضا عليه السلام الذى هو ثامن الأئمه المعصومين عليهم السلام.

حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا محمّد بن عمرو الكاتب، عن محمّد بن زياد القلزمى، عن محمد بن أبى زياد الجُدى صاحب الصلاه بجُدّه، قال: (حدّثنى محمّد بن يحيى بن عمر بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون فى التوحيد، قال ابن أبى زياد: ورواه لى أيضا أحمد بن عبد الله العلوى مولى لهم وخالٌ لبعضهم عن القاسم بن أيّوب العلوى أنّ المأمون لمّا أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر جمع بنى هاشم فقال: إنى أريد أن استعمل الرضا على هذا الأمر من بعدى، فحسده بنو هاشم، وقالوا: أتولّى رجلًا جاهلًا ليس له بصر بتدبير الخلافه؟! فابعث إليه رجلًا يأتنا فنرى من جهله ما يستدلّ به عليه، فبعث إليه فأتاه، فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد عليه السلام المنبر، فقعد مليّاً لا يتكلّم مطرقا، ثمّ انتفض انتفاضه واستوى قائماً، وحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه وأهل بيته، ثمّ قال:

«أوّل عباده الله معرفته، وأصل معرفه الله توحيده، ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه لشهاده العقول أنّ كلّ صفه وموصوف مخلوق وشهاده كلّ مخلوقٍ أنّ له خالقا ليس بصفه ولا موصوف، وشهاده كلّ صفه وموصوف بالاقتران، وشهاده الاقتران بالحدث، وشهاده الحدث بالامتناع عن الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إيّاه وحدّ من اكتنهه ولا حقيقته أصاب

من مثّله، ولاـ به صدّق من نّهاه ولا صمد صمده من أشار إليه ولا إيّاه عنى من شبّهه، ولا له تذلّل من بّعَضه، ولا إيّاه أراد من توهّمه، كلّ معروفٍ بنفسه مصنوع وكلّ قائم فى سواه معلول، بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطره تثبت حجّته خلق الله حجابٌ بينه وبينهم ومباينته إيّاهم مفارقته إنّيتهم، وابتداؤه إيّاهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كلّ مبتدئٍ عن ابتداء غيره، وأدْوُه إيّاهم دليل على أن لاـ أداه فيه لشهاده الأدوات بفاقه المتأدّين وأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقه، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغُبُوره تحديد لما سواه فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنهه، ومن قال: كيف فقد شبّهه، ومن قال: لم فقد علّله، ومن قال: متى فقد وقّته، ومن قال: فيمَ فقد ضمّنه، ومن قال: إلى مَ فقد نهاه، ومن قال: حتّى م فقد غيّاه ومن غيّاه فقد غاياه، ومن غاياه، فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، لا يتغيّر الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، أحدٌ لا بتأويل عددٍ ظاهرٌ لا بتأويل المباشره، متجلّ لا باستهلال رؤيه، باطن لا بمزايله، مبائنٌ لا بمسافه، قريب لا بمداناه، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحول فكره مدبّر لا بحركه، مريد لا بهمامه، شاء لا بهمه، مدرك لا بمجسّه سميع لا بآله، بصير لا بأداه.

لا تصحبه الأوقات، ولا تضمّنه الأماكن، ولا تأخذه السِّنات ولا تحدّه الصفات، ولا تقيّده الأدوات سبق الأوقات كَوْنُه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لاـ مشعر له وبتجهيره الجواهر عرف أن لاـ جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لاـ ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لاـ قرين له، ضادّ النور بالظلمه، والجلايه بالبُهْم، والجَسو بالبلل والصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها،

مفرّق بين متدانياتها، دالّه بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، ذلك قوله عزّ وجلّ:

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (۱).

ففرّق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا ـ قبل له ولا بعد، شاهده بغرائزها أن لا غريزه لمغرّزها، دالّه بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها مخبره بتوقيتها أن لا ـ وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا ـ حجاب بينه وبينها غيرها له معنى الربوبيّه إذ لا مربوب وحقيقه الإلهيّه إذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيّه كيف ولا تغيّبه مذ، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعلّ، ولا توقّته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع، إنّما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآله إلى نظائرها وفى الأشياء يوجد فعالها منعتها منذ القدمه، وحمتها قد الأزليه، وجنّبتها لولا التكمله افترقت فدلّت على مفرّقها، وتباينت فأعربت عن مباينها لما تجلّى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤيه، وإليهاتحاكم الأوهام، وفيها أثبت غيره ومنها أنيط الدليل وبها عرّفها الإقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، ولا ديانه إلاّ بعد المعرفه، ولا معرفه إلاّ بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفى مع إثبات الصفات للتشبيه فكلّ ما فى الخلق لا يوجد فى خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجرى عليه الحركه والسكون، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتدأه إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولما كان للبارئ معنى غير المبروء، ولو حدّ له وراء إذاً حدّ له أمام ولو التمس له التمام إذاً لزمه النقصان،

۱- سوره الذاريات، الآيه: ۴۹.

كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء، إذاً لقامت فيه آيه المصنوع، ولتحوّل دليلاً بعد ما كان مدلولاً عليه، ليس فى محال القول حجّه ولا فى المسأله عنه جواب، ولا فى معناه له تعظيم، ولا فى إبانته عن الخلق ضيم، إلّا بامتناع الأزليّ أن يثنّى وما لا بدأ له أن يبدأ، لا إله إلّا الله العليّ العظيم، كذب العادلون بالله، وضلّوا ضلالا بعيدا، وخسروا خسرانا مبينا، وصلّى الله على محمدٍ النبى وآله الطيبين الطاهرين»)(۱).

ولكى نؤكد على عدم جواز تشبيه الله تعالى بخلقه نورد حديثين عن الأئمه المعصومين عليهم السلام يبينان حال من يشبه الله تعالى بخلقه وهل أن الله له شيئا من الإيمان؟

۱ يشير الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى أن المشبهه لا إيمان لهم بقوله:

«مَنْ شبّه الله بخلقه فهو مشرك، ومن أنكر قدرته فهو كافر»(۲).

۲ ويؤكد ولده الإمام الرضا عليه السلام ذلك بقوله:

«من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، ومن وصفه بالمكان فهو كافر، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب».

ثمّ تلا هذه الآيه:

(إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (۳)»(۴).

فبهذا المقدار نكتفى من بيان عدم صحه القول بالتشبيه وعدم جواز ذلك.

۱- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص۳۵ ۴۲، ح۲.

۲- كتاب التوحيد للصدوق: ص۷۴، ح۳۱.

۳- سوره النحل، الآيه: ۱۰۵.

۴- التوحيد للصدوق: ص۶۷، ح۲۵.

هل أن الله تعالى شیء؟

تمتنع الکلمات من الانتقاش علی سطورها وجله کونها ترجمان المباحث العقائدیه لاسیما فی البحوث التی تتکلم عن بارئها، فکیف لی أن أبدأ الجواب علی هذا السؤال؟ هل أن الله تعالی شیء؟ لمعرفتی أن الفطره تقر بوجود خالق الخلق، والقلب ملیء بالیقین والتصدیق، والجوارح مذعنه معترفه بقدرته وإحاطته، فلذا أقول بلسان صریح أن الله تعالی موجود، وأنه تعالی شیء لما جاء فی کتب اللغه من أن الشیء هو الموجود(۱).

فلذا یصح أن نطلق کلمه (شیء) علی الله تعالی مع الاحتفاظ بقیود الآیات والروایات الشریفه التی صرحت بأنه تعالی (لیس کمثله شیء) ولکی یتاح لی أن أجیب علی هذا السؤال بطریقه علمیه لابد أن أسلسل الجواب وفق النقاط التالیه:

۱ لاـ شک فی وجود الله تعالی بالدلیل العقلی کبرهان الإمکان وبرهان العله والمعلول وبرهان المحدودیه وبرهان الأثر والمؤثر التی ذکرها أهل الاختصاص فی محلها.

۲ لا شک فی وجود الله تعالی بالدلیل النقلی کما فی قوله تعالی:

(أَفِی اللَّهِ شَکٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (۲).

وقوله تعالی:

(مُنِیبِینَ إِلَیْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِیمُوا الصَّلَاهَ وَلَا تَکُونُوا مِنَ الْمُشْرِکِینَ) (۳).

۱- المعجم الوسیط: ص۵۰۲.

۲- سوره إبراهیم، الآیه: ۱۰.

۳- سوره الروم، الآیه: ۳۱.

وقال عزّ وجل:

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (۱).

وهناک أکثر من آیه تصرح بأن الله تعالی موجود لخلقه الخلق وتدبیره الأمر.

کما أن الکثیر من الروایات التی تشیر إلی وجوده تعالی کما جاء عن الإمام الصادق علیه السلام فی حواره مع السائلین والمستفهمین ومع المشککین والملحدین، وقد أشار مولانا الإمام الصادق علیه السلام إلی دلیل الفطره الذی یظهر عند الشدائد، (قال له رجل: یابن رسول الله دُلنی علی الله ما هو؟ فقد أکثر علیَّ المجادلون وحیّرونی.

فقال الإمام علیه السلام:

«یا عبد الله هل رکبتَ سفینه قطّ؟».

قال: نعم، فقال علیه السلام:

«فهل کُسرتْ بک حیث لا سفینه تنجّیک ولا سباحه تغنیک؟».

قال: نعم، فقال علیه السلام:

«فهل تعلّق قلبُکَ هنالک أنّ شیئاً من الأشیاء قادرٌ علی أن یخلّصک من ورطتک؟».

قال: نعم، فقال علیه السلام:

«فذلک الشیء هو الله القادر علی الإنجاء حیث لا منجی وعلی الإغاثه حیث لا مغیث»)(۲).

۱- سوره العنکبوت، الآیه: ۶۱.

۲- الفوائد البهیه فی شرح عقائد الإمامیه، محمد جمیل حمّود: ج۱، ص۸۸. بحار الأنوار: ج۳، ص۴۱

۳ ثبت عنـد أهل الحكمه وكثير من المتكلمين أن الشـيئيه تساوق الوجود والعدم لا شـيئيه له أى أن كل ما له الوجود له الشـيئيه، وكل ما له الشيئيه له الوجود(۱).

۴ ثبت فى لسان النقل أن الله تعالى شيء ولكن ليس كمثله شيء كما فى قوله تعالى:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (۲).

وما ورد عن أهل بيت العصـمه عليهم السـلام صـريح فى جواز إطلاق (شيء) على الله تعالى ولكن دون أن ننفى وجوده أو ننفى صفاته، ودون أن نشـبهه بصـفات خلقه كما فى قول الإمام الجواد عليه السـلام: (عن الحسـين بن سعيد قال: سُئِلَ أبو جعفر الثانى عليه السلام: يجوز أن يقال لله: إنّه شيءٌ؟ قالَ عليه السلام :

«نَعم يُخرِجُهُ مِنَ الحَدَّيْنِ: حَدِّ التَّعْطيلِ وَحَدِّ التَشْبيهِ»)(۳).

وروايات أخرى تبيّن أنه تعالى شـيء لا كالأشـياء فى ذاته وصـفاته بل هو تعالى فوق الإدراك والأوهام وهذا ما صـرح به الإمام الباقر عليه السـلام: (عن محمـد بن عيسـى، عن عبـد الرحمن بن أبى نجران قال: سألت أبا جعفر عليه السـلام عَنِ التّوحيـدِ فَقُلتُ: أتَوَهَّمُ شَيئاً؟ فَقالَ عليه السلام :

«نَعَمْ، غَيْرَ مَعْقُولٍ وَلا مَحْدُودٍ، فَما وَقَع وَهْمُکَ عَلَيْهِ مِنْ شَيءٍ فَهوَ خِلافُهُ، لا يُشبِهُهُ شَيءٌ ولا تُدرِكُهُ الأوْهامُ، كَيفَ تُدْرِكُهُ الأوهام وهوَ خلاف ما يُعقَلُ وخلاف ما يتصوَّرُ فى الأوْهامِ؟! إنّما يتوهّم شيءٌ غَيرُ مَعْقُولٍ ولا مَحدودٍ»)(۴).

۱- بدايه الحكمه: ص۱۶۵.

۲- سوره الشورى، الآيه: ۱۱.

۳- أصول الكافى للكلينى: ج۱، ص۱۰۴، باب إطلاق القول بأنّه شيء، ح۲.

۴- أصول الكافى للشيخ الكلينى: ج۱، ص۱۰۴، باب إطلاق القول بأنّه شيء، ح۱.

وما نورده من الروایات الشریفه الآتیه صریح فی إطلاق الشیئیه علیه تعالی مع الاحتفاظ بشروطها کما فیما یلی:

۱ عن أحمد بن محمد بن خالد البرقی، عن أبیه، عن النضر بن سوید، عن یحیی الحلبی، عن ابن مسکان، عن زراره بن أعین قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول:

«إنّ اللَّه خِلو من خلقه وخلقه خلو منه وکل ما وقع علیه اسم شیء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق کل شیء تبارک الذی لیس کمثله شیء وهو السمیع البصیر»(۱).

۲ عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن علی بن عطیه، عن خیثمه، عن أبی جعفر علیه السلام قال:

«إنّ الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه وکل ما وقع علیه اسم شیء ما خلا الله تعالی فهو مخلوق والله خالق کل شیء»(۲).

۳ عن العباس بن عمرو الفقیمی، عن هشام بن الحکم، عن أبی عبد الله علیه السلام أنه قال للزّندیق حین سأله: ما هو؟

قال:

«هو شیء بخلاف الأشیاء ارجع بقولی إلی إثبات معنی وأنه شیء بحقیقه الشیئیه غیر أنه لا جسم ولا صوره ولا یحسّ ولا یجسّ ولا یدرک بالحواس الخمس، لا تدرکه الأوهام ولا تنقصه الدّهور ولا تغیّره الأزمان»(۳).

۱- أصول الکافی: ج۱، ص۱۰۵، باب إطلاق القول بأنّه شیء، ح۴.

۲- أصول الکافی للکلینی: ج۱، ص۱۰۵، ح۵.

۳- أصول الکافی للشیخ الکلینی: ج۱، ص۱۰۵، باب إطلاق القول بأنّه شیء، ح۶.

السمیع البصیر اسمان من أسمائه تعالی

إن صفتی السمع والبصر مما یتصف بهما الله تعالی دون أن یمس هذا الاتصاف عظمه الحق سبحانه، ومن غیر أن یشترک معه السامعون والمبصرون لجلاله عن آلتی السمع والبصر، فهو سمیع بغیر آله وبصیر بغیر جارحه، ولذا أشتق اسما السمیع والبصیر من هذا الاتصاف، ولکی نقف علی حقیقه هاتین الصفتین لابد أن نطلع علی ما قیل فی تفسیرهما وانطباقهما علی الله تعالی.

۱ إنّ سمعَهُ وبصرَهُ سبحانه لیسا وصفین یغایران وصف العلم، بل هما من شُعَب علمه بالمسموعات والمبصرات، فلأجل علمه بهما صار یطلق علیه تعالی أنّه سمیعٌ بصیر.

۲ إنّهما وصفان حسّیان، وإدراکان نظیر الموجود فی الإنسان.

۳ إنّ السّمع والبصر یغایران مطلق العلم مفهوماً، ولکنهما علمان مخصوصان وراء علمه المطلق من دون تکثر فی الذات ومن دون أن یستلزم ذلک التوصیف تجسماً، وما هذا إلاّ حضور الهویّات المسموعه والمبصره عنده سبحانه، فشهود المسموعات سمع، وشهود المبصرات بصر، وهو غیر علمه المطلق بالأشیاء العامه، غیر المسموعه والمبصره(۱).

ولبیان صحه هذه الأقوال الثلاثه التی وردت عن أهل العلم نقول:

ألف: إن السمع والبصر فی الله تعالی لا یمکن أن یکونا حسیین لتنزهه عن صفات الممکنات، ولجلاله عن الحاجه والترکیب، فلذا لا صحه للقول الثانی لاستحاله انطباقه علی الله تعالی.

باء: بما أنه تعالی یحیط بکل شیء علما فهو تعالی عالم بالمسموعات والمبصرات ولذا یصح إطلاق اسمی السمیع والبصیر علیه تعالی.

۱- الإلهیات للشیخ جعفر السبحانی: ج ۱، ص ۱۵۹.

الوصفان فی القرآن الکریم

السمیع

تتجلی العظمه الإلـهیه من خلال الخلق لمن ینظر إلیها من نافذه الممکنات، ویشهدها بقلبه حینما یتأمل صفات الحق سبحانه، وخیر مَن وصف البارئ عزّ وجل هو کتابه الکریم بآیات ملیئه بالحکمه والعلم، وبکلمات تحوی بطونا سبعه لا یعلمها إلا أهلها، ولکی نقف علی هذه الصفه (السمع) التی إذا اتصف بها فاعلها سمّی بالسمیع لابد أن نطلع علی ما جاء فی ذکر هذا الاسم وهذه الصفه فی الآیات الکریمه من القرآن الکریم:

۱ کونه تعالی واجب الوجود وخالق الخلق ومدبّر الأمور یقتضی ذلک أن یکون محیطا بکل شیء، لا تخفی علیه الأصوات ولا تفوته الخفایا والأسرار، فهو لکل صوت سمیع وبکل سر علیم فلذا قال تعالی:

(إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ) (۱).

۲ کونه تعالی رؤوفاً بالعباد لطیفاً بالخلق رحیماً بالمؤمنین یقتضی ذلک أن یجیبهم إذا سألوا ویحمیهم إذا لجأوا ویغیثهم إذا استغاثوا فلذا نجده سبحانه یصف نفسه تعالی بأنه سمیع لدعاء عباده کما فی قوله تعالی:

(هُنَالِکَ دَعَا زَکَرِیَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّهً طَیِّبَهً إِنَّکَ سَمِیعُ الدُّعَاءِ)(۲).

رغم أن دعاء زکریا کان خفیا کما حکی لنا ذلک القرآن الکریم فی قوله تعالی:

(إِذْ نَادَی رَبَّهُ نِدَاءً خَفِیًّا) (۳).

۱- سوره البقره، الآیه: ۱۸۱.

۲- سوره آل عمران، الآیه: ۳۸.

۳- سوره مریم، الآیه: ۳.

فهو يسمع الدعاء ويسمع النداء ويعلم الاستغاثه سواء كان ذلك فى الجهر أو الإخفاء.

٣ لاـ شك فى أن يكون خالق الخلق والمحيط بكل شىء قريباً من عباده لا قرب مكان ولا قرب زمان لأنه تنزه عن مجانسه مخلوقاته وإنما هو مقتضى إحاطته لذا يصف نفسه بقوله تعالى:

(إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) (١).

مداراه لعقولنا التى آنست بالأبعاد الماديه الدنيويه وإلاّ فهو تعالى أسمى فى قربه من أن ندركه فلذا يخاطبنا بقوله:

(أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (٢).

٤ وصف الله سبحانه نفسه بأنه يسمع دون أن تؤثر فيه الأصوات ودون أن تؤثر على سمعه الأماكن فهو يسمع من فى السموات كما يسمع من فى الأرض وفى آن واحد وبمستوى واحد كما فى قوله تعالى:

(قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٣).

وقوله تعالى:

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٤).

٥ لو تتبعنا كل آيه ورد فيها اسم السميع لطال بناء المقام فلذا اكتفينا بذكر بعضها علما أن اسم السميع أو كلمه سميع وردت فى كثير من الآيات.

١- سوره سبأ، الآيه: ٥٠.

٢- سوره الزخرف، الآيه: ٨٠.

٣- سوره الأنبياء: ۴.

۴- سوره الشعراء، الآيه: ٢٢٠.

البصير

علْمنا بأنه تعالى يرى ويسمع يجعلنا فى حياء دائم لاسيما عندما تقع من بعضنا الآثام ويقترف بعضنا الذنوب، فنعيش فى دائره التقصير مستغفرين تائبين، كيف لا يكون ذلك ونحن نقرأ هذه الآيات الكريمه؟

۱ آيه تشير أنه تعالى مطلع على ظواهرنا وبواطننا بغير جارحه أو آله للبصر كما فى قوله تعالى:

(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (۱).

۲ آيه تصرح بأن ما نقترف من سيئات ونرتكب من ذنوب فى أعمالنا وأقوالنا ونياتنا تحت مراقبته كما فى قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (۲).

۳ عندما نتأمل ونتدبر قوله تعالى:

(إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ) (۳).

نعتقد بأن بصره ليس كبصرنا وإبصاره ليس كإبصارنا، فبصره لابد أن يكون منزهاً عن الحدود والأماكن والأزمان، ولابد أن يكون بصره واسعاً سعه تليق به تعالى وليس ذلك إلاّ علمه بالمبصرات وإحاطته بها.

۴ حيث إننا نعلم أن كلمه (البصير بصير) وردت فى أكثر من آيه فى القرآن الكريم وكلها تشير إلى اتصافه تعالى بالبصر وتسميته بالبصير نكتفى بما تقدم ونتدبر فى

۱- سوره غافر، الآيه: ۴۴.

۲- سوره البقره، الآيه: ۱۱۰.

۳- سوره الملك، الآيه: ۱۹.

الآيات التی ذکرت هذه الصفه لنعرف شیئا من عظمه ربنا سبحانه وتعالی.

وقوله علیه السلام:

«احتجب عن العقول کما احتجب عن الأبصار، وعمن فی السماء احتجابه کمن فی الأرض».

تقدمت الأبحاث التی أثبتت عدم الرؤیه البصریه بل أثبتنا عدم إحاطه العقل به سبحانه لمحدودیه العقل وعجزه عن أن یحیط بالله تعالی، وأدرجنا الروایات التی تشیر إلی عجز الأوهام والأفهام عن الإحاطه به تعالی، ولکی نذکر القارئ الکریم نقول باختصار:

الله تعالی هو واجب الوجود ومن صفات واجب الوجود وکماله أنه منزه عن الحدود والأوصاف الناقصه، ومنزه عن کل صفات الممکن، ولذا فهو تعالی فوق العقول المحدوده وخارج إدراکها، کما أنه تعالی منزه عن الجسم والجسمانیه فیکون أیضا خارجا عن الرؤیه البصریه، وهو تعالی خالق الخلق ومحیط بکل شیء فلا شیء یحیط به، فاحتجب عن خلقه لا بحجاب أو ساتر، وإنما احتجب بذاته وصفاته ووجوب وجوده.

ولکی نؤکد قولنا ونربط بین قول الإمام الحسین علیه السلام وأبیه أمیر المؤمنین علیه السلام نورد هذه الخطبه عن أمیر المؤمنین علیه السلام التی تبین بوضوح ما أراده الإمام الحسین علیه السلام، فلقد جاء فی خطبه أمیر المؤمنین علیه السلام:

«الحمد لله الذی لا تدرکه الشواهد، ولا تحویه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال علی قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه علی وجوده، وباشتباههم علی أن لا ـ شبه له، الذی صدق فی میعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط فی خلقه، وعدل علیهم فی حکمه، مستشهد بحدوث الأشیاء علی أزلیته، وبما وسمها به من العجز علی قدرته، وبما اضطرها إلیه من الفناء علی دوامه، واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره، وتشهد له

المرائی لا ـ بمحاضره، لم تحط به الأوهام بل تجلی لها بها، وبها امتنع منها، وإلیها حاکمها، لیس بذی کبر امتدت به النهایات فکبرته تجسیما، ولا بذی عظم تناهت به الغایات فعظمته تجسیدا، بل کبر شأنا، وعظم سلطانا»(۱).

وهناک روایات تذکر عله احتجاب الله عزّ وجلّ عن خلقه.

عن محمد بن بندار، عن محمد بن علی ، عن محمد بن عبد الله الخراسانی خادم الرضا علیه السلام قال: (قال بعض الزنادقه لأبی الحسن علیه السلام:

لِمَ احتجب الله؟ فقال أبو الحسن علیه السلام:

«إن الحجاب عن الخلق لکثره ذنوبهم فأما هو فلا تخفی علیه خافیه فی آناء اللیل والنهار».

قال: فلِمَ لا تدرکه حاسه البصر؟ قال علیه السلام :

«للفرق بینه وبین خلقه الذین تدرکهم حاسه الأبصار، ثم هو أجل من أن تدرکه الأبصار أو یحیط به وهم أو یضبطه عقل».

قال: فحده لی، قال علیه السلام :

«إنه لا یحد».

قال: لِمَ؟ قال علیه السلام :

«لأن کل محدود متناه إلی حد فإذا احتمل التحدید احتمل الزیاده، وإذا احتمل الزیاده احتمل النقصان، فهو غیر محدود ولا متزائد ولا متجز ولا متوهم»)(۲).

وجاء عن القاسم بن محمد، عن حمدان بن الحسین، عن الحسین بن الولید، عن عبد الله بن سنان، عن أبی حمزه الثمالی قال: (قلت لعلی بن الحسین علیهما السلام:

۱- منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه للعلامه حبیب الله الهاشمی: ج۱۱، ص۵، الخطبه ۱۸۴.

۲- بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج۳، ص۱۶، ح۱.

لأی عله حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه؟ قال علیه السلام :

«لان الله تبارک وتعالی بناهم بنیه علی الجهل فلو أنهم کانوا ینظرون إلی الله عز وجل لما کانوا بالذین یهابونه ولا یعظمونه، نظیر ذلک أحدکم إذا نظر إلی بیت الله الحرام أول مره عظمه فإذا أتت علیه أیام وهو یراه لا یکاد أن ینظر إلیه إذا مر به ولا یعظمه ذلک التعظیم»(۱).

وقوله علیه السلام:

«قربه کرامته وبعده إهانته».

أشار الإمام علیه السلام إلی القرب الإلهی وبین أنه قرب معنوی لا قرب مادی فلذا یقول إن قرب الله تعالی من العبد یظهر من خلال إکرامه لهذا العبد وأن بعد الله تعالی عن العبد یظهر من خلال سخطه وعدم رضاه وإهانته لهذا العبد، فیظهر من قول الإمام علیه السلام أن الله تعالی لا یحویه مکان ولا یحیط به موضع فلذا لا یکون له قرب وبعد مادی، وهذا ما أکده أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«ولا کان فی مکان فیجوز علیه الانتقال»(۲).

وقوله علیه السلام:

(عُلُوُّهُ مِنْ غَیرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِیئُهُ مِنْ غَیرِ تَنَقُّلٍ، یُوجِدُ المفقُودَ ویُفْقِدُ المَوجُودَ، ولا تَجتمِعُ لِغَیرِهِ الصِّفَتانِ فی وَقتٍ).

أشار الإمام علیه السلام إلی أربعه أبحاث نوجزها فی النقاط التالیه:

۱ إن الله تعالی عال علواً معنویاً، وما کان علوّه ناشئاً عن صعود سلّم أو ارتقاء منبر، أو طیران طائر بل هو علو خارج عن صفات الماده والجسمیه.

۱- بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج۳، ص۱۶، ح۲.س

۲- نهج البلاغه بشرح محمد عبده: ص۱۳۰، الخطبه ۹۱.

۲ ورد فی القرآن الکریم قوله تعالی:

(وَجاءَ رَبُّکَ وَالْمَلَکُ صَفًّا صَفًّا) (۱).

وقوله تعالی:

(إِذْ أَخْرَجَنِی مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِکُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّیْطانُ بَیْنِی وَبَیْنَ إِخْوَتِی إِنَّ رَبِّی لَطِیفٌ لِما یَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ) (۲).

فأراد الإمام الحسین علیه السلام أن یبیّن أن مجیئ الله تعالی له معنی غیر مادی لیس معتمداً علی الحرکه والانتقال.

۳ بیّن الإمام علیه السلام أن الله تعالی هو الذی أوجد الأشیاء وهو الذی یفنیها.

۴ إن الله تعالی قادر علی أن یجمع بین الصفتین المتضادتین فی آن واحد، کالإحیاء والإماته، وکالرازق وغیر الرازق، وقادر علی الجمع بین صفه الحلم والکرم مثلا فی آن واحد دون أن تتأخر إحداهما عن الأخری.

الوصفان فی حدیث أهل البیت علیهم السلام

السمیع

وصف أهل البیت علیهم السلام یتقدمهم جدّهم المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم ربّهم بصفه السمع وأطلقوا علیه اسم السمیع کما أطلق هو تعالی علی نفسه، إلاّ أنهم بیّنوا فی أحادیث متفرقه کیفیه هذا السمع فتاره یسمع الأصوات المرتفعه کما فی قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«یا سامع الأصوات، یا عالم الخفیات، یا دافع البلیات»(۳).

۱- سوره الفجر، الآیه: ۲۲.

۲- سوره یوسف، الآیه: ۱۰۰.

۳- موسوعه العقائد الإسلامیه: ج۴، ص۲۶۵، ح۴۷۰۶.

وأخری یسـمع الأصوات الضـعیفه التی یصدرها الضـعفاء من العباد عندما یأنون من آلامهم کما ورد ذلک فی دعاء النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم:

«یا من یعلم مراد المریدین، یا من یعلم ضمیر الصامتین، یا من یسمع أنین الواهنین، یا من یری بکاء الخائفین»(۱).

وورد عن أمیر المؤمنین علیه السـلام مـا یبیّن سـعه سـمعه وکیفیته، فهو تعـالی یسـمع الأصوات الصـغیره والکبیره علی حـد سواء والقریبه والبعیده کذلک کما جاء ذلک فی قوله علیه السلام:

«کل سمیع غیره یصم عن لطیف الأصوات، ویصمه کبیرها، ویذهب عنه ما بعد منها»(۲).

ویشیر الإمام زین العابدین علیه السلام إلی سعه سمعه أیضا بقوله:

«اللهم أنت الملک الذی لا یملک، والواحد الذی لا شریک لک، یا سامع السر والنجوی»(۳).

وفی موضوع آخر یدعو فیقول:

«یا موضع کل شکوی، ویا سامع کل نجوی، وشاهد کل ملا، وعالم کل خفیه»(۴).

وأمّا الإمام الصادق علیه السلام فیوضح لنا عله تسمیته تعالی بالسمیع من خلال بیان سعته وقوته بقوله:

« إنما سمی سمیعا؛ لأنه ما یکون من نجوی ثلاثه إلا هو رابعهم، ولا خمسه إلا هو

۱- موسوعه العقائد الإسلامیه، محمد الریشهری: ج۴، ص۲۶۶، ح۴۷۰۷.

۲- موسوعه العقائد الإسلامیه: ج۴، ص۲۶۶، ح۴۷۰۹.

۳- موسوعه العقائد الإسلامیه: ج۴، ص۲۶۶، ح۴۷۱۰.

۴- موسوعه العقائد الإسلامیه: ج۴، ص۲۶۶، ح۴۷۱۱.

سادسهم، ولاـ أدنى من ذلك ولاـ أكثر إلاـ هو معهم أينما كانوا، يسمع النجوى، ودبيب النمل على الصفا، وخفقان الطير فى الهواء، لا تخفى عليه خافيه ولا شيء مما أدركته الأسماع والأبصار، وما لا تدركه الأسماع والأبصار، ما جل من ذلك وما دق، وما صغر وما كبر، ولم نقل سميعا بصيرا كالسمع المعقول من الخلق»(۱).

ويؤكد الإمام الكاظم عليه السلام أن الله تعالى سميع دون أن يشك بصحه سمعه ودقته فيقول:

«اللهم.... أنت..... سميع لا يشك»(۲).

ويؤكد أيضا أنه تعالى يسمع الأصوات القويه دون أن تؤثر عليه كما تؤثر على سمع المخلوق فيهم منها، ويسمع الخفيه التى لا يستطيع أن يسمعها غير صاحبها، ويوضح أن سمعه واسع شامل لجميع اللغات المختلفه التى تصدرها المخلوقات بل هو رقيب على كل ما يصدر من خلقه ويرى الإمام الرضا عليه السلام أن الله سبحانه يسمع كل صوت يصدر من خلقه دون أن يشتبه بأحد منها كما فى قوله:

« اللهم إنى أسألك، يا سامع كل صوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، ويا من لا تغشاه الظلمات، ولا تتشابه عليه الأصوات، ولا تغلطه الحاجات»(۳).

وينفى الإمام الرضا عليه السلام أن يكون سمع الله تعالى بآله سمع مثقوبه كما هو فى خلقه فيقول:

« سمى ربنا سميعا لا بخرت فيه يسمع به الصوت ولا يبصر به، كما أن خرتنا الذى به نسمع لا نقوى به على البصر، ولكنه أخبر أنه لا يخفى عليه شيء من

۱- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج۴، ص۲۶۶ ۲۶۷، ح۴۷۱۳.
۲- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج۴، ص۲۶۷، ح۴۷۱۶.
۳- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج۴، ص۲۶۷ ۲۶۸، ح۴۷۱۸.

الأصوات، لیس علی حد ما سمینا نحن، فقد جمعنا الاسم بالسمع واختلف المعنی»(۱).

ویبیّن الإمام الرضا علیه السلام سعه سمعه ودقته فی موضع آخر (لما سأله رجل: أخبرنی عن قولکم: إنه لطیف وسمیع...: قلنا:

«إنّه سمیع لا یخفی علیه أصوات خلقه ما بین العرش إلی الثری من الذره إلی أکبر منها فی برها وبحرها، ولا یشتبه علیه لغاتها، فقلنا عند ذلک: إنّه سمیع لا بأذن»(۲).

سمعه لا کسمعنا

ورد علی لسان أهل البیت علیهم السلام أن سمع الله تعالی منزه عن صفات سمع المخلوق کما جاء ذلک عن أمیر المؤمنین علیه السلام فی أکثر من حدیث کقوله:

«السمیع لا بأداه، سمیع لا بآله، السمیع لا بتفریق آله، سمیع للأصوات المختلفه، بلا جوارح مؤتلفه».

وورد عن الإمام الصادق علیه السلام قوله:

«ولم نقل سمیعا بصیرا کالسمع المعقول من الخلق».

وفی قول آخر یقول:

«هو سمیع بصیر، سمیع بغیر جارحه، بصیر بغیر آله، بل یسمع بنفسه ویبصر بنفسه».

وورد عن الإمام الرضا علیه السلام قوله:

«قلنا: سمیع لا مثل سمع السامعین».

وجاء عن ولده الإمام الجواد علیه السلام قوله:

«ولم نصفه بالسمع المعقول فی الرأس».

۱- موسوعه العقائد الإسلامیه للریشهری: ج۴، ص۲۶۸، ح۴۷۱۹.

۲- موسوعه العقائد الإسلامیه: ج۴، ص۲۶۸، ح ۴۷۲۰.

البصیر

وصف رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأهل بیته الأطهار علیهم السلام ربّهم بصفه البصر المنزهه عن الشبه، وأطلقوا علیه اسم البصیر تبعا لما ورد فی القرآن الکریم إلا أنهم بیّنوا أموراً تتعلق بهذه الصفه وهذا الاسم وهی کالآتی:

إنّ الله تعالی یری الأشیاء ویبصرها دون أن یحول بینه وبینها حاجب سواء کان سمیکا أو شفافاً، کبیراً أو صغیراً وهذا ما ورد علی لسان سید المرسلین صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«یا من لا یحجبه شیء عن شیء».

إن البصیر من المخلوقات لا یستطیع أن یری الألوان الخفیه، والأجسام الدقیقه الصغیره إلا أن الله سبحانه بصیر بذلک مطلع علیه وهذا ما جاء عن أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«کل بصیر غیره یعمی عن خفی الألوان، ولطیف الأجسام».

إنما سمی الله تعالی البصیر، لأنه یری ویبصر ما تدرکه الأبصار وما لا تدرکه من مخلوقات صغیره أو کبیره، حقیره أو عظیمه وهذا ما أجاب به الإمام الصادق علیه السلام لما سأله الزندیق (أفرأیت قوله: سمیع بصیر عالم؟ قال:

«إنّما سمّی تبارک وتعالی بهذه الأسماء لأنه لا یخفی علیه شیء مما لا تدرکه الأبصار امن شخص صغیر أو کبیر، أو دقیق أو جلیل»).

إنه تعالی بصیر لا یشک ولا یشتبه ولا تلتبس علیه اللوابس کما فی دعاء الإمام الکاظم علیه السلام:

«سبحانک اللهم وبحمدک... أنت.... بصیر لا یرتاب».

إن الله تعالی یوصف بالبصیر دون أن یشبه بغیره من الخلق فلذلک ورد عن

الإمام الصادق عليه السلام:

«ولا نصفه بصيرا بلحظ عين كالمخلوق».

وأكد ذلك الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«إنه بصير لا كبصر خلقه».

وفى قوله عليه السلام:

«وهكذا البصر لا بخرت منه أبصر، كما أن نبصر بخرت منا لا ننتفع به فى غيره».

وهذا الوصف صرح به أيضا الإمام الجواد عليه السلام بقوله:

«ولم نصفه ببصر لحظه العين».

وقوله عليه السلام:

(عُلُوُّهُ مِنْ غَيرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيرِ تَنَقُّلٍ).

تقـدم فى الأبحاث السابقه أن الله تعالى لا يتصف بصـفه من صـفات الممكنات ولا تحـده الحـدود الزمانيه والمكانيه ولا يتكيف بكيف ولا يسـرى عليه ما يسـرى على خلقه، ومما ينزه عنه سـبحانه هو العلوّ المكانى، فلله تعالى علوٌّ حقيقى عن كل ما سواه لأنه واجب الوجود وخـالق الخلق وبـارئ المكان والزمان ومحيط بكل شـىء ولا يحيط به شـىء إلاّ أنه تعالى رغم علوّه وارتفاعه عن خلقه فهـو أقرب إليهم من حبـل الوريـد بـل يحول بين المرء وقلبه ومـا هـذا القرب إلاّ لإحـاطته وقيوميته، ولو تأملنـا فى الآيـات الكريمه كقوله تعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ) (۱).

۱- سوره الشورى، الآيه: ۱۱.

وقوله تعالی:

(وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِیُّ) (۱).

وقوله تعالی:

(اللَّهُ خَالِقُ کُلِّ شَیْءٍ) (۲).

لاتضح لنا عدم صحه نعته بصفه من صفات الممکنات وعدم جواز وصفه بصفه الأجسام، وعلی هذا لابد من تفسیر علوّه سبحانه بامتناع اتصافه بصفات خلقه وارتفاعه عن کل صفات المخلوقات واستغنائه عن العلوّ والسفل التی هی من ملازمات المکان، فعلوّه هو نزاهته عن کل نقص، وعلوّه هو ربوبیته لما سواه، وعلوّه هو غناه عن کل شیء، وعلوّه هو إحاطته بکل شیء، وعلوّه هو قیومیته علی خلقه وغیر ذلک من صفات الکمال اللائق به تعالی.

وأمّا تفسیر مجیئه تعالی یتضح مما تقدم أنه مجیء أمره تعالی لجلاله عن المجیء والحرکه والانتقال، وهذا ما أکدته الروایه الشریفه عن الإمام الرضا علیه السلام عن قول الله تعالی:

(وَجَاءَ رَبُّکَ وَالْمَلَکُ صَفًّا صَفًّا)

قال:

«إنّ الله عزّ وجل لا یوصف بالمجیء والذهاب، تعالی عن الانتقال وإنما یعنی به وجاء أمر ربک والملک صفا صفا»(۳).

وهناک معنی آخر للمجیء ذکره العلامه الطباطبائی صاحب تفسیر المیزان هو (أن

۱- سوره فاطر، الآیه: ۱۵.

۲- سوره الرعد، الآیه: ۱۶.

۳- التوحید للصدوق: ص۱۶۲، ح۱.

المجیء یعنی حصول القرب وارتفاع المانع والحاجز بین الشیئین)(۱).

وقوله علیه السلام:

(یُوجِدُ المفقُودَ ویُفْقِدُ المَوجُودَ).

أوجد الله الشیء: أنشأه من غیر سبق مثال، وفلانا أغناه، یقال: الحمد لله الذی أوجدنی بعد فقر.

الواجد: من أسماء الله تعالی، وهو الغنی الذی لا یفتقر(۲).

فقد الشیء فقداً، الکتاب و المال ونحوه: خسره وعدمه(۳).

لا شک أن الله تعالی علی کل شیء قدیر، ووسعت قدرته کل ما ینطبق علیه مفهوم الشیء، فهو تعالی قادر علی غیر المحال إذ إن المحال باطل محض لعدم انطباق مفهوم الشیئیه علیه، وحیث إن الله تعالی هو خالق کل شیء فهو تعالی قد أبدع خلقه وأنشأه من غیر أن یقیس ذلک علی مثال سابق لغناه عن ذلک، فلقد ورد فی الروایات ما یشیر إلی ذلک کقول الإمام الصادق علیه السلام:

«لا یکوّن الشیء لا من شیء إلا الله، ولا ینقل الشیء من جوهریته إلی جوهر آخر إلا الله...»(۴).

وأمّا بالنسبه لفناء الأشیاء فلقد صرح تعالی بقوله:

(کُلُّ مَنْ عَلَیْهَا فَانٍ) (۵).

۱- تفسیر المیزان للسید الطباطبائی: ج۲، ص۱۰۴.

۲- المعجم الوسیط: ص۱۰۱۳.

۳- المعجم الوسیط: ص۶۹۶.

۴- بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج۴، ص۱۴۸، ح۲.

۵- سوره الرحمن، الآیه: ۲۶.

وفی هـذا إشاره إلی القانون الإلهی الـذی یحکم بانقطاع أمـد هذه النشأه الدنیویه وولاده نشأه أخری بعد التأمل فی النشأه الأولی التی هی الـدنیاومادیاتها والنشأه الأخری التی هی الآخره ومعنویاتها تظهر نتیجه واضـحه أن الله تعالی هو الذی أوجد ما کان فی العدم وعدم ما هو فی الوجود، وهذا ماصرح به الإمام الصادق علیه السلام:

«ولا ینقل الشیء من الوجود إلی العدم إلا الله»(۱).

وقوله علیه السلام:

(ولا تَجتمِعُ لِغَیرِهِ الصِّفَتانِ فی وَقتٍ).

ثبت فی محله أن لله تعالی نوعین من الصـفات هما الصـفات الثبوتیه والتی تسـمی بصفات الکمال والصفات السلبیه والتی تسمی بصـفات الجلال، والصـفات الثبوتیه تنقسم إلی قسـمین هما: الصـفات الـذاتیه وهی التی تنتزع من الذات فقط، والصـفات الفعلیه وهی التی تنتزع من مقام الفعل کالخالقیه والرازقیه.

وثبت أیضا أن صـفات الـذات هی عین الـذات کالحیاه والعلم والقـدره، أی أن قـدرته هی حیاته وحیاته هی قدرته فهو حی من حیث هو قادر وقادر من حیث هو حی، فبهذا اللحاظ نستطیع أن نقول أن أکثر من صفه اجتمعت له تعالی وفی وقت واحد.

وهنـاک معنی آخر کاجتمـاع الصـفتین له تعالی فی وقت کاتصافه بأنه یخلق ولا یخلق أو یرزق ولا یَرزق أو یرحم ولا یَرحم، إذ أن هذه الصفات هی من صفات الفعل ولیس من صفات الذات.

ولکی یتضح البحث نورد باقه من الروایات الشریفه التی تشیر إلی هذا المعنی:

۱ عن هشام بن الحکم فی حدیث الزّندیق الذی سأل أبا عبد الله علیه السـلام فکان من سؤاله أن قال له: (فله رضاً وسـخط؟ فقال أبو عبدالله علیه السلام:

۱- بحار الأنوار للمجلسی: ج۴، ص۱۴۸، ح۲.

«نعم ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أن الرضا حال تدخل عليه فتنقله من حال إلى حال؛ لأن المخلوق أجوف معتمل مركب، للأشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه لأنه واحد واحدى الذات واحدى المعنى، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، لأن ذلك من صفه المخلوقين العاجزين المحتاجين»(۱).

هذه الروايه تشير إلى اجتماع الرضا للمؤمنين والسخط على الكافرين في وقت واحد.

۲ عن حريز، عن محمد بن مسلم، (عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في صفه القديم:

«إنّه واحد صمد أحدى المعنى ليس بمعانٍ كثيره مختلفه».

قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع، قال: فقال عليه السلام :

«كذّبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

قال: قلت: يزعمون أنه بصير على مايعقلونه، قال: فقال عليه السلام :

«تعالى الله إنما يعقل ماكان بصفه المخلوق وليس الله كذلك»)(۲).

وهناك معنى آخر هو أنه تعالى يوجد المفقود ويفقد الموجود في وقت لا يشغله الإيجاد عن الافقاد ولا الافقاد عن الإيجاد، ولا يشغله أمر عن أمر ولا سمع عن سمع ولا صوت عن صوت.

۱- أصول الكافي للشيخ الكليني: ج۱، ص۶۴، ح۶.

۲- أصول الكافي للكليني: ج۱، ص۶۳، ح۱.

هل هما من صفات الذات؟

بيّنا أن هاتين الصفتين قد اتصف بهما الله سبحانه وتعالى، وأنهما بمعنى علمه بالمسموعات والمبصرات، وأن ذكرهما قد ورد فى القرآن الكريم وعلى لسان أهل بيت العصمه عليهم السلام.

وكذلك بيّنا سعه هاتين الصفتين ودقتهما وأنهما فى الله تعالى ليس كما فى خلقه، وأن إطلاق اسمى السميع البصير عليه تعالى لا يشابه إطلاقه على غيره.

بعد هذا البيان لنا أن نسأل عن هاتين الصفتين هل هما من صفات الذات أم من الصفات الفعليه؟

الجواب عن ذلك سيعرف من خلال وقوفنا على الأحاديث التى وردت عن أهل البيت عليهم السلام إذ إنها تبين لنا نوع هاتين الصفتين وهى كما يلى:

فى السمع

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«سميعا إذ لا مسموع».

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

وقال عليه السلام:

«والسمع ذاته ولا مسموع».

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع».

البصر

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«بصير إذ لا منظور إليه من خلقه».

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«لم يزل الله عزّ وجل ربنا... والبصر ذاته ولا مبصر... فلما أحدث الأشياء وقع البصر على المبصر».

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع»(۱).

من خلال التمعن فی هذه الأحاديث الشريفه نجد قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«سميعا إذ لا مسموع».

يثبت أن الله تعالى متصف بالسمع والبصر قبل أن يخلق المسموعات والمبصرات وهذا يدل على أن هاتين الصفتين من صفات الذات.

ولو نظرنا أقوال الإمامين الباقر والرضا عليهما السلام:

«يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

يتضح لنا أن هاتين الصفتين لا يمكن أن تكونا هكذا إلا إذا كانتا عين الذات فيلزم أنهما من صفات الذات، وتصريح الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«والسمع ذاته ولا مسموع».

لا يحتاج إلى توضيح وبيان كما أن قول الإمام الصادق عليه السلام:

«والبصر ذاته ولا مبصر فلما أحدث الأشياء وقع البصر على المبصر».

يصرح بأن البصر صفه ذات يتصف الله تعالى بها منذ الأزل.

١- التوحيد للشيخ الصدوق: ص٦٥.

وهاتان الصفتان لا يخرجا عن علمه فلذلك قال الإمام الصادق عليه السلام:

«وقع البصر على المبصر».

أى وقع العلم الذاتى على المعلوم.

سؤال مهم

اشاره

السؤال: هل يصح أن نطلق عليه أنه شام أو ذائق أو لامس لعلمه بالمذوقات والمشمومات والملموسات؟

الجواب:

ألف

لا- نصف ربنا إلاّ- بما وصف به نفسه ونقف عند ذلك دون أن نخوض فى غيره استحسانا أو اجتهاداً وقياساً وهذا ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام فى حديث طويل فيقول:

«سبحانه ما عرفوك ولا وحدوك ومن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن شبّهوك بغيرك إلهى لا أصفك إلاّ بما وصفت به نفسك، ولا أشبّهك بخلقك، أنت أهل لكلّ خير فلا تجعلنى من القوم الظالمين»(۱).

وجاء عن محمد بن سليمان، عن على بن إبرهيم الجعفرى، عن عبد الله بن سنان، (عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال:

«إنّ الله عظيم، رفيع، لا- يقدر العباد على صفته، ولا- يبلغون كنه عظمته، لا- تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، ولا يوصف بكيف

۱- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ۱۱۰، ح۱۳.

ولا ـ أين ولا ـ حَيث فكيف أصفه بكيف وهو الذى كيّف الكيف حتّى صار كيفاً، فعرفت الكيف بما كيّف لنا من الكيف، أم كيف أصفه بأين وهو الذى أيّن الأين حتّى صار أيناً، فعرفت الأين بما أيّن لنا من الأين، أم كيف أصفه بحيث وهو الذى حيّث الحيث حتّى صار حيثاً، فعرفت الحيث بماحيّث لنا من الحيث، فالله تبارك وتعالى داخل فى كلّ مكان، وخارج من كلّ شىء، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، لا إله إلّا هو العلىّ العظيم، وهو اللطيف الخبير»(۱).

باء

هناك قول لأهل العلم لا يصح إطلاق الشام أو الذائق عليه تعالى للزوم صفات الماده فيقول: (يجب أن يكون سميعا بصيراً، لأنه حى لا آفه به، وفائده السميع البصير أنه على صفه يجب فيها أن يسمع المسموعات، ويبصر المبصرات، وذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفه به، ولا يوصف بأنه سميع بصير، والمعلوم خلاف ذلك.

وأمّا سامع مبصر فمعناهما أنه مدرك للمسموعات والمبصرات، وذلك يقتضى وجود المسموعات والمبصرات فلذلك لا يوصف بهما فى الأزل، فأمّا شام وذائق فليس المراد بهما كونه مدركاً بل المستفاد بالشام أنه قرب الجسم المشموم إلى حاسه شمه، والذائق أنه قرب الجسم المذوق إلى حاسه ذوقه، ولذلك (يقولون شممته فلم أجد له رائحه، وذقته فلم أجد له طعماً ولا) يقولون: أدركته فلم أدركه لأنه مناقضه وجرى مجرى قوله أصغيت له فلم أسمعه فهما بأن يكونا سبب الإدراك على وجه دون أن يكونا نفس الإدراك)(۲).

۱- التوحيد للصدوق: ص ۱۱۱ ۱۱۲، ح۱۴.

۲- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للشيخ محمد بن الحسن الطوسى: ص۵۷ ۵۸.

لا تدرکه الأبصار وهو یدرک الأبصار

امتناع الرؤیه

استشهد القرآن الناطق الإمام المعصوم علیه السلام بآیه من القرآن الکریم فی خطبته الشریفه لیقول بلسان فصیح وقول صریح أن الحق سبحانه أجل وأکبر وأعظم من أن تناله الأبصار أو تدرکه الأفهام، امتنع علیها بوجوب وجوده وعجزت عن إدراکه بإمکان وجودها، وتعالی بکماله اللامتناهی عن نقصها المحض، وارتفع بغناه المطلق عن فقرها اللامحدود، فلذا صارت محالاً رؤیته، سمت فوق العقول ذاته، فلا یعرفه إلا بصفته ولا یری إلا بالبصیره، فهو تعالی أکبر من أن یقال شیء عن رؤیته ولذا نقسم القوم إلی ثلاث فرق:

۱ قالت العدلیه بعدم رؤیته تعالی بالبصر سواء کانت الرؤیه فی الدنیا أو فی الآخره.

۲ جوّز المجسمه رؤیته تعالی بالبصر فی الدارین.

۳ قال بعض الأشاعره برؤیته تعالی یوم القیامه وإنه سینکشف إلیهم کانکشاف القمر لیله البدر، وحیث إن قول المجسمه یستلزم شروطاً للرؤیه، فلابد أن نذکرها کما یلی:

۱ یستلزم تحقق الرؤیه أن یکون المرئی فی جهه معینه.

۲ یستلزم تحقق الرؤیه أن یکون المرئی مقابلا للرائی أو ما فی حکم المقابل کما فی المرآه.

۳ یستلزم تحقق الرؤیه أن تنعکس صوره المرئی علی العین.

۴ أو أن تکون الرؤیه بواسطه خروج شعاع مخروطی الشکل فیقع علی المرئی.

وبنـاء على ما تقـدم من الأقوال جميعاً يلزم أن يكون المرئى جسـماً محـدوداً ذا أبعاد مختلفه كالطول والعرض والعمق، كما يلزم منهـا أن يكون واجب الوجود ممكنـا له كـل صـفات الممكنـات، فينتفى الكمال المطلق له تعالى ويتصف بالنقص تعالى الله عن ذلک علواً كبيراً.

وبعـد أن حكم العقل السليم بعـدم صـحه القول برؤيته تعالى بالبصـر لابد أن نؤيد حكم العقل بما جاء فى الكتاب الكريم، وبما صرح به لسان العصمه من أحاديث محمد وآل محمد صلوات الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

الآيات الكريمه

قال الله تبارک وتعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (۱).

وقوله تعالى:

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَيْکَ قَالَ لَنْ تَرَانِی وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِی فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَيْکَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (۲).

وقال سبحانه وتعالى:

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (۳).

۱- سوره الأنعام، الآيه: ۱۰۳.

۲- سوره الأعراف، الآيه: ۱۴۳.

۳- سوره البقره، الآيه: ۲۵۵.

وقوله تعالى:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (۱).

وبهذه الباقه العطره من الآيات الكريمه التى تفند مدعى الرؤيه البصريه نكتفى بالرد على من يقول بجواز رؤيته تعالى بالبصر.

الأحاديث الشريفه

ما نطق به لسان أهل الذكر، وما صرحت به كلماتهم عليهم السلام يرشدنا إلى صحه ما حكم به العقل من رفض التجسيم لله تعالى ورفض الرؤيه البصريه التى تستلزم التجسيم، ولكى تنشرح الصدور بأحاديثهم النورانيه نذكرها كالآتى:

۱ ورد عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً فى مسجده إذ دخل عليه رجل من اليهود فقال: يا محمّد ما تدعو؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«إلى شهاده أن لا إله إلّا الله وأنّى رسول الله».

قال: يا محمّد أخبرنى عن هذا الربّ الّذى تدعو إلى وحدانيّته وتزعم أنّك رسوله كيف هو، قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«يا يهوديُّ إنّ ربّى لا يوصف بالكيف لأنّ الكيف مخلوق وهو مكيّفه».

قال: فأين هو؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«إنّ ربّى لا يوصف بالأين لأنّ الأين مخلوق وهو أيّنه».

۱- سوره الشورى، الآيه: ۱۱.

قال: فهل رأيته يا محمّد؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«إنّه لا يرى بالأبصار ولا يدرك بالأوهام».

قال: فبأيّ شيء نعلم أنّه موجود؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«بآياته وأعلامه».

قال: فهل يحمِل العرش أم العرش يحمله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

«يا يهودى إنّ ربّى ليس بحالٍ ولا محلّ».

قال: فكيف خروج الأمر منه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«بإحداث الخطاب فى المحالّ».

قال: يا محمّد أليس الخلق كلّه له؟! قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«بلى».

قال: فبأيّ شيء اصطفى منهم قوماً لرسالته؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«بسبقهم إلى الإقرار بربوبيّته».

قال: فَلِمَ زعمت أنّك أفضلهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«لأنّى أسبقهم إلى الإقرار بربّى عزّ وجلّ».

قال: فأخبرنى عن ربّك هل يفعل الظلم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«لا».

قال: ولِمَ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«لعلمه بقبحه واستغنائه عنه».

قال: فهل أنزل عليك فى ذلك قرآناً يتلى؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«نعم: إنّه يقول عزّ وجلّ:

(وَمَا رَبُّکَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِیدِ) (۱).

ویقول تبارک وتعالی :

(إِنَّ اللَّهَ لَا یَظْلِمُ النَّاسَ شَیْئًا وَلَکِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ) (۲).

ویقول سبحانه وتعالی :

(وَمَا اللَّهُ یُرِیدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِینَ) (۳).

ویقول عزّ وجلّ :

(وَمَا اللَّهُ یُرِیدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) (۴)».

قال الیهودی: یا محمّد فإن زعمت أن ربّک لا یظلم فکیف أغرق قوم نوح علیه السلام وفیهم الأطفال؟ فقال صلی الله علیه وآله وسلم :

«یا یهودی إنّ الله عزّ وجلّ أعقم أرحام نساء قوم نوح أربعین عاماً فأغرقهم حین أغرقهم ولا طفل فیهم، وما کان الله لیهلک الذرّیه بذنوب آبائهم، تعالی عن الظلم والجور علوّاً کبیراً».

قال الیهودی: فإن کان ربّک لا یظلم فکیف یخلّد فی النار أبد الآبدین من لم یعصه إلاّ أیّاماً معدوده؟ قال صلی الله علیه وآله وسلم :

«یخلّده علی نیّته، فمن علم الله نیّته أنّه لو بقی فی الدنیا إلی انقضائها کان یعصی الله عزّ وجلّ یخلّده فی ناره علی نیّته، ونیّته فی ذلک شرّ من عمله، وکذلک یخلّد من یخلّد فی الجنّه بأنّه ینوی أنّه لو بقی فی الدنیا أیّامها لأطاع الله أبداً، ونیّته خیر من

۱- سوره فصلت، الآیه: ۴۶.

۲- سوره یونس، الآیه: ۴۴.

۳- سوره آل عمران، الآیه: ۱۰۸.

۴- سوره غافر، الآیه: ۳۱.

عمله، فبالنّيات يخلّد أهل الجنّه فى الجنّه وأهل النار فى النار، والله عزّ وجلّ يقول:

(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا) (۱)».

قال اليهودى: يا محمّد إنّى أجد فى التوراه أنّه لم يكن لله عزّ وجلّ نبىّ إلّا كان له وصىّ من أمّته فمن وصيّك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«يا يهودى وصيّى علىّ بن أبى طالب عليه السلام واسمه فى التوراه أليا وفى الإنجيل حيدار، وهو أفضل أمّتى وأعلمهم بربّى، وهو منّى بمنزله هارون من موسى إلّا أنّه لا نبىّ بعدى، وأنّه لسيّد الأوصياء كما أنّى سيّد الأنبياء».

فقال اليهودى: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله وأنّ علىّ بن أبى طالب وصيّك حقّاً، والله إنّى لأجد فى التوراه كلُّ ما ذكرت فى جواب مسائلى، وإنّى لأجد فيها صفتك وصفه وصيّك، وأنّه المظلوم ومحتوم له بالشهاده، وأنّه أبو سبطيك وولديك شبراً وشبيراً سيّدى شباب أهل الجنه)(۲).

۲ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (جاء حِبْرٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ فقال عليه السلام :

«ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره».

قال: وكيف رأيته؟ قال عليه السلام :

«ويلك لا تدركه العيون فى مشاهده الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»)(۳).

۳ ومن الروايات التى تبين أن القول بالرؤيه البصريه يجر إلى التشبيه المحال

۱- سوره الإسراء، الآيه: ۸۴.

۲- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص۳۸۶ ۳۸۷ فى الهامش.

۳- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص۱۰۶، ح۶.

والباطل قول الإمام أبی الحسن الثالث علیه السلام: (عن أحمد بن إسحاق، قال: کتبت إلی أبی الحسن الثالث علیه السلام أسأله عن الرؤیه وما فیه الناس فکتب علیه السلام:

«لا- تجوز الرؤیه ما لم یکن بین الرائی والمرئیّ هواء ینفُذه البصر، فإذا انقطع الهواء وعدم الضیاء بین الرائی والمرئیّ لم تصحّ الرؤیه وکان فی ذلک الاشتباه لأنّ الرائی متی ساوی المرئیّ فی السبب الموجب بینهما فی الرؤیه وجب الاشتباه وکان فی ذلک التشبیه، لأنّ الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبّبات»).

۴ وهذه الروایه تکذّب من افتری علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بأنه رأی ربه بالبصر فیقول: (عن ابن فضّال، عن أبی جمیله، عن محمّد بن علیّ الحلبی، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قوله عزّ وجلّ:

(یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ) (۱).

قال:

«تبارک الجبّار».

ثمّ أشار إلی ساقه فکشف عنها الإزار، قال:

«ویدعون إلی السجود فلا یستطیعون».

قال:

«أُفحِم القوم ودخلتهم الهَیْبَه، وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، خاشعه أبصارهم ترهقهم ذلّه وقد کانوا یدعون إلی السجود وهم سالمون»)(۲).

وهناک الکثیر من الروایات التی ترکناها لتجنب الوقوع فی الإطاله.

۱- سوره القلم، الآیه: ۴۲.

۲- کتاب التوحید للشیخ الصدوق: ص۱۴۹ ۱۵۰.

الرؤيه القلبيه

لا تخلو الرؤيه من أحد المعنيين، المعنى الحقيقى أو المعنى المجازى لها، فإن كان مرادنا من الرؤيه المعنى الحقيقى لها فهى بمعنى الإدراك الحسّى أى الرؤيه البصريه، وإن كان مرادنا المعنى المجازى لها فهى بمعنى الإدراك العلمى التام أى الرؤيه بالبصيره أو ما يسمى بالرؤيه القلبيه، وقد تقدم بطلان الرؤيه بالمعنى الأول عقلاً ونقلاً، فتنحصر الرؤيه بالمعنى الثانى ولهذا نقول:

إن عظمه الحق سبحانه تتجلى فى ذاته وصفاته وأفعاله، وحيث إن الذات الإلهيه لا يحاط بها لإحاطتها بكل شىء فلذا عجز المخلوق مهما ارتفعت رتبته وعلت مكانته وسمى فوق غيره من أن ينال الذات الإلهيه أو يعرف كنهها وهذا ما أكده الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله: (عن محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن على بن رئاب، عن أبى بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«تَكَلَّمُوا فِى خَلْقِ اللهِ وَلاَ تَتَكلّمُوا فِى اللهِ فَإنَّ الكَلامَ فِى اللهِ لا يَزْدادُ صاحِبُهُ إلاّ تَحَيُّراً».

وفى روايه أخرى عن حَريزٍ، قال عليه السلام:

«تَكَلَّمُوا فِى كُلِّ شَىْءٍ وَلاَ تَتَكَلَّمُوا فِى ذاتِ اللهِ»)(۱).

والنظر فى ذات الله تعالى يؤدى إلى وقوع الناظر فى التيه والضلال والاضطراب كما فى هذا الحديث:

(عن محمد بن حُمران، عن أبى عبيده الحذاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«يا زِيادُ، إيّاکَ وَالخُصُوماتِ فَإنَّها تُورِثُ الشَّکَّ وَتُحْبِطُ العَمَلَ وَتُرْدِى صاحِبَها وَعَسى أنْ يَتَكَلَّمَ بِالشَّىْءِ فَلا يُغْفَرُ لَهُ، إنَّهُ كانَ فِيما مَضى قَوْمٌ تَرَكُوا عِلْمَ ما

۱- أصول الكافى للشيخ الكلينى: ج ۱، ص۱۱۴، باب النّهى عنِ الكلام فى الكيفيه، ح ۱.

وُكِلُوا بِهِ وَطَلَبُوا عِلْمَ ما كُفُوهُ حَتّى انْتَهى كَلامُهُمْ إلَى اللهِ فَتَحَيَّرُوا حَتّى أنْ كانَ الرَّجُلُ لَيُدْعى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيُجِيبُ مِنْ خَلْفِهُ وَيُدْعى مِنْ خَلْفِهِ فَيُجِيبُ مْنْ بَيْنِ يَدَيْهِ».

وفی روایهٍ أخری:

«حَتّی تاهُوا فی الأرضِ»(۱).

بل إن المفكر فی ذات الله تعالی الذی یبغی الإحاطه بها جاهل محض وعاجز ضعیف وسیقوده تفكیره فی ذلك إلی عاقبه سیئه كما فی قول الإمام أبی عبد الله الصادق علیه السلام:

«مَنْ نَظَرَ فِی اللهِ كَیْفَ هُوَ، هَلَكَ»(۲).

فلذا أبی الإمام أبو جعفر علیه السلام إلا أن یرشدنا وینصحنا رعایه منه لنا ورحمه منه بنا بقوله:

«إیّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِی اللهِ وَلكِنْ إذا أرَدْتُمْ أنْ تَنْظُرُوا إلی عَظَمَتِهِ فَانْظُرُوا إلی عَظیمِ خَلْقِهِ»(۳).

وبعد هذه الجوله فی أحادیث أهل العصمه والطهاره علیهم السلام صار لابد لنا أن نتأمل فیها بإمعان ونستلهمها بقوه ونسترشد بها بدقه لكی نصل إلی اطمئنان القلب وسكون النفس وخضوع الجوارح ونسلم بأن رؤیه الله تعالی لا تتم من خلال الحواس، ولا تتحقق رؤیه الذات الإلهیه إلا من خلال النظر فی عظمتها وصفاتها، فبناء علی ما تقدم لا تكون الرؤیه إلا بالبصیره، ولا تتحقق إلا الرؤیه القلبیه وهذا ما تؤكده الأحادیث والروایات الشریفه التی سنقف علی مضامینها الآتیه:

۱- أصول الكافی للكلینی: ج ۱، ص۱۱۵، باب النّهی عنِ الكلام فی الكیفیه، ح۴.

۲- أصول الكافی للكلینی: ج ۱، ص۱۱۵، باب النهی عن الكلام فی الكیفیه، ح۵.

۳- أصول الكافی للشیخ الكلینی: ج ۱، ص۱۱۶، باب النهی عن الكلام فی الكیفیه، ح۷.

۱ فی هذا الحدیث الشریف یؤکد الإمام علیه السلام علی عدم إمکان تحقق الرؤیه البصریه لجلال الله تعالی عن صفات الأجسام، کما یؤکد علی حصول الرؤیه القلبیه لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فیقول:

«إنَّ اللهَ تَبارَکَ وَتَعالی أری رَسُولَهُ بِقَلْبِهِ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ ما أحَبَّ»(۱).

۲ وحدیث الإمام أبی جعفر علیه السلام یشیر إلی أن الرؤیه القلبیه تتحقق لکل مؤمن عالم عارف بربّه من خلال نظره فی آیات الله تعالی الأنفسیه والآفاقیه، فیقول: (عن علی بن معبد، عن عبد الله بن سنان، عن أبیه قال: حضرت أبا جعفر علیه السلام فدخلَ علیه رجلٌ من الخوارج فقال له: یا أبا جعفر، أیّ شیء تعبد؟ قال علیه السلام :

«الله تعالی».

قال: رأیته؟ قال علیه السلام :

«بَلْ لم تَرَهُ العیونُ بمشاهده الأبصار ولکن رأته القلوب بحقائق الإیمان، لا یعرف بالقیاس ولا یدرک بالحواس، ولا یشبه بالناس، موصوف بالآیات، معروف بالعلامات، لا یجور فی حکمه، ذلک الله لا إله إلا هو».

قال: فخرج الرجل وهو یقول: الله أعلم حیث یجعل رسالته)(۲).

۳ بیّن الإمام أبو الحسن الرضا علیه السلام أن رؤیه الذات الإلهیه لا یمکن تتحققها بالبصر ولا بالبصیره معاً لمحدودیه الرائی وقصوره عن إدراک الذات اللامتناهیه، فلذا قال: (عن أحمد بن محمد، عن أبی هاشم الجعفری، قال سألت أبا الحسن الرضا علیه السلام: عنِ الله یوصفُ؟ قال علیه السلام :

«أما تَقرَأ القرآن؟».

۱- أصول الکافی للکلینی: ج۱، ص۱۱۴، بابٌ فی إبطال الرّؤیه، ح۱.

۲- أصول الکافی للشیخ الکلینی: ج۱، ص۱۱۹، باب فی إبطال الرؤیه، ح۵.

قُلتُ: بَلی، قال علیه السلام :

«أما تقرأ قوله تعالی:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)

قلت: بلی، قال علیه السلام :

«فتعرفون الأبصار؟».

قلتُ: بلی، قال علیه السلام :

«ما هی؟».

قلت: أبصار العیون، فقال علیه السلام :

«إنّ أوهام القلوب أکبر من أبصار العیون فهو لا تدرکه الأوهام وهو یدرک الأوهام»(۱).

وهناک الکثیر من الروایات التی تؤکد هذا المعنی لجمنا عنها قلمنا لکی لا نقع فی الإطاله.

ما هو سبب شبهه الرؤیه؟

إن الذین قالوا بجواز رؤیته تعالی بالبصر وقعوا فی شبهه التجسیم بسبب فهمهم الخاطئ للآیات الکریمه، وبسبب ابتعادهم عن نهج العتره الطاهره والثقل الأصغر، فقادهم هذا الابتعاد إلی التعامل مع الآیات الکریمه بسطحیه وبساطه فی الفهم، ودفعهم إلی الجمود علی ظواهر الآیات الکریمه وهذا بدوره أدی إلی صدور أفکار مخالفه للعقل وأقوال تتقاطع مع النصوص الصریحه فی تنزیه الحق سبحانه کقوله تعالی:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (۲).

۱- أصول الکافی: ج۱، ص۱۲۰، باب فی قوله تعالی: (لا تدرکه الأبصار وهو یدرک الأبصار)، ح۱۰.

۲- سوره الأنعام، الآیه: ۱۰۳.

وقوله تعالی:

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (۱).

وقال سبحانه وتعالی:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (۲).

وقد ترک هذا الفهم السطحی والخاطئ ترکه فکریه ثقیله علی عقول بعض طوائف المسلمین وهذا ما نلمسه من الحدیث الآتی:

(عن أحمد بن إدریس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صـفوان بن یحیی قال: سألنی أبو قرّه المحدث أن أدخله علی أبی الحسن الرضا علیه السـلام فاستأذنته فی ذلک فأذن لی فدخل علیه فسأله عن الحلال والحرام والأحکام حتّی بلغ سؤاله إلی التوحید فقال أبو قرّه: إنا روینا أنّ اللَّه قسم الرؤیه والکلام بین نبیّین، فقسم الکلام لموسی ولمحمد الرؤیه، فقال أبو الحسن علیه السلام:

«فمن المبلغ عن الله إلی الثقلین من الجن والإنس:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)، و(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) ، و (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

ألیس محمد صلی الله علیه وآله وسلم؟».

قال: بلی. قال علیه السلام:

«کیف یجیء رجل إلی الخَلقِ جمیعا فیخبرُهُمْ أنّه جاء من عند الله وأنّه یدعوهم إلی الله بأمر الله فَیقولُ: (لا تدرکه الأبصار)، و(لا یحیطون به علما)، و(لیس کمثله شیء)، ثمّ یقول: أنا رأیته بعینی وأحطت به علما وهو علی صوره البشر، أما

۱- سوره طه، الآیه: ۱۱۰.

۲- سوره الشوری، الآیه: ۱۱.

تستحونَ؟ ما قدَرَتِ الزَّنادقه أن ترميه بهذا أن يكون يأتى من عند الله بشىء ثمّ يأتى بخلافه من وجه آخر».

قال أبو قرّه: فإنّه يقول:

(وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى) (۱).

فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إنّ بعد هذه الآيه ما يدلّ على ما رأى حيث قال:

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)

يقول: ما كذب فؤادُ محمّد ما رأتْ عَيناهُ، ثمّ أخبر بما رأى فقال:

(لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (۲).

فآيات اللهِ غير اللهِ وقد قال الله:

(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا).

فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفه».

فقال أبو قرّه: فتُكَذِّبُ بالرّوايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إذا كانَتِ الرّوايات مخالفه للقرآن كذّبتُها، وما أجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَيهِ أنّه لا يُحاط به عِلْماً ولا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ»(۳).

فمن هذا الحديث الذى سقناه إليكم تظهر بعض الإرشادات التى أفاض بها الإمام عليه السلام على السائل لكى يضع قدمه على الصراط المستقيم، ويرتفع اللبس عن عقله وتنار ظلمه أفكاره بنور الإمام عليه السلام وهى كما يلى:

۱- سوره النجم، الآيه: ۱۳.

۲- سوره النجم، الآيه: ۱۸.

۳- أصول الكافى للشيخ الكلينى: ج۱، ص۱۱۷ ۱۱۸، باب فى إبطال الرّؤيه، ح۲.

۱ فی حاله وجود تقاطع مع کلام الله تعالی یقدم کلام الله تعالی علی غیره من الکلام وإن کان منسوباً إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

۲ یؤکد الإمام علیه السلام للسائل أن حدیث النبی صلی الله علیه وآله وسلم لا یناقض القرآن الکریم کون مصدرهما واحداً وهو نفس النبی صلی الله علیه وآله وسلم.

۳ ثم یفسر الإمام علیه السلام الآیات تفسیرا یدفع شبهه الرؤیه البصریه عن نهم السائل الذی أوسر عقله بفهم خاطئ للآیه.

معنی الإدراک الإلهی

ورد قوله تعالی:

(لَا تُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصَارَ) (۱).

کعباره علی لسان الإمام الحسن علیه السلام یصف بها ربه سبحانه، ولکی نقف علی معنی هذه العباره لابد أن نعرف معنی الإدراک.

الإدراک فی اللغه: أدرک الشیء: بلغ علمه أقصی الشیء(۲).

الإدراک فی الاصطلاح: هو علمه تعالی بالمدرکات والإحاطه بها.

إذا اطلع الإنسان علی أمر ما فی الواقع الخارجی یدرکه بأحد حواسه الخمس، أمّا من خلال البصر أو السمع أو الذائقه أو اللمس أو الشم فیستطیع أن یصفه بحسب علمه الحسی لذلک الشیء المحسوسیّ، لکن الإدراک بالنسبه لله تعالی لا یمکن أن یکون کذلک لتنزّهه تعالی عن الحواس، فیکون إدراکه تعالی للأشیاء المدرکه هو علمه بها دون اشتباه أو التباس أو خطأ، وکیف لا یدرک المحسوسات وغیرهاوهو الذی أحاط بکل شیء علما؟

۱- سوره الأنعام، الآیه: ۱۰۳.

۲- المعجم الوسیط: ص۲۸۱.

وهو اللطيف الخبير

اللطيف

للطيف معنيان هما:

اللطيف: (من أسماء الله الحسنی البر بعباده الرفيق بهم والعالم بخفايا الأمور ودقائقها.

اللطيف: الصغير، الرقيق، ألطف فلانا بكذا: أتحفه وبرّه.

استلطف الشيء: قربه منه وألصقه بجنبه.

اللّطّف: الرفق، الهديه، يقال: أهدى إليه لطفا، وما أكثر تحفه وألطافه.

اللطف: من قبل الله تعالی: التوفيق العصمه)(۱).

فلو تأملنا هذه المعانی لكلمه (اللطيف، اللطف) لانطبقت بعضها علی صفته تعالی، فهو الرفيق بعباده الحنّان الذی يرأف بعبده أكثر من رأفه الوالدين بالصغير، وهو الذی يغدق علی عبده بعطاياه ومنحه ونعمه، ويتقرب إلی صالحهم ويوفقه ويحول بينه وبين الآثام والخطايا رحمه وحباً وتفضلاً.

فالله تعالی لطيف بالمعنی الذی يليق بشأنه سبحانه، كما أنه تعالی منزه عن معنی الصغير أو الرقيق التی هی من معانی صفات الممكنات المحدوده العاجزه.

وهناك معنی آخر يتضح من خلاله اسم اللطيف: وهو أن الله تعالی خلق خلقاً فی غايه الصغر والدقه واللطافه وقد أحاط به علما فلذا سمی باللطيف وهذا ما تؤكده الروايات الشريفه:

ورد عنه عليه السلام:

«إن الله سبحانه وتعالی لا يخفی عليه ما العباد مقرّفون فی ليلهم ونهارهم، لطف به خيرا وأحاط به علما».

۱- المعجم الوسيط: ص۸۲۶.

ورد عنه عليه السلام:

«لا إله إلا الله اللطيف بمن شرد عنه من مسرفى عباده ليرجع عن عتوه وعناده».

عن الإمام الحسن عليه السلام:

«ربنا اللطيف بلطف ربوبيته».

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«سميناه، لطيفا للخلق اللطيف ولعله بالشىء اللطيف ما خلق من البعوض والذره، وما هو أصغر منها لا يكاد تدركه الأبصار والعقول، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته، لا يعرف من ذلك لصغر الذكر من الأنثى، ولا الحديث المولود من القديم الوالد، فلما رأينا لطف ذلك فى صغره وموضع العقل فيه والشهوه للفساد، والهرب من الموت، والحدب على نسله من ولده، ومعرفه بعضها بعضا، وما كان منها فى لجج البحار، وأعنان السماء، والمفاوز والقفار، وما هو معنا فى منزلنا، ويفهم بعضهم بعضا من منطقهم، وما يفهم من أولادها ونقلها الطعام إليها والماء، علمنا أن خالقها لطيف، وإنه لطيف بخلق اللطيف».

عن الإمام الرضا عليه السلام:

«وأمّا اللطيف فليس على قله وقضافه (دقه) وصغر، ولكن ذلك على النفاذ فى الأشياء، والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل لطف عنى هذا الأمر ولطف فلان فى مذهبه، وقوله يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفا لا يدركه الوهم، فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدركه بحد أو يحد بوصف، واللطافه منا الصغر والقله، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى».

وهناك الكثير من الروايات التى تؤكد نفس المعنى لكلمه اللطيف الذى ورد فى الروايات المبينه أعلاه.

الخبير

جاء المعنى اللغوى لاسم الخبير بمعنى: اسم من أسماء الله عز وجل، وهو العالم بما كان وما يكون، وذو الخبره الذى يخبر الشيء بعلمه وفى التنزيل العزيز (فاسأل به خبيرا)(١).

فالله تعالى هو واجب الوجود الذى اتصف بصفات كماليه مطلقه كالعلم والإحاطه بكل شيء، وهو الذى لا يعزب عنه شيء ولا يفوته مهما دق وصغر واختفى، وهو الذى يعلم السر وأخفى، مما يدل على إحاطه علمه بحقيقه الأشياء وبظاهرها وباطنها وهذا ما أكده الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«وأمّا الخبير فالذى لا يعزب عنه شئ ولا يفوته، ليس للتجربه ولا للاعتبار بالأشياء، وأمّا فى بعض المصادر: فتفيده التجربه والاعتبار علما لولاهما ما علم؛ لأن من كان كذلك كان جاهلا، والله تعالى لم يزل خبيرا بما يخلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى»(٢).

وعنه أيضا عليه السلام:

«لم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير، يعلم السر وأخفى، آمر بالصلاح، ناه عن الفساد»(٣).

وتشير الأحاديث التى سبق ذكرها إلى خبرته التى هى بمعنى الإحاطه التامه بما خلق لا عن تجربه أو اعتبار كما يحصل ذلك فى البشر، كما أن خبرته لم تكن عن تعلم لرفع جهل أو تدريب لصقل موهبه.

١- المعجم الوسيط: ص٢١٥.

٢- موسوعه العقائد الإسلاميه: ج٤، ص٢٠١، ح٤٥٥٤.

٣- المصدر السابق: ح٤٥٥٥.

استخلص الوحدانیه والجبروت

عند الوقوف علی هذه العبارات الحسینیه التی نطق بها لسان العصمه، وصرح بها عقل الإمامه تلمس المعانی الملکوتیه التی تسمو بسامعها إلی سحاب الحکمه وشمس الحقیقه الإلهیه التی تحار العقول فی معرفه کنهها وتعجز الألباب عن الإحاطه بها، وأنی لغیر عنوان العصمه وسلیل النبوه ومعدن العلم أن یقف علی عمق هذه المفردات؟ إلّا أن ذلک لا یمنع عن بیان ما وصلت إلیه الأفهام وأدرکته العقول فأقول:

تقدم بیان المعنی اللغوی لمفرده الوحدانیه فی شرح المعنی العام، فلذا نعطف الکلام علی بیان المعنی الاصطلاحی للمفرده فتأتی الوحدانیه بعده معانی کلها تنطبق علی الذات المقدسه، فتاره بمعنی لا نظیر له ولا شبیه، وأخری بمعنی الذات البسیطه التی لا ترکیب فیها ولا أجزاء لها، وثالثه بمعنی المعبود الذی لا معبود سواه، ویترسخ معنی الوحدانیه فی عقولنا.

عندما نتأمل هذا الکون الفسیح وهذه الموجودات الممکنه التی تنصور کأنها مجموعه واحده لما فیها من ارتباط وتناسب وهذا بدوره یدل علی أن صانعها ومدبرها واحد لا أحد سواه، وعند التفکر والنظر فی معنی الإله لا یظهر لنا إلا معنی واحداً وهو أن الإله هو الموجود الغنی مطلقاً، وهذا المعنی ینفی بدوره تعدد الإله، ولکی ندرک المعنی لابد من توضیح البرهانین فنقول: (وجدت فی هذا الکون موجودات مرتبطه بعضها ببعض أی لا تستطیع الاستغناء عن بعضها البعض فلو ضربنا مثلا نقول: لکی یتغذی الإنسان لابد من وجود نبات مثمر وهذا النبات یحتاج إلی أرض وماء وهواء وعوامل أخری لکی یعطی ثماره وإلا لو فقد عامل من هذه العوامل لما وجد النبات ولما تغذی الإنسان ولما تحققت غایه الخلقه التی هی العباده لله الواحد الأحد (وما خلقت الجن والإنسان إلا لیعبدون) فیظهر مما تقدم لابد من وجود ترابط بین الموجودات بل هو من سماتها دل هذا بدوره علی أن صانعها ومدبرها واحد لا أحد

سواه تعالی، وإلا للزم التعارض والتدافع والفساد کما فی قوله تعالی:

(قُلْ لَوْ کَانَ مَعَهُ آَلِهَهٌ کَمَا یَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَی ذِی الْعَرْشِ سَبِیلًا) (۱).

وقوله تعالی:

(لَوْ کَانَ فِیهِمَا آَلِهَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا یَصِفُونَ) (۲).

وأمّا لبیان البرهان الثانی نقول: لو فرضنا تعدد الآلهه للزم من فرضنا وجود جهات اختلاف بینهم، أی یتصف أحدهم بصفه غیر موجوده عند غیرهم فیلزم من ذلک الحاجه ویلزم من الحاجه الفقر وهذا خلاف صفات الإله الذی هو غنی مطلق، ومن جهه أخری لو قلنا بتعدد الآلهه للزم وجود الفواصل بینهم وهذا یؤدی بدوره إلی تعدد القدماء إذ إن الإله یتصف بالقدم فیلزم أن یکون الفاصل بینه وبین الإله الآخر قدیماً أیضا فیتعدد القدماء ویتسلسل الفواصل وحیث إن التسلسل باطل کما هو ثابت فی محله إذن یلزم من ذلک عدم التعدد ومن عدم التعدد یلزم القول بالوحدانیه.

ویؤید ما تقدم من بیان ما جاء فی القرآن الکریم من آیات کریمه نذکرها کما یلی:

۱ قال الله تبارک وتعالی:

(وَإِلَهُکُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِیمُ) (۳).

۲ قال الباری عزّ وجل:

(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَیْنِ اثْنَیْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِیَّایَ فَارْهَبُونِ) (۴).

۱- سوره الإسراء، الآیه: ۴۲.

۲- سوره الأنبیاء، الآیه: ۲۲.

۳- سوره البقره، الآیه: ۱۶۳.

۴- سوره النحل، الآیه: ۵۱.

۳ قال الله سبحانه وتعالی:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) (۱).

۴ قال الله تبارک وتعالی:

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (۲).

۵ قال الله عزّ وجل:

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (۳).

کما یؤکد ذلک ما ورد فی أحادیث أهل البیت علیهم السلام وهی کما یلی:

۱ عن إسحاق بن غالب، (عن أبی عبد الله علیه السلام، عن أبیه علیه السلام قال:

«قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی بعض خطبه:

الحمد لله الذی کان فی أوّلیّته وَحْدانیّاً، وفی أزلیّته متعظّماً بالإلهیّه، متکبّراً بکبریائه وجبروته ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق علی غیر مثالٍ کان سبق بشیءٍ ممّا خلق، ربّنا القدیم بلطف ربوبیّته وبعلم خُبره فتق وبإحکام قدرته خلق جمیع ما خلق، وبنور الإصباح فلق، فلا مبدّل لخلقه، ولا مغیّر لصنعه، ولا معقّب لحکمه، ولا رادّ لأمره، ولا مستراح عن دعوته ولا زوال لمُلکه، ولا انقطاع لمدّته، وهو الکَیْنون أوّلاً والدَیموم أبداً، المحتجب بنوره دون خلقه فی الأفق الطامح، والعزّ الشامخ والملک الباذخ، فوق کلّ شیءٍ علا، ومن کلّ شیءٍ دنا، فتجلّی لخلقه من غیر أن یکون یُری، وهو بالمنظر الأعلی، فأحبّ الاختصاص

۱- سوره الشعراء، الآیه: ۲۱۳.

۲- سوره الأنبیاء، الآیه: ۲۲.

۳- سوره التوحید، الآیه: ۱.

بالتوحيد إذ احتجب بنوره، وسما فى علوّه، واستتر عن خلقه، وبعث إليهم الرسل لتكون له الحجّه البالغه على خلقه ويكون رسله إليهم شهداء عليهم، وابتعث فيهم النبيّين مبشّرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بيّنه ويحيى من حىّ عن بيّنه، وليعقل العباد عن ربّهم ما جهلوه فيعرفوه بربوبيّته بعد ما أنكروا ويوحّدوه بالإلهيّه بعد ما عضدوا»)(۱).

۲ وصيّه من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام عند إنصرافه من صفّين، وقد جاء فيها:

«... واعلم يا بنىّ! أنّه لو كان لربّك شريك لأتَتْك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته.

ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا ـ يضادّه فى ملكه أحد، ولا يزول أبداً، أوّل قبل الأشياء بلا أوّليه، وآخر بعد الأشياء بلا نهايه...»(۲))(۳).

۳ حدّثنا أبى؛ وعبد الواحد بن محمّد بن عَبْدوس العطّار رحمهما الله، قالا: حدّثنا علىّ بن محمّد بن قُتَيبه، عن الفضل بن شاذان، عن محمّد بن أبى عمير، قال: (دخلت على سيّدى موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله علّمنى التوحيد فقال عليه السلام :

«يا أبا أحمد لا ـ تتجاوز فى التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره فى كتابه فتهلك واعلم أنّ الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتّخذ صاحبه ولا ولداً ولا شريكاً، وإنّه الحىّ الّذى لا يموت، والقادر الّذى لا يعجَز، والقاهر الّذى لا يغلب، والحليم الّذى لا يعجل، والدائم الّذى لا يَبيد، والباقى

۱- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص۴۵ ۴۶، ح۴.

۲- نهج البلاغه: قسم الرسائل، ص۴۹، الوصيه رقم ۳۱.

۳- العقائد الحقّه للسيد على الحسينى الصدر: ص۴۸، ح۲.

الّذى لا يَفْنى، والثابت الّذى لا يزول، والغنىّ الّذى لا يفتقر، والعزيز الّذى لا يذلّ، والعالم الّذى لا يجهل، والعدل الّذى لا يجور، والجواد الّذى لا يبخل، وإنّه لا تقدّره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شىء وهو السميع البصير (ما يكون من نجوى ثلاثه إلّا هو رابعهم ولا خمسه إلّا هو سادهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا) وهو الأوّل الّذى لا شىء قبله، والآخر الّذى لا شىء بعده، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث، تعالى عن صفات المخلوقين علوّاً كبيراً»)(١).

۴ عن أبى هاشم الجعفرى، قال: سألت أبا جعفر الثانى عليه السلام ما معنى الواحد؟ قال عليه السلام :

«الّذى اجتماع الألسن عليه بالتوحيد، كما قال الله عزّ وجلّ:

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (٢)»(٣).

۵ حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى رضى الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن سعيد بن يحيى البُزُورى، قال: حدّثنا إبراهيم بن الهيثم البلدىّ، قال: حدّثنا أبى، عن المعافى بن عمران، عن إسرائيل، عن المقدام بن شُرَيْح بن هانئ، عن أبيه، قال: (إنّ أعرابيّاً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أتقول إنّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه، قالوا: يا أعرابى أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

١- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص٧۴، ح٣٢.

٢- سوره لقمان، الآيه: ٢۵.

٣- كتاب التوحيد للصدوق: ص ٨٠، ح٢.

«دعوه، فإنّ الّذى يريده الأعرابى هو الّذى نريده من القوم».

ثمّ قال عليه السلام :

«يا أعرابى إنّ القول فى أنّ الله واحد على أربعه أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه، فأمّا اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ مالا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد، أما ترى أنّه كفر من قال: ثالث ثلاثه، وقول القائل: هو أحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالى، وأمّا اللذان الوجهان يثبتان فيه فقول القائل: (هو واحد ليس له فى الأشياء شبه، كذلك ربّنا، وقول القائل: إنّه عزّ وجل أحدى المعنى، يعنى به أنّه لا ينقسم فى وجوه ولا عقل ولا وهم كذلك ربّنا عزّ وجل)»(۱).

معنى الجبروت

جاء المعنى اللغوى للجبروت بمعنى القهر(۲)، والقهر يعنى الغلبه، والقهار اسم من أسماء الله الحسنى: الغالب لا يحد غلبته شيء(۳)، والتأمل فى هذه المعانى اللغويه يقودنا إلى معرفه أن الله تعالى غالب مهيمن له السلطه المطلقه لا ند ولا ضد له فى ذلك، إذ لا معنى أن يكون قهاراً ولقاهريته حدود أو يكون ذا جبروت ولجبروته انقطاع وتقهقر بجبروت آخر وقاهريه أخرى، وحيث إننا نعلم أن القاهر صفه يمكن انطباقها على المخلوق فيشعر ذلك باشتراك الخالق والمخلوق فى صفه القاهريه إلا أن القرآن الكريم نفى هذا الشعور كما فى قوله تعالى:

۱- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص۸۱ ح۳.

۲- المعجم الوسيط: ص۱۰۵.

۳- المعجم الوسيط: ص۷۶۴.

(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (۱).

وقوله سبحانه وتعالى:

(وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) (۲).

وغيرها من الآيات الكريمه الأخرى التى تؤكد أن الله تعالى هو قاهر كل قاهر ومتسلط على جميع القاهرين وقاطع لقاهريه كل قاهر فلذا وصف بصفه المبالغه (القهّار) التى تقدم معناها فى أول البحث، كما أن الآيات التى تشير إلى فقر الموجودات وحاجتها تؤكد أن هذه القاهريه التى يتصف بها الموجود هى قاهريه غير حقيقيه لأنها ناشئه من أقدار الله تعالى وتمكينه لهذا المخلوق القاهر، أى أن صفه القاهريه فى المخلوق جاءت من غيره وليس بالاستقلال بذاته، وهذا ما أشارت إليه الآيه الكريمه:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (۳).

وقال سبحانه وتعالى:

(هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (۴).

۱- سوره الرعد، الآيه: ۱۶.

۲- سوره ص، الآيه: ۳۸.

۳- سوره فاطر، الآيه: ۱۵.

۴- سوره محمد، الآيه: ۳۸.

بل أن الآیات الکریمه تبیّن أن هذا الإنسان القاهر یحتاج إلی ربه فی قاهریته حدوثا واستمراریه کما فی قوله تعالی:

(اللَّهُ لَـا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِـنَهٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِی السَّمَاوَاتِ وَمَا فِی الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِی یَشْـفَعُ عِنْـدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ یَعْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْـدِیهِمْ وَمَـا خَلْفَهُمْ وَلَـا یُحِیطُونَ بِشَـیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَـا شَـاءَ وَسِعَ کُرْسِـیُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا یَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ)(۱).

وقال الباری عزّ وجل:

(وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَیِّ الْقَیُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) (۲).

فمعنی (القیوم) فی الآیتین هو القائم بذاته والمقوّم لغیره، فهو تعالی الذی أوجد الأشیاء ودبرها وأدام بقاءها.

(وقد أثبت الله تعالی أصل القیام بأمور خلقه لنفسه فی کلمه حیث قال تعالی:

(أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَی کُلِّ نَفْسٍ بِمَا کَسَبَتْ) (۳).

وقال تعالی وهو أشمل من الآیه السابقه :

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِکَهُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ) (۴).

فأفاد أنه قائم علی الموجودات بالعـدل فلا یعطی ولا یمنع شـیئاً فی الوجود (ولیس الوجود إلاّ الإعطاء والمنع) إلاّ بالعـدل بإعطاء کل شیء ما یستحقه ثم بین أن

۱- سوره البقره، الآیه: ۲۵۵.

۲- سوره طه، الآیه: ۱۱۱.

۳- سوره الرعد، الآیه: ۳۳.

۴- سوره آل عمران، الآیه: ۱۸.

هذا القیام بالعدل مقتضی اسمیه الکریمین العزیز الحکیم، فبعزته یقوم علی کل شیء وبحکمته یعدل فیه.

وبالجمله لما کان تعالی هو المبدأ الذی یبتدئ منه وجود کل شیء وأوصافه وآثاره لا مبدأ سواه إلاّ وهو ینتهی إلیه، فهو القائم علی کل شیء من کل جهه بحقیقه القیام الذی لا یشوبه فتور وخلل، ولیس ذلک لغیره قط إلاّ بإذنه بوجه، فلیس له تعالی إلاّ القیام من غیر ضعف وفتور، ولیس لغیره إلاّ أن یقوم به، فهناک حصران: حصر القیام علیه، وحصره علی القیام، وأول الحصرین هو الذی یدل علیه کون القیوم فی الآیه خبرا بعد خبر لله (الله القیوم)، والحصر الثانی هو الذی تدل علیه الجمله التالیه أعنی قوله:

(سِنَهٌ وَلَا نَوْمٌ) (۱))(۲).

فیظهر مما تقدم أن القاهریه الحقیقیه صفه لله تعالی وحده لا شریک له، أی أن الجبروت منحصر به تعالی قد استخلصه لنفسه، وما یؤید ذلک أیضا عجز المخلوقات ومحدودیتها وفناؤها، کما فی قوله تعالی:

(کُلُّ مَنْ عَلَیْهَا فَانٍ) (۳).

المشیئه والإراده

وقوله علیه السلام:

(وأمضَی المَشِیئَهَ والإرادَهَ والقُدرَهَ العِلمَ بما هُوَ کائِنٌ).

خلق الله تعالی الخلق لغایه ذکرها فی کتابه الکریم کما فی قوله عز وجل:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ) (۴).

۱- سوره البقره، الآیه: ۲۵۵.

۲- تفسیر المیزان للسید الطباطبائی: ج۲، ص۳۳۵.

۳- سوره الرحمن، الآیه: ۲۶.

۴- سوره الذاریات، الآیه: ۵۶.

ودبر شؤون خلقه ونهج لهم المناهج وشرع لهم الشرائع وأغدق عليهم البركات بإرادته ومشيئته وبقدرته وعلمه، ولكى نقف على معنى قول الإمام الحسين عليه السلام (وأمضَى المَشِيئَة والإرادَة والقُدرَة العِلمَ بما هُوَ كائِنٌ) لابد من معرفه معانى هذه المفردات ومفاهيمها.

الإمضاء فى اللغه: أمض الحكم والأمر: أنفذه(١).

الإراده والمشيئه: كلمتان لمعنى واحد كما ورد فى المعجم الوسيط(٢).

القدره: الطاقه: القوه على الشيء والتمكن منه(٣).

العلم: إدراك الشيء بحقيقته و اليقين نور يقذفه الله فى قلب من يحب(٤).

ولبيان المعنى التام لقوله عليه السلام نقول:

ثبت فى محله أن الله تعالى مريد والإراده من صفاته إلا أن هذه الإراده تختلف عن الإراده فى الإنسان لأنه تعالى ليس كمثله شيء ولكى يتضح الفرق بين إراده الإنسان وبين إراده الله تعالى لابد من استعراض الأقوال فى معنى الإراده فى الإنسان قبل ذلك.

الإراده: كيفيه نفسانيه تشتمل عليها النفس البشريه كغيرها من الكيفيات النفسانيه والأقوال فيها ما يلى:

١ يرى المعتزله أن الإراده هى اعتقاد النفع، ويلاحظ على هذا القول عدم تماميته لأن مجرد الاعتقاد بالنفع لا يكفى أن يكون داعيا للفعل لما نلاحظ من كثره من يعتقد النفع ولا يريده.

٢ وهناك قول آخر بأن الإراده شوق نفسانى يقع فى النفس بعد الاعتقاد بالنفع،

١- المعجم الوسيط: ص٨٧٥.

٢- المعجم الوسيط: ص٥٠٢.

٣- المعجم الوسيط: ص٧١٨.

٤- المعجم الوسيط: ص٦٢٤.

وهذا القول لا یمکن الالتزام به لأننا نری من یرید شیئا ویحققه دون أن یکون لدیه شوق إزاءه.

۳ وقول ثالث یشیر إلی أن الإراده کیفیه نفسانیه ولکن لیست هی الاعتقاد فقط أو هی الشوق کما تقدم بل هی القصد والعزم(۱).

وما ورد من الأقوال فی تفسیر الإراده لا یمکن انطباقه علی إراده الله تعالی لتنزهه عن الکیفیات النفسانیه حیث إنها من صفات الممکن لا من صفات الواجب سبحانه ولکی یتضح الأمر نقول ما یلی:

لو قلنا إن الإراده هی مجرد الاعتقاد بالنفع للزم من هذا القول أن الإراده هی العلم والقطع بالنفع والحال أننا نجد أن هناک شیئا یدفعنا إلی الفعل لیس هو العلم بالنفع فقط، ونجد کذلک أننا نعتقد بالنفع ولکن لا نترک إزاء تحصیله لعدم وجود إراده لذلک وتفسیر الإراده بالشوق محال علی الله تعالی لمعرفتنا أن الشوق من مقوله الانفعال التی تعالی الله عنها، وأمّا القول الثالث بأنها قصد وعزم یلزم منه الحدوث بعد العدم ویلزم من هذا التغییر فی الذات الإلهیه المقدسه التی تنزهت عن صفات الممکن.

حقیقه الإراده الإلهیه

بعد أن اتضح أن الإراده بمعانیها التی تقدمت لا تنطبق علی إراده الله تعالی صار لابد لنا من بیان حقیقه الإراده الإلهیه التی لا تشبه إراده المخلوق فنقول:

وردت أقوال عدیده لأهل العلم فی معنی الإراده نذکرها باختصار دفعاً للتوسع:

ألف: إرادته سبحانه علمه بالنظام الأصلح:

أی أن علمه بالنظام الأتم والأکمل هو عین إرادته فیلزم من هذا أن تکون الإراده هی عین العلم بالنظام ولیس شیئا غیره وهذا العلم هو الداعی للفعل لا شیء آخر.

۱- الإلهیات للشیخ جعفر السبحانی: ص۱۶۶.

باء: إرادته سبحانه ابتهاجه بفعله:

أی أنه تعالی خیر محض فهو مبتهج بذاته ولأنه کذلک فهو مبتهج فی مرحله الفعل لأنه من أحب شیئاً أحب آثاره ولوازمه.

جیم: إرادته سبحانه إعمال القدره والسلطه:

المقصود من هذا أن إعمال القدره والسلطه علی خلقه هی بعینها إرادته.

دال: إرادته سبحانه نسبه تمامیه السبب إلی الفعل:

المقصود من هذا هو أن الفعل یکون مراداً له تعالی إذا اکتملت علله ومقتضیاته(۱).

هذه الأقوال هی أقوال الفریق الأول وما یراه الفریق الثانی فهو: (أن الإراده من الصفات الذاتیه وتجری علیه سبحانه مع تجردها من صفات النقص والإمکان کالحدوث والطروء والتدرج... الخ)(۲).

(ومعنی کونه مریداً أی فاعلًا مختاراً فی مقابل کونه فاعلًا مضطراً)(۳).

وأمّا لسان الروایات فإن إرادته تعالی هی فعله لیس إلّا کما دلّت علی ذلک الأحادیث الشریفه:

ألف: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الولید، قال: حدّثنا الحسین بن أبان، عن الحسین بن سعید، عن النضر بن سوید، عن عاصم بن حُمَیْد، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: (قلت له: لم یزل الله مریداً؟ فقال علیه السلام :

«إنّ المرید لا یکون إلا لمرادٍ معه، بل لم یزل عالماً قادراً ثمّ أراد»)(۴).

۱- کتاب الإلهیات للشیخ جعفر السبحانی: ص۱۶۸ ۱۷۳.

۲- کتاب الإلهیات، جعفر السبحانی: ص۱۷۴.

۳- المصدر السابق.

۴- کتاب التوحید للشیخ الصدوق: ص۱۴۱، ح۱۵.

باء: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، قال: (قلت لأبى الحسن عليه السلام: أخبرنى عن الإراده من الله ومن المخلوق، فقال عليه السلام :

«الإراده من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنّه لا يروّى، ولا يهمّ، ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّه عنه، وهى من صفات الخلق، فإراده الله هى الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّه ولا تفكّر، ولا كيفَ لذلك كما أنّه بلا كيفٍ»)(۱).

أسئله مهمه فى الإراده

السؤال: ما هو الفرق بين إراده العبد وإراده الله تعالى؟

الجواب:

۱ إراده العبد يسبقها تفكير وتروىّ وهم، وإراده الله تعالى منزهه عن ذلك بل هى فعله.

۲ إراده العبد سابقه على الفعل، وإراده الله تعالى فى مقام الفعل هى عين الفعل.

وهذا ما تؤكد الروايه الشريفه:

قال أبو الحسن عليه السلام:

«الإراده من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنّه لا يروّى، ولا يهمّ، ولا يتفكّر، وهذه

۱- كتاب التوحيد للصدوق: ص۱۴۲، ح۱۷.

الصفات منفيّه عنه، وهى من صفات الخلق، فإراده الله هى الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّه ولا تفكّر، ولا كيفَ لذلك كما أنّه بلا كيفٍ»(١).

السؤال: هل أن إراده الله تعالى تلغى إراده العبد واختياره؟

الجواب: أن إراده الله تعالى لا تلغى إراده العبد ولا تمنع اختياره وللتوضيح أقول:

إنه تعالى جعل العبد مستطيعا فأمره فيما أمره ونهاه عما ليس فوق طاقته وهذا ما أشارت له الروايات الشريفه:

عن عبيد بن زراره، قال: حدّثنى حمزه بن حُمران، قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعه فلم يجبنى، فدخلت عليه دخله أخرى فقلت: أصلحك الله إنّه قد وقع فى قلبى منها شىء لا يخرجه إلاّ شىء أسمعه منك.

قال عليه السلام :

«فإنّه لا يضرّك ما كان فى قلبك».

قلت: أصلحك الله فإنّى أقول: إنّ الله تبارك وتعالى لم يكلّف العباد إلاّ ما يستطيعون وإلاّ ما يطيقون، فإنّهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلاّ بإراده الله ومشيئته وقضائه وقَدَره؛ قال عليه السلام :

«هذا دين الله الّذى أنا عليه وآبائى أو كما قال»)(٢).

كما أن العدل الإلهى يقتضى أن يكون المكلف مستطيعا لما كلف به وإلاّ يلزم التكليف بما لا يطلق فيلزم من ذلك الظلم، والله تعالى عادل لا يجور ولا يظلم.

١- كتاب التوحيد: ص١٤٢، ح١٧.

٢- كتاب التوحيد للصدوق: ص٣٣٧، ح٣.

قال الله تبارک وتعالی:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَکُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (١).

وقال تعالی:

(ذَلِکَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيکُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (٢).

السؤال: کيف نفسّر ما يصيب العبد من الأذی هل بإراده الله تعالی أم بإراده العبد؟

الجواب:

هناک أسباب ودواعٍ لوقوع الأذی علی العبد نذکرها کالآتی:

١ قد يصيب العبد الأذی بسبب سوء فعله فيجزی بذلک کما صرحت الآيات والروايات کقوله تعالی:

(وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَکْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا کَانُوا يَقْتَرِفُونَ)(٣).

وقوله تعالی:

(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا کَانُوا يَکْسِبُونَ) (۴).

١- سوره النساء، الآيه: ۴٠.

٢- سوره الأنفال، الآيه: ۵١.

٣- سوره الأنعام، الآيه: ١٢٠.

۴- سوره فصلت، الآيه: ١٧.

وقال تعالى:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِی النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (۱).

وقال الباری عزّ وجل فی سوره الشوری:

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَهٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (۲).

وهناک الکثیر من الآیات التی تشیر إلی أن بعض الأذی التی یصیب الإنسان هو بسبب فعله السیئ، وهذا لا یخرج عن إراده الله تعالی.

وهناک الکثیر من الروایات التی تؤکد أن بعض الآلام أو الآثار المؤذیه هی بسبب سوء فعل الإنسان کما فی الروایات الآتیه:

عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«أوحی الله تعالی إلی أیوب هل تدری ما ذنبک إلیّ حین أصابک البلاء؟ قال: لا.

قال: إنّک دخلت علی فرعون فداهنت فی کلمتین»(۳).

وعنه صلی الله علیه وآله وسلم:

«لا یجنی علی المرء إلا یده»(۴).

۲ هناک بعض الأذی قد یصیب العبد دون أن یکون لإرادته دخل فی ذلک، کإصابته بمرض دون تقصیر منه أو غیر ذلک من الأمثله الکثیره، بل قد یتعرض العبد لأنواع من الألم لا یتحملها إلا من صبر واحتسب، وهذا یتم بلحاظین:

۱- سوره الروم، الآیه: ۴۱.

۲- سوره الشوری، الآیه: ۳۰.

۳- الدعات للراوندی: ۱۲۳/۳۰۴. أنظر المداهنه: باب ۱۲۷۵. میزان الحکمه: ج۱، ص۴۰۰، ح۱۹۱۲.

۴- نور الثقلین: ۴/۲۰۹/۷۷. میزان الحکمه: ج۱، ص۴۰۲، ح۱۹۱۳.

ألف: إمّيا أن ذلك الأذى ابتلاء للعبد وإن كان تعالى عالما بما يؤول إليه الأمر إلاّ أن ذلك الابتلاء لكى تكون الحجه البالغه لله تعالى على الناس كما فى قوله تعالى:

(الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاهَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (١).

وقوله تعالى:

(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّهُ الْبَالِغَهُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) (٢).

وورد أيضا فى الروايات الشريفه ما يشير إلى ذلك كما فى قول أبى عبد الله عليه السلام:

«ما من قبض ولا بسط إلاّ ولله فيه المنّ والابتلاء»(٣).

وجاء فى كتاب التوحيد أيضا عن على بن إبراهيم بن هشان، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن حمزه بن محمد الطيّار، (عن أبى عبد الله عليه السلام:

«ما من قبض ولا بسط إلاّ ولله فيه مشيّه وقضاء وابتلاء»(٤).

ولقد جاء هذا الابتلاء لكى يقع ما يعلمه الله تعالى من العبد وباختياره فيجزئ كل عامل بعمله ولا شك أن هذا الابتلاء يصنع فئه مؤمنه صابره تكون قدوه لغيرها كما يحكى ذلك القرآن الكريم فى قصه نبى الله أيوب عليه السلام.

باء: قد يصاب العبد بأذى وآلام لا لذنب اقترفه ولا للابتلاء والامتحان بل لكى ينال درجه ورتبه عاليه عند ربه كما حصل ذلك للإمام الحسين عليه السلام حيث

١- سوره الملك، الآيه: ٢.

٢- سوره الأنعام، الآيه: ١۴٩.

٣- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص٣۴۴، باب الابتلاء والاختيار، ح١.

۴- التوحيد للصدوق: ص ٣۴۴ ٣۴۵، ح٢.

أصابه من الألم والأذى ما لا يستطيع أحد تحمله إلاّ المعصوم لكى ينال درجه ادخرها الله تعالى له كما فى حديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

«حبيبى يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قدموا علىّ وهم مشتاقون إليك ، وإن لك فى الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهاده»(۱).

وهذا ما تؤكده الروايات الشريفه كما فى قول هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال:

«إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل».

وروايه سلمان بن خالد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنه ليكون للعبد منزله عند الله فما ينالها إلا بإحدى خصلتين، إما بذهاب ماله أوببليه فى جسده»(۲).

فيظهر من هاتين الروايتين وغيرهما أن هذا البلاء هو لطف إلهى يمنّ به الله تعالى على عباده ليوصلهم إلى مقاماتهم المحموده الساميه.

وللبلايا فوائد كثيره منها:

ألف: أن تكون المصائب دافعاً لتحرك القابليات ونهوض الهمم.

باء: أن تكون المصائب هزه لإيقاظ الغافلين المنغمسين فى لذائذ الدنيا لكى يرجعوا إلى بارئهم الحق سبحانه.

جيم: أن تكون المصائب سببا فى معرفه النعم وشكرها وتعظيمها كالعافيه لا تعرف قيمتها إلا بعد الإصابه بالمرض وهكذا.

وخلاصه القول: إن أفعال العباد أمر بين الأمرين بين الجبر والتفويض الباطلين

۱- بحار الأنوار للعلامه المجلسى: ج۴۴، ص۳۲۸.

۲- الكافى للكلينى: ج۲، ص۲۵۷، ح۲۳؛ وسائل الشيعه: ج۳، ص۲۶۲، ح۳۵۸۷.

أی أن الله تعـالی جعـل الاختیار لعباده فی الفعل والترک مع قـدرته علی منعهم عما یختارون وعلی جبرهـم فیما یترکون، کما أنه أقـدرهم علی أفعالهم ولکن حـد لهم الحـدود ونهاهـم عن القبائـح، وبناء علی هذا فإن إراده العبد فی طول إراده الله تعالی لا فی قبالها.

وأمّا إرادته فی الطاعات فهی الأمر بها والرضا لها والمعاونه علیها، وإرادته فی المعاصی النهی عنها والسخط لها والخذلان علیها.

قدره الله تعالی

اشاره

تعریف القدره: هی الطاقه، القوه علی الشیء والتمکن منه(۱).

القـدیر: ذو القـدره، وهو الفاعل لما یشاء علی قـدر ما تقتضـی الحکمه لا زائـداً علیه ولا ناقصاً عنه، ولذلک لا یوصف به إلاّ الله تعالی.

تعریفها اصطلاحا: هی المکنه علی الفعل أو الترک، مع الاختیار والإراده(۲).

وهناک تعاریف أخری لا تخرج عما ذکرناه لا حاجه لذکرها.

وإن القـدره التی یتصف بها الحق سـبحانه لابـد أن تلازم الاختیار وإلاّ انقلب القادر إلی موجَب أی مجبور علی الفعل أو مجبور علی الترک ولکی یتضح معنی القادر ومعنی الموجب لابد من ذکر الفارق بینهما:

ألف: للقادر أن یفعل إذا شاء ذلک، وله أن یترک إذا شاء ذلک فی آن واحـد وبالنسـبه لشـیء واحد، وأمّا الموجَب لیس له أن یفعل إذا وجب علیه أن یترک، ولیس له أن یترک إذا وجب علیه أن یفعل.

باء: للقادر العلم بما یقدم علیه قبل الإقدام وأثناءه، ولیس للموجب ذلک.

۱- المعجم الوسیط: ص۷۱۸.

۲- بدایه المعرفه: ص۱۰۱.

جیم: فعل القادر یجوز أن یتأخر عن فاعله وجوداً، ولیس للموجب ذلک حیث إن فعله لا ینفک عنه کالإحراق بالنسبه للنار.

وحیث إن من صفاته تعالی أنه قدیر لابد لنا من معرفه الدلیل علی ذلک، ومعرفه صحه هذه القدره، وهل هی من صفات الذات أم الفعل؟ وهذا ما سنتعرض له فی بحثنا هذا بحسب الحاجه لذلک فنقول:

۱ أمّا بالنسبه للدلیل علی قدرته تعالی فلدینا دلیل عقلی وآخر نقلی نوردهما کالآتی:

الدلیل العقلی وهو کما یلی:

ألف: دلیل الفطره

تشهد الفطره السلیمه علی أن هناک قدره علیا نلجأ إلیها عند وقوعنا فی شده أو أزمه لاسیما عند نفاد الأسباب أو فقدانها، وهذا ما تلمسه النفس البشریه دون تعلیم أو توجیه، فلذا نجد أن هناک میلًا وانجذابا فی النفس تجاه قوه قاهره تستطیع إنقاذنا من الهلکه کما فی حدیث الإمام الصادق علیه السلام مع رجل یبحث عن وجود الله تعالی(۱).

قال رجل: (یا ابن رسول الله دُلنی علی الله ما هو؟ فقد أکثر علیّ المجادلون وحیّرونی، فقال الإمام علیه السلام:

«یا عبد الله هل رکبتَ سفینه قطّ؟».

قال: نعم، فقال علیه السلام:

«فهل کُسرتْ بک حیث لا سفینه تنجّیک ولا سباحه تغنیک؟».

۱- الفوائد البهیه: ص۸۸؛ لیل رکوب السفینه فی ص۶۵ من الکتاب.

قال: نعم، فقال علیه السلام:

«فهل تعلّق قلبُک هنالک أنّ شیئاً من الأشیاء قادرٌ علی أن یخلّصک من ورطتک؟».

قال: نعم، فقال علیه السلام:

«فذلک الشیء هو الله القادر علی الإنجاء حیث لا منجی وعلی الإغاثه حیث لا مغیث»)(۱).

باء: دلیل النظام فی الخلقه

یشیر هـذا الـدلیل إلی أن لهـذا الوجود خالقا قادراً مختاراً اسـتطاع أن یوجـده بهذه الهیئه وبهذا الجمال من حیث الدقه والتنظیم والتناسب والإبداع.

قال الإمام أمیر المؤمنین فی خطبه له:

«أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا رویه أجالها، ولا تجربه اسـتفادها، ولا حرکه أحدثها، ولا همامه نفس اضـطرب فیها، أحال الأشیاء لأوقاتها، ولأم بین مختلفاتها، وغرز غرائزها وألزمها أشباحها عالما بها قبل ابتدائها محیطا بحدودها وانتهائها، عارفا بقرائنها وأحنائها، ثم أنشأ سـبحانه فتق الأجواء، وشق الارجاء وسـکائک الهواء، فأجری فیها ماء متلاطما تیاره متراکما زخاره، حمله علی متن الریـح العاصـفه، والزعزع القاصـفه، فأمرها برده، وسـلطها علی شده، وقرنها إلی حده، الهواء من تحتها فتیق، والماء من فوقها دفیق، ثم أنشأ سـبحانه ریحـا اعتقم مهبها وأدام مربها، وأعصف مجراها وأبعـد منشاها، فأمرها بتصـفیق الماء الزخار، وإثاره موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله إلی آخره، وساجیه إلی

۱- الفوائد البهیه فی شرح عقائد الإمامیه، الشیخ محمد جمیل: ص۸۸.

مـائره، حتى عب عبـابه، ورمى بالزبـد ركـامه فرفعه فى هواء منفتق، وجو منفهق، فسوى منه سـبع سـماوات جعـل سـفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سـقفا محفوظا، وسـمكا مرفوعا، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثم زينها بزينه الكواكب، وضـياء الثواقب، وأجرى فيها سراجا مستطيرا، وقمرا منيرا، فى فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر»(۱).

جيم: قدره المخلوق دليل على قدره الخالق

إننا من خلال معرفتنا بأن المخلوقات الحيه قادره والقـدره كمال لها، نعرف أن مفيض هـذا الكمال لابـد أن يكون واجـداً له غير فاقد لأن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه، وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كيف احتجب عنك من أراك قدرته فى نفسك»(۲).

فيه إشاره صـريحه إلى قـدره الله تعالى التى تتجلى فى هـذه النفس البشـريه من خلال جمال هـذه الخلقه ومن خلال القدره التى أودعت فيها.

الدليل النقلى على وجود القدره الإلهيه:

الآيات الكريمه الآتيه تشير إلى وجود القدره الإلهيه:

قوله تعالى:

(أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (۳).

۱- نهج البلاغه، خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبه الأولى، ص۱۶ ۱۸.

۲- التوحيد للصدوق: ص۱۲۳.

۳- سوره يس، الآيه: ۸۱.

وقال سبحانه وتعالی:

(وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِی الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ)(۱).

وقوله عزّ وجلّ:

(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) (۲).

وقال الله تبارک وتعالی:

(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ) (۳).

وقوله سبحانه وتعالی:

(أَوْ كَالَّذِی مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِیَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِی هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ) (۴).

وغيرها من الآيات الكثيره.

ألف: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إذ يقول:

«لم يزل الله عزّ وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته

۱- سوره المؤمنون، الآيه: ۱۸.

۲- سوره المعارج، الآيه: ۴۰.

۳- سوره البقره، الآيه: ۲۰.

۴- سوره البقره، الآيه: ۲۵۹.

ولا مبصر والقدره ذاته ولا مقدور»(۱).

باء: قیل لأمیر المؤمنین علیه السـلام، هل یقدر ربّک أن یدخل الدنیا فی بیضه من غیر أن یصـغر الدنیا أو یکبّر البیضه؟ فقال علیه السلام:

«إنّ الله تبارک وتعالی لا ینسب إلی العجز»(۲).

وفی روایه أخری قال علیه السلام:

«ویلک، إنّ الله لا یوصف بالعجز ومن أقدر ممّن یلطّف الأرض ویعظّم البیضه»(۳).

وهناک أحادیث کثیره تدل علی قدره الله تعالی راجع کتاب التوحید باب القدره.

۲ أمّا بالنسبه إلی سعه هذه القدره نقول:

حکم العقـل السـلیم بأن واجب الوجود له الصـفات الکمالیه ومن صـفاته الکمالیه أن یکون قادراً قـدره لا حـد لها ولا نهایه وإلا یلزم النقص والعجز والانقلاب إلی ممکن فقیر محتاج، ولذا یجب الإذعان بعموم قدرته سـبحانه وسعتها لکل ما هو ممکن، وهذا ما أیدته الآیات الکریمه والأحادیث الشریفه المتقدمه، ولا بأس بالإشاره إلی غیرها من الآیات والروایات کقوله تعالی:

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) (۴).

وقوله تعالی:

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) (۵).

۱- کتاب الکافی للکلینی: ج۱، ص۱۲۸، ح۱.

۲- کتاب التوحید للصدوق: ص۱۲۶، ح۹.

۳- کتاب التوحید للصدوق: ص۱۲۶، ح۱۰.

۴- سوره الأحزاب، الآیه: ۲۷.

۵- سوره الکهف، الآیه: ۴۵.

وقال سبحانه وتعالى:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)(۱).

وكقول الإمام الصادق عليه السلام:

«والأشياء له سواء علما وقدره وسلطانا وملكا وإحاطه»(۲).

وقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

«هو القادر الذى لا يعجز»(۳).

۳ أمّا بالنسبه إلى قدرته هل هى من صفات الذات أم الفعل؟ فنقول:

اجتمعت كلمه الإلهيين على أن القدره من صفات الله تعالى الذاتيه الكماليه كالعلم والحياه ولا يختلف اثنان على ذلك، ولا بأس بتوضيح بسيط لهذا، فنقول: يحكم العقل السليم باستحاله أن يصنع الصانع هذا الكون دون أن يتصف بالقدره، ويحكم كذلك بأن العجز نقص، ومحال أن يتصف به واجب الوجود لوجوب كماله، فيلزم من هذا أن القدره صفه كماليه ذاتيه، ومما يؤيد قولنا لهذا ما ورد عن أهل بيت العصمه عليهم السلام كقول الإمام أبى جعفر عليه السلام:

عن على بن أبى حمزه، عن أبى بصير قال: (جاء رجل إلى أبى جعفر عليه السلام فقال له: يا أبا جعفر أخبرنى عن ربّك متى كان؟ فقال:

«ويلك، إنّما يقال لشيء لم يكن فكان: متى كان، إنّ ربّى تبارك وتعالى كان لم يزل حيّاً بلا كيف، ولم يكن له كان ولا كان

۱- سوره فاطر، الآيه: ۴۴.

۲- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص۱۲۹.

۳- كتاب التوحيد للصدوق: ص۱۷.

لكونه كيف، ولا كان له أين، ولا كان فی شیء، ولا كان علی شیء، ولا ابتدع لكونه مكاناً ولا قوی بعد ما كوّن شیئاً، ولاكان ضعیفاً قبل أن یكوّن شیئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن یبتدع شیئاً، ولا یشبه شیئاً مكوّناً، ولا كان خِلْواً من [القدره علی] المُلك قبل إنشائه، ولا یكون منه خلواً بعد ذهابه، لم یزل حیّاً بلا حیاه، وملكاً قادراً قبل أن ینشئ شیئاً، ومَلِكاً جبّاراً بعد إنشائه للكون، فلیس لكونه كیف، ولا له أین، ولا له حدّ، ولا یعرف بشیء یشبهه، ولا یَهْرَم لطول البقاء، ولا یَصْعَق لشیء، ولا یُخوفه شیء، تصعق الأشیاء كلّها من خیفته، كان حیّاً بلا حیاهٍ عاریهٍ ولاكونٍ موصوف، ولا كیفٍ محدود، ولا أثر مقفوّ ولا مكان جاوَر شیئاً، بل حیّ یعرف، ومَلِك لم یزل له القدره والمُلْك، أنشأ ما شاء كیف شاء بمشیّته، لا یحدّ ولا یبعّض، ولا یفنی، كان أوّلاً بلا كیف، ویكون آخراً بلا أین، وكلّ شیء هالك إلاّ وجهه، له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمین، ویلك أیّها السائل، إنّ ربّی لا تغشّاه الأوهام، ولا تنزل به الشبهات، ولا یجار من شیء ولا یجاوره شیء ولا تنزل به الأحداث، ولا یسأل عن شیء یفعله، ولا یقع علی شیء، ولا تأخذه سنه ولا نوم، له ما فی السموات وما فی الأرض وما بینهما وما تحت الثری»)(١).

وقول الإمام الرضا علیه السلام، عن محمد بن إسماعیل البرمكی قال: حدّثنا الحسین بن الحسن قال: (حدّثنا محمّد بن عیسی، عن محمد بن عرفه، قال: قلت للرضا علیه السلام خلق الله الأشیاء بالقدره أم بغیر القدره؟ فقال علیه السلام :

«لا یجوز أن یكون خلق الأشیاء بالقدره لأنّك إذا قلت: خلق الأشیاء بالقدره فكأنّك قد جعلت القدره شیئاً غیره، وجعلتها آله له بها خلق الأشیاء،

١- كتاب التوحید للشیخ الصدوق: ص١٦٨ ١٦٩، ح٢.

وهـذا شـرك، وإذا قلت: خلق الأشـياء بقـدره فإنّما تصـفه أنّه جعلها باقتـدار عليها وقدره، ولكن ليس هو بضـعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره»)(۱).

أسئله فی القدره

بعد أن عرفنا أن قدرته من صفات الذات وهی عین ذاته، کما عرفنا أن الذات الإلهیه ذات لا نقص فیها ولا عجز ووقفنا علی سعه قدرته صار لابد أن نسمع أسئله السائلین ونجیب علیها إضافه لما تقدم:

السؤال: هل یقدر الله تعالی أن یخلق مثله؟

الجواب: المثـل إمّا یکون واجباً أیضا أو ممکنا، فإن کان واجبا یلزم اجتماع الضـدین لأن ما فرضـناه واجباً لابـد أن یکون قـدیما وهـذا المثـل مخلوق فهو حادث فیلزم أن یکون هـذا المثل واجبا وحادثاً فی آن واحـد ویتفرع علی هـذا أن یکون واجباً وممکناً لأنه خلق من قبل غیره، فإذن المثل محال والمحال باطل لیس بشیء والله تعالی تتعلق قدرته بالأشیاء.

السؤال: هل أنه تعالی قادر علی أن یدخل الدنیا فی البیضه دون أن تکبر البیضه وأن نصغر الدنیا؟

الجواب: یلزم من هـذا القول أن یکون الظرف الکبیر فی مظروف صـغیر، وهذا مرفوض بالبداهه لأن العقل السـلیم یحکم ببداهه وجوب کبر الظرف عن المظروف لکی یتحقق الاحتواء، ویلزم أیضا أن یکون المظروف الکبیر فی داخل الظرف الصغیر فیحصل اجتماع النقیضـین، أی یکون المظروف الکبیر صـغیراً فی آن واحـد، ویکون الظرف الصـغیر کبیراً فی آن واحد وهذا محال وقد تقدم عدم تعلق قدره الله تعالی بما هو محال لبطلانه وعدم شیئیته.

۱- کتاب التوحید للصدوق: ص۱۲۶، ح۱۲.

السؤال: هل لله القدره على إيجاد شيء لا يقدر على إفنائه؟

الجواب: أيضا هذا من المحال لأن كل ممكن حادث وهو قابل للفناء، فكيف يكون حادثا ممكناً قابلاً للفناء وغير قابل للفناء، ويلزم من عدم فنائه انقلابه إلى واجب فيلزم المحال من ذلك.

وهناك الكثير من الأسئله التى يجاب عنها بهذه الطريقه الواضحه.

وقوله عليه السلام:

(لا تَتَداوَلُهُ الأُمورُ، ولا تَجرِى عَلَيهِ الأحْوالُ، ولا تَنزِلُ عَلَيهِ الأحْداثُ، ولا يَقدِرُ الواصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ).

لا يكون الواجب إلّا كاملا ولا كمال إلّا ينفى النقص عمن اتصف بالكمال وعلى هذا نقول:

لا يليق بالإله الذى خلق ودبر وربى إلّا أن يكون واجداً لصفات الكمال ومنزّهاً عن كل نقص وقبيح، ومما يجب أن ينزه عنه تعالى هو أن لا يكون محتاجا إلى الغير لا فى ذاته ولا فى صفاته، ولا يحتاج إلى المكان والزمان والكيفيه والأدوات والآلات، فهو الغنى المطلق والحق المبين لاحتياج كل ما سواه إليه واستغنائه عن كل شيء، فالكمال ذاته وبالغنى ألوهيته وربوبيته وتدبيره، وحيث إن واجب الوجود غنى كامل له الصفات العليا والأسماء الحسنى فهو منزه عن الأجزاء والتركيب لما فيها من نقص وفقر وحاجه، ومنزه عن كونه محلاً للتغييرات والحوادث كالنوم واليقظه أو الحركه والسكون أو القيام والقعود أو الكهوله والصبا أو الشباب والشيب أو القوه والضعف أو النشاط والكسل أوالفرح والحزن أو الرضا والسخط لما فى ذلك من نقص وقبح وعجز وحاجه وفقر وحدوث، ومنزه عن الحلول والاتحاد فلا يحل بغيره ولا يتحد به لما فى ذلك من حاجه إلى المحل وافتقار إلى الغير، ومنزه عن الجسم والجسمانيه والأبعاد والكثافات والحجم

والكتله والخفه والثقل والطول والعرض والعمق والسطح.

فكيف يكون محتاجا وذاته الغنى؟ وكيف يكون مركبا، والتركيب نقص؟ وكيف يكون محلًا للحوادث وهو الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنه ولا نوم؟ وكيف يكون فى محل ومكان والمحل والمكان من خلقه وهو بكل شىء محيط؟ وكيف يكون له عمرٌ وسن وهو الذى خلق الزمان؟ وكيف يتحد بغيره ولا غير فى الوجود سواه؟ وكيف يتحد مع غيره وهو لا شريك له فى الوجود ولا مثيل ولا ند ولا ضد ولا منازع ولا شبيه؟ وكيف يكون جسما والجسم حادث تعتريه التغيرات وتحده الحدود وتراه العيون؟ فلا وصف له إلاّ ما وصف به نفسه ولا إحاطه بكنهه ولا علم بذاته إلاّ إحاطته وعلمه فتعالى الله عن كل صفه صفته وسمى ربنا عن المربوب وتجلى عن المخلوقات.

وما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام خير ما يدل على جلال الله تعالى وعلوه عن صفات الخلق كقوله:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه لشهاده كل صفه أنها غير الموصوف، وشهاده كل موصوف أنه غير الصفه، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شىء لا بمقارنه، وغير كل شىء لا بمزايله، فاعل لا بمعنى الحركات والآله، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء بلا رويه أجالها ولا تجربه استفادها

ولا حركه أحدثها ولا همامه نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها عارفاً بقرائنها وأحنائها»)(۱).

وقوله عليه السلام:

(لا يَخطُرُ عَلى القُلُوبِ مَبلَغُ جَبَروتِهِ، لأنَّه لَيسَ لَهُ فى الأشْياءِ عَدِيلٌ).

اعلم أن المخلوق لا ـ قدره له ولا ـ سبيل إلى معرفه كنه الخالق ولا علم ولا إحاطه بحقيقته جل شأنه لاستحاله إحاطه المحدود باللامحدود والممكن بالواجب، ولجلاله تعالى عن أن يحد أو يحاط به، وهذا ما أكده قوله تعالى:

(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (۲).

وقوله تعالى:

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (۳).

كما أن الروايات كثيره فى هذا المضمون كقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللهُ مَعْنَاهُ المَعْبُودُ الّذِى يَأْلَهُ فِيهِ الْخَلْقُ وَيُؤْلَهُ إلَيْهِ، وَاللهُ هُوَ المَسْتُورُ عَنْ دَرْكِ الأبْصَارِ، المَحْجُوبُ عَنِ الأوْهَامِ وَالخَطَرَاتِ»(۴).

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«اللهُ مَعْنَاهُ المَعْبُودُ الّذِى ألِهَ الخَلْقُ عَنْ دَرْكِ مَاهِيَّتِهِ والإحَاطَهِ بِكَيْفِيَّتِهِ»(۵).

۱– حق اليقين، السيد عبد الله شبر: ص۶۷.

۲– سوره طه، الآيه: ۱۱۰.

۳– سوره الأنعام، الآيه: ۹۱.

۴– ميزان الحكمه، محمد الريشهرى: ج۱، ص۱۲۴، ح۶۵۸.

۵– ميزان الحكمه، الريشهرى: ج۱، ص۱۲۴، ح۶۸۹.

ومما أشار إليه الإمام الحسين علیه السلام هو بيان عله عدم الإحاطه به تعالى والوقوف على كنه ذاته، فقال علیه السلام:

«لأن ليس له فى الأشياء عديل».

وكأنما أراد الإمام علیه السلام أن يقول أمراً وهو أن بعض التصورات والأفكار التى تجول فى ذهن الإنسان منتزعه من الوجودات الخارجيه كمعرفتنا مثلاً ـ للشجره التى وقع عليها الحس، أو كمعرفتنا للأرض والسماء، وأمّا ما ليس له وجودٌ مرئىٌ فلا يمكن تصوره ووصفه، وحيث إن الله تعالى ليس له فى الأشياء مثيل لا نستطيع تصوره أو وصفه إلّا بما وصف به نفسه تعالى، ويمكن تفسير قوله علیه السلام لأن ليس له فى الأشياء عديل أى لا يوجد من له القدره والإحاطه بغايه جبروته لأن لا شبيه ولا عديل لجبروته حتى نستطيع أن نقف على جبروت الله تعالى ونعرف كنهه، كما أن الإمام علیه السلام ينفى أن يكون لله تعالى شبيه أو مثل فكيف نستطيع من خلال معرفه الشبيه أن نعرف الأصل وهو الله تعالى كنه ذات الله تعالى ممتنعه على مخلوقاته لمحدوديه المخلوق وتناهيه، ولإحاطه الخالق وكبره عن أن يوصف وخير من أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين علیه السلام بقوله،

ورد فى التوحيد (عن أمير المؤمنين علیه السلام فى خطبه الوسيله:

«الحمد لله الذى أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته فى امتناعها من الشبه والشكل، بل هو الذى لم يتفاوت فى ذاته ولم يتبعض بتجزيه العدد فى كماله، فارق الأشياء لا على اختلاف الأمكان، وتمكن منها لا على الممازجه، وعلم بها لا بأداه لا يكون العلم إلا بها وليس بينه وبين معلومه علم غيره، إن قيل كان فعلى تأويل أزليه الوجود وإن قيل لم يزل، فعلى تأويل نفى العدم»(۱).

۱- حق اليقين: ص۶۶.

وقال علیه السلام:

«لم تحط به الأوهام بل تجلی لها بها، وبها امتنع منها وإلیها حاکمها، لیس بذی کبر امتدت به النهایات فکبرته تجسیماً، ولا بذی عظم تناهت به الغایات فعظمته تجسیداً، بل کبر شأناً وعظم سلطاناً».

وقوله علیه السلام:

«لا تُدرِکُهُ العُلَماءُ بِأَلبابِها، ولا أهلُ التَّفکِیرِ بِتَفکِیرِهِمْ إلاّ بِالتَّحقِیقِ(۱) إیقاناً بِالغَیبِ».

أشار الإمام الحسین علیه السلام بقوله هذا إلی قصور إدراک العلماء فضلًا عن غیرهم، وعجز عقولهم مع ما لهم من العلم والمعرفه وقوه الملاحظه وتوقد الذهن وسعه الفطنه، وعجز الألباب وحیره الفکر فی ذات الله تعالی وکنهه ناشئ من امتناعه علی الألباب لوجوب وجوده، ومحدودیه الألباب لأنها ممکنه، فلذا نهانا أمیر المؤمنین علیه السلام من الخوض فی هذا الأمر بقوله:

«لا تقدر عظمه الله علی قدر عقلک فتکون من الهالکین».

وأکد الإمام علیه السلام أن إدراک وجود الله تعالی وعظمته تتم من خلال الآثار والصفات التی تجلّت فی عالم الوجود، ویحصل الیقین بوجوده تعالی وعظمته من خلال الأخبار التی وردت علی لسان خاتم الأنبیاء صلی الله علیه وآله وسلم وأهل بیته الطاهرین سلام الله علیهم أجمعین وهو من الإیمان بالغیب.

ومما یؤکد عجز العلماء والمفکرین فی إدراک الحق سبحانه قول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«محرم علی بوارع ثاقبات الفطن تحدیده، وعوامق ناقبات الفکر تکییفه، وعلی

۱- اللّبُّ: العقل. والتحقیق: التصدیق.

غوائص سابحات النظر تصويره، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تـذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثله، قـد يئست من استنباط الإحاطه به طوامح العقول، ونضبت عن الإشاره إليه بالاكتناه بحاره العلوم، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحد لا من عدد ودائم لا بأمد وقائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادله الأجناس، ولا بشبح فتعارضه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلت العقول فی أمواج تيار إدراكه، وتحيرت الأوهام عن إحاطه ذكر أزليته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قـدرته، وغرقت الأذهـان فی لجـج أفلاـك ملكوته، مقتـدر بالآلاـء وممتنع بالكبريـاء ومتملـك على الأشـياء، فلاـ دهر يخلقه ولا وصف يحيط به، قد خضعت له ثوابت الصعاب فی محل تخوم قرارها، وأذعنت له رواصن الأسباب فی منتهی شواهق أقطارها، مستشهد بكليه الأجناس على ربوبيته، ويعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا لها محيص عن إدراكه إياهـا، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع عن قـدرته عليها، كفی باتقان الصـنع لها آيه وبمركب الطبع عليها دلاله وبحـدوث الفطر عليها قـدمه وبإحكام الصـنعه لها عبره، فلا إليه حد منسوب ولا له مثل مضـروب ولا شـیء عنه بمحجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقه علواً كبيراً»(۱).

وقوله عليه السلام:

«لأَنَّهُ لا يُوصَفُ بِشَیءٍ مِن صَفاتِ المَخلوُقِينَ».

۱- حق اليقين، السيد عبد الله شبر: ص۶۶ ۶۷، الباب الثالث: معرفه الذات والصفات.

ثبت فی محله أن فی الوجود واجب الوجود وممکن الوجود، وثبت أن الواجب هو عین الغنی، والممکن عین الفقر والحاجه, وثبت أیضا أن الواجب یتصف بکل صفات الکمال ومنزه عن کل نقص وقبح، بینما یتصف الممکن بالنقص والحاجه، ولکی یتضح قول الإمام الحسین علیه نقول:

یتصف المخلوق بصفات حسنه وکامله بالنسبه إلیه إلاّ أنها نقص وقبح وفقر بالنسبه لخالقه، فلو قلنا إن المخلوق یتصف بصفه العلم أو القدره أو الإدرک فهی صفات کمال بالنسبه للمخلوق ولکن هذه الصفات لو نسبناها إلی الله تعالی بحدودها ومقدارها وشروطها لصارت نقصا وحاجه، لأنه تعالی سیکون عالما بعلم محدود وقادراً بقدره محدوده ومدرکاً بإدراک محدود وهکذا، فلذا لا یصح أن یوصف بصفات المخلوقین، ومحال أن یکون کالمخلوق لأن (لیس کمثله شیء)، کما أنه تعالی منزه عن کل صفات المخلوقین من الترکیب والمکان والزمان والحدوث والاتحاد والفناء... الخ.

وقد تقدم الکلام فی ذلک.

ولکی لا یقع الإنسان فی محذور التشبیه الذی حذر منه الإمام الحسین علیه السلام نورد بعض فقرات الأدعیه التی جاءت علی لسان أمیر المؤمنین علیه السلام التی تؤکد أن ذات الله تعالی لا یحیط بها العالم أو المفکر فضلاً عن عامه الناس، فلقد ورد فی دعاء المشلول المروی عن أمیر المؤمنین علیه السلام:

«یا من لا یعلم ما هو ولا کیف هو ولا أین هو ولا حیث هو إلاّ هو».

وفی دعاء الإمام السجاد علیه السلام دلیل واضح علی عجز المخلوق فی معرفه الله تعالی کقوله:

«ولم تجعل للخلق طریقا إلی معرفتک إلاّ بالعجز عن معرفتک»(١).

١- مفاتیح الجنان: مناجاه العارفین.

(وهو الواحد الصمد)

معنى الواحد

كـل شـيء يـدل على وحـدانيته كما دل على وجوده، وكل جارحه تشـهد على أن خالقها واحـد ومـدبرها واحـد وفانيها واحـد، فالقلب يتوجه إلى الله تعالى عندما يلم به الخطر، والضـمير يفزع إليه عندما يضـطر إلى حاجته، والوجدان لا يسـتعين ولا يستغيث إلاـ به تعـالى، وهـذا ممـا يكشف عن أن القلب والعقـل لا يعرفان إلا هو تعالى بالفطره قبل الـدليل، ولكى يتضـح ما تقـدم ننقل محاوره الإمام الصادق عليه السلام مع رجل سأله عن الدلاله على الله تعالى:

قال رجل: (يا بن رسول الله دُلنى على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّرونى، فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبتَ سفينه قطّ؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كُسرتْ بك حيث لا سفينه تنجّيك ولا سباحه تغنيك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلّق قلبُك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلّصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثه حيث لا مغيث»)(۱).

۱– الفوائد البهيه فى شرح عقائد الإماميه، الشيخ محمد جميل: ص۸۸.

فبعد هذه المحاوره يتضح لنا أن الإمام الصادق عليه السلام أشار إلى وحدانيه الله تعالى فضلًا عن وجوده فى قوله (فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك)؟

فقوله (أن شيئا) وقوله (قادر) فيه دلاله على وحدانيه الله تعالى لأن الإمام عليه السلام لو كان يعتقد أن مع الله تعالى إلها آخر لما قال للرجل (أن شيئا) و(قادر) بصيغه المفرد، فمن هذا يتضح أن وحدانيه الله تعالى ترتكز فى فطره الإنسان وهذا ما أكده الرجل بقوله (نعم) أى أن قلبى تعلق بشىء واحد وقادر واحد ولم يقل (كلا) لقد تعلق قلبى بأكثر من شىء.

فبهذه المقدمه تبين من خلال الفطره أن الله تعالى واحد لا شريك له، وأمّا ما دل على وحدانيته فى مقام الذات والصفات والأفعال فلقد تقدم الحديث عن ذلك فى بحثنا (استخلص الوحدانيه والجبروت).

معنى الصمد

وأمّا عن قوله عليه السلام (الصمد) نقول:

الصمد فى اللغه: المقصود لقضاء الحاجات، اسم من أسماء الله الحسنى، ويقال شىء صمد: مصمت لا جوف له(۱).

الصمد فى الاصطلاح: السيد المعظم الذى يصمد إليه فى الحوائج، أى يقصد، وقيل: هو السيد الذى ينتهى إليه السؤدد(۲).

بعد التأمل فيما سبق من الآيات التى تطرقنا فيها إلى بيان صفات واجب الوجود يظهر لنا جلياً أن اسم الصمد اسم لا يليق إلا بالغنى المطلق والعالم والقادر

۱- المعجم الوسيط: ص۵۲۲.

۲- مجمع البيان: ج۱۰، ص۵۴۴.

المطلق وهذا لا يصدق إلّا على الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فلا شك أن الله تعالى هو الذى برأ الخلق وأوجد كل ذى وجود بعلمه وقدرته، وهو الذى أعطى كل خلقه حاجته وأدام فيضه على خلقه فلذا استحق أن يكون مقصوداً فى الحاجات، لأنه تعالى الغنى المطلق فهو يقصد ولا يقصد أحدا لافتقار كل ما سواه إليه فلذا أورد قوله تعالى:

(وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) (۱).

وإذا تأملنا المعنى اللغوى للصمد الذى هو مصمت لا جوف له، يظهر لنا عدم حاجته للأكل والشرب والنوم كما أنه لم يلد ولم يولد، وما ورد عن أهل البيت عليهم السلام فى تفسير الصمد يدلنا على معانى كثيره نذكرها للفائده الكبيره.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«حدّثنى أبى زين العابدين عليه السلام، عن أبيه الحسين بن على عليهما السلام أنه قال: (الصمد) الذى قد انتهى سؤدده، والصمد: الدائم الذى لم يزل ولا يزال، والصمد: الذى لا جوف له، والصمد: الذى لا يأكل ولا يشرب، والصمد: الذى لا ينام».

وقال أيضا عليه السلام:

«والصمد: السيد المطاع الذى ليس فوقه آمر ولا ناه».

وسُئل الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن (الصمد) فقال:

«الصمد: الذى لا شريك له ولا يؤوده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء».

وقال عليه السلام:

«الصمد: الذى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، والصمد: الذى أبدع

۱- سوره النجم، الآيه: ۴۲.

الأشياء، فخلقها أضدادا وأصنافا، وأشكالا وأزواجا، وتفرد بالوحده بلا ضد، ولا شكل، ولا مثل، ولا ند».

قال وهب بن وهب: وحدثنى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، أن أهل البصره كتبوا إلى الحسين بن على عليه السلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فلا تخوضوا فى القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وإن الله قد فسر سبحانه الصمد.

فقال:

(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (۳) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (۱)»(۲).

(ما تَصَوَّرَ فى الأوهام فهو خلافه)

التصوّر فى اللغه: (تصوّر: تكونت له صوره وشكل والشىء تخيله واستحضر صورته فى ذهنه.

التصوّر فى علم النفس: استحضار صوره شىء محسوس فى العقل دون التصرف فيه.

التصوّر عند المناطقه: إدراك المفرد: أى معنى الماهيه من غير أن يحكم عليها بنفى أو إثبات)(۳).

۱- سوره الإخلاص، الآيتان: ۳ و۴.

۲- تفسير مجمع البيان، الطبرسى: ج ۱۰، ص ۵۵۰.

۳- المعجم الوسيط: ص۵۲۸.

التصوّريه فى الفلسفه: المذهب القائل بأن الكليات لا توجد إلا فى الذهن وهو يقابل مذهبى الواقعيه والأسميه.

الوهم: ما يقع فى الذهن من الخاطر، وهم الشىء دار فى خاطره، توهّم الشىء: ظنه وتمثله وتخيله كان فى الوجود أو لم يكن(١).

التصور والتصديق

التصور: هو علمك بالشىء دون أن تجزم أو تعتقد بمطابقه علمك للواقع.

التصديق: هو علمك بالشىء مع مطابقه ذلك للواقع مما يدفع النفس للإذعان والتصديق بالمطابقه.

ولكى يتضح المطلب نقول: إذا حصل فى ذهنك علم بشىء دون أن تصل إلى حد الجزم والاعتقاد به فهذا يسمى تصوراً مجرداً، وإذا قمت بالبرهنه والاستدلال على ثبوته أو نفيه وحصل لك جزم واعتقاد بذلك فهذا يسمى تصديقاً ولكى يكون المطلب أوضح نضرب مثلا لذلك:

(لو قلت لك أن قبه الإمام الحسين عليه السلام بيضويه الشكل مذهبه بذهب خالص حصل عندك تصور عما أخبرتك به، ولما ذهبت وتحققت من الخبر وثبت لك صحه ما قلت حصل لك تصديق لمطابقه الخبر للواقع).

فالتصور مجرد علمك بشىء دون أن يستتبع ذلك التصور جزم واعتقاد، والتصديق هو ترجيح أحد طرفى الخبر مع نفى احتمال الطرف الآخر وهذا هو (اليقين) أو مع وجود احتمال ضعيف للطرف الآخر وهذا يسمى (الظن) وهذا ما ينقسم إليه التصديق على بعض الآراء.

١- المعجم الوسيط: ص ١٠٦٠.

الوهميات

وهی القضايا الوهميه الصرفه، وهی قضايا كاذبه(١)، ولكی نقف علی هذا المطلب نحتاج إلی مقدمه فنقول:

أخرج الله تعالی الإنسان من بطن أمه وهو لا يعلم شيئاً، إلا أنه يملک حواساً ظاهره كحاسه السمع والبصر والذوق واللمس فيستخدم هذه الحواس فی بيئته فيحس بالأشياء ويتأثر بها ويحصل عنده علم نتيجه استخدامه لهذه الحواس، ويسمی (العلم الحسی) وهو أول درجات العلم وهذا ما يؤكده الله سبحانه وتعالی:

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٢).

ثم يحفظ هذه الصوره التی أدركها بالحس فی ذهنه فينسب بعضها إلی بعض كقوله (هذا أطول من ذاک) أو يؤلف بعضها مع بعض فتكون عنده صوراً لا واقع لها فی الخارج، فهذا الحفظ أو التأليف يسمی (العلم الخيالی) ثم يتجاوز إدراک المحسوسات إلی إدراک أمور ليست هی من جنس المحسوسات كحبّ الغير له وحبه لغيره أو بغض الغير له أو بغضه لغيره وهذا يسمی (بالعلم الوهمی) يحصل عليه الإنسان بقوه الوهم.

للوهم معنيان تاره يراد منه ما يقابل الظن وهو: أن تحتمل مضمون الخبر أو عدمه مع ترجيح الطرف الآخر، وأخری: يراد منه تصوير الأمور غير المحسوسه تصويراً محسوساً فترتكز هذه الصور فی ذهنه حتی تستفحل وتتحول إلی قضايا ثابته فی النفس لا يمكن رفضها حتّی مع قيام البرهان علی خلافها وقد تتحول إلی معتقدات يصعب زوالها، ولكی نوضح هذا الأمر بالمثال نقول: نجد الإنسان لا يقبل الاجتماع مع ميت

١- منطق المظفر: ج٣.

٢- سوره النحل، الآيه: ٧٨.

فی مکـان مظلم رغم علمه أنه جماد لا یتحرک ولا یضـر ولا ینفع، وإذا کان خوفه ناشـئاً من عوده الحیاه إلی هـذا المیت فالعقل یحکم بـأنه سـیرجع إنسانـاً سویا لا سـیما إذا کان من الأحبه، ولکن الوهم والقوه الواهمه ترفض حکم العقل وتجعل صاحبها فی خوف دائم من المیت.

فـالوهم تابع للحس ومنقاد له ولـذا یطبق أحکام المحسوسات علی غیر المحسوس أیضا کتوهمه بأن الله تعالی فی مکان عالٍ وله هیئه کبیره وإلخ من التوهمات فیقع فی التجسیم والتشبیه وهذا ما أشار إلیه الإمام الحسین علیه السلام بقوله أعلاه.

وقوله علیه السلام:

«لَیسَ بَربٌّ مَنْ طُرِحَ تَحْتَ البَلاغِ، وَمَعْبُودٍ مَن وجِدَ فی هواءٍ أو غَیرِ هَواءٍ».

من خلال معرفتنا لعظمه الله تعالی وغناه وتنزهه عن الحـدود المکانیه والزمانیه یتضح لنا قول الإمام الحسـین علیه السـلام المتقدم ونراه یؤکد فیه أن الرب الذی یدبر شؤون مخلوقاته ویدیر أمر الممکنات لا یمکن أن یخضع للحدود، ولا یمکن أن یحده مکان أو یحیـط به شـیء مهما کانت سعته حتی لو کان هواءً أو غیره ممن هو أوسع من الهواء وأکثر مرونه منه، ولا یسـتحق المحـدود والمتناهی العبودیه لانتفاء صـفات المعبود فیه، إذ إننا نعلم أن من یسـتحق أن یعبد هو من لا شریک ولا ند ولا مثیل ولا شبیه ولا حـاجه ولاـ کتله ولا حجم ولا کثافه ولا وزن ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا صوره ولا جسم له بل ولا صـفه من صـفات العباد الکمـالیه وغیرهـا، لأـنه لیس کمثله شـیء وتعـالی من أن یحـاط بأرض أو سـماء أو ماء أو هواء، وما ورد عن أمیر المؤمنین علیه السلام فی نهج البلاغه بقوله:

«قد علم السرائر وخبر الضمائر وله الإحاطه بکل شیء».

یؤکد هذا المعنی بل یترجم قوله تعالی:

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا) (۱).

وقوله عليه السلام:

«هُوَ فی الأَشْیاءِ کائِنٌ لا کَیْنُونَهَ مَحظُورٍ بِها عَلَیهِ، وَمِنَ الأَشْیاءِ بائِنٌ لا بَیْنُونَهَ غائبٍ عَنها».

تبین مما تقدم جلاله الله تعالی عن صفات الأجسام وقوانینها وآثارها فلذا لا یمکن أن نفسر قول الإمام الحسین علیه السلام بتفسیر یوحی بالجسمیه والمحدودیه والمادیه، بل لابد من بیان لقوله علیه السلام یؤکد نزاهه الله تعالی عن کل صفه من صفات المخلوقین وهذا ما سنتعرض له فنقول:

لا یصح أن نفسر قول الإمام علیه السلام (فی الأشیاء) بالدخول، وقوله (من الأشیاء) بالخروج لأنهما من صفات الأجسام وهو تعالی لیس بجسم، فضلا عن غناه المطلق عن کل شیء، فلو دخل فی الأشیاء کدخول الأجسام فی بعضها لزم افتقاره إلی المکان والمحدودیه وهذا من صفات الممکن وقد ثبت أنه تعالی واجب الوجود غنی مطلق، وکذلک لو قلنا بدخوله فی الأشیاء کدخول الأجسام یلزم من قولنا هذا وصفه بالنقص لأن الدخول إما أن یکون کاملاً له أو لا؟ فعلی الأول یلزم وصفه بنقص سابق فأراد أن یستکمل بالدخول، وعلی الثانی: یکون الدخول نقصا بذاته یتصف به الحق سبحانه وعلی الفرضین یقع التجسیم والوصف القبیح تعالی الله عن ذلک علواً کبیراً، فلذا لابد من تفسیر قول الإمام علیه السلام بأنه سبحانه هو القیوم المحیط بکل شیء، وهذه الإحاطه التی یحیط الأشیاء بها هی إحاطه تامه للظاهر والباطن علی حد سواء، وهذا المعنی ورد فی أقوال أمیر المؤمنین علیه السلم فی أکثر من خطبه کما فی قوله علیه السلام:

۱- سوره النساء، الآیه: ۱۲۶.

«لیس فی الأشیاء بوالج ولا عنها بخارج»(۱).

ولنزاهته تعالی عن الحدود والحلول والعجز نجد سید الموحدین علیه السلام یصفه فی خطبه أخری فیقول:

«لم یحلل فی الأشیاء فیقال هو فیها کائن، ولم ینأ عنها فیقال هو منها بائن»(۲).

ولکی لا یفسر قربه وبُعده تعالی تفسیراً مادیاً بوجب التشبیه یقول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«لم یقرب من الأشیاء بالتصاق، ولم یبعد عنها بافتراق»(۳).

وهکذا دیدن أهل البیت علیهم السلام فی وصفهم لخالقهم وربهم ومعبودهم، لا یختلف أمیر المؤمنین علیه السلام مع ولده الإمام الحسین علیه السلام ولا الإمام الحسین مع ذریته الأئمه المعصومین علیهم السلام فی وصفهم لله تعالی وتنزیهه وتسبیحه عما لا یلیق بکماله سبحانه، ومن ضمن هذه الروایات:

عن أحمد بن محمد بن خالد البرقی، عن أبیه، عن النضر بن سوید، عن یحیی الحلبی، عن ابن مسکان، عن زراره بن أعین قال: (سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول:

«إنّ الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه، وکل ما وقع علیه اسم شیء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق کل شیء، تبارک الذی:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا یَذْرَؤُکُمْ فِیهِ لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَهُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ)(۴)(۵).

۱- نهج البلاغه: الخطبه ۱۸۵.

۲- نهج البلاغه: الخطبه ۶۴.

۳- نهج البلاغه: الخطبه ۱۶۲.

۴- سوره الشوری، الآیه: ۱۱.

۵- أصول الکافی: ج۱، ص۴۸ ۴۹، ح۴.

عن على بن إبراهيم عن أبيه، عن أبى عمير عن على بن عطيه عن ثيثمه (عن أبى جعفر عليه السلام قال:

«إنّ الله خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وكل ما وقع عليه اسم شىء ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شىء»)(۱).

وقوله عليه السلام:

(لَيسَ بِقادِرٍ مَن قارَنَهُ ضِدٌّ أوْ ساواهُ نِدٌّ).

أشار الإمام عليه السلام إلى حدود قدره من له ضد، إذ إن كل ضدين يدفع أحدهما الآخر لتساوى قدرتهما ومحدوديتهما إزاء بعضهما البعض، ولذا لا يعد قادراً حقيقا من اتصف بالعجز أمام من هو ضده أو نده، وحيث إن الله تعالى قادر مطلق لا يعجزه شىء بل هو على كل شىء قدير لزم من هذا أن لا ضد ولا ند له.

وقوله عليه السلام:

(لَيسَ عَن الدَّهرِ قِدَمُهُ ولا بِالنّاحِيهِ أمَمُهُ، احتَجبَ عَنِ العُقُولِ كَما احتَجَبَ عَنِ الأبصار، وعَمَّنْ فى السَّماءِ احِتجابُهُ كَمَنْ فى الأرضِ، قُربُهُ كَرامَتُهُ وبُعده إهانَتُهُ، لا تُحلّهُ (فى) ولا تُوَقِّتُهُ (إذ) ولا تُؤامِرُهُ (إنْ)، عُلُوُّهُ مِنْ غَيرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجيئُهُ مِنْ غَيرِ تَنَقُّلٍ، يُوجِدُ المفقُودَ ويُفْقِدُ المَوجُودَ، ولا تَجتمِعُ لِغَيرِهِ الصِّفَتانِ فى وَقتٍ).

فى هذا المقطع الشريف يشير الإمام الحسين عليه السلام إلى مجموعه أبحاث عقائديه نتعرض لها باختصار:

قوله عليه السلام (لَيسَ عَن الدَّهرِ قِدَمُهُ ولا بِالنّاحِيهِ أمَمُهُ).

يشير الإمام عليه السلام إلى صفه من صفات الله تعالى ألا وهى أزليته وقدمه، فلقد أجمع أهل الإيمان والعلم على نزاهه الله تعالى عن الزمان واتسامه فلا يصح

۱- أصول الكافى: ج۱، ص۴۹، ح۵.

توصيفه بالماضى أو الحاضر أو المستقبل لأنه هو خالق الزمان بل هو محيط بالزمان، فلذا لا يجوز تفسير قدمه بمعنى وجود فى الماضى وإنما يفسر قدمه تعالى بأنه وجود غير مسبوق بعدم لأنه واجب الوجود، وكذلك فهو تعالى منزه عن المكان والجهه لأنه هو خالق المكان والنواحى والجهات بل هو محيط بالمكان وجهاته.

وهكذا، وبناء على ما تقدم يظهر أن الصوره أو المفهوم الذى يحصل فى ذهن الإنسان عن الله تعالى ليس إلا ـ وهم مخالف للحقيقه.

الخطبه الثانيه: وفيها يوصى بتقوى الله، وينذر من عقابه

اشاره

نص الخطبه

اشاره

«أُوصيكم بِتقوَى اللهِ، وأُحذِّرُكُمْ أيّامَهُ، وأرفَعُ لكُم أعلامَهُ، فَكَأَنَّ المَخُوفَ قَد أفِدَ بِمَهُولِ وُرودِه، ونكيرِ حُلولِه، وبَشِعِ مَذاقِهِ، فَاعتَلَقَ مُهَجَكم(۱)، وحالَ بَيْنَ العَمَلِ وبَينَكم، فَبادِروا بِصِحَّهِ الأجسامِ فى مُدَّهِ الأعمارِ، كَأَنَّكُم بِبَغَتاتِ طَوارِقِه(۲) فَتَنْقُلُكُم مِنْ ظَهرِ الأرضِ إلى بَطنِها، ومِنْ عُلوِها إلى سُفُلِها، ومِنْ أُنسِها إلى وَحشَتِها، مِنْ رَوحِها وضَوئِها إلى ظُلمَتِها، ومِنْ سَعَتِها إلى ضِيقِها، حيثُ لا يزارُ حَميمٌ ولا يُعادُ سَقيمٌ ولا يُجابُ صَريخٌ، أعانَنَا اللهُ وإيّاكم على أهْوالِ ذلِكَ اليَومِ، ونَجّانا وإيّاكُم مِنْ عِقابِهِ، وأوجَبَ لَنا وَلَكُم الجَزيلَ مِنْ ثَوابِهِ.

عبادَ اللهِ فَلَوْ كانَ ذلِكَ قَصيرَ مَرماكُم ومَدى مَطْعَنِكُمْ(۳) كانَ حَسْبُ العامِلِ شُغلاً يَستَفرغُ عَلَيهِ أحزانَهُ، ويَذهَلُهُ عَن دُنياهُ، ويُكثِرُ نَصَبَهُ لِطَلَبِ الخَلاصِ مِنه، فكيفَ وَهُوَ بَعدَ ذلِكَ مُرتَهنٌ باكتِسابِه، مُستَوقِفٌ على حِسابِه، لا وَزيرَ لَهُ يَمْنَعُه ولا ظَهِيرَ عَنهُ يَدفَعُهُ، ويَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكنُ آمَنَتْ مِنْ قَبلُ أو كَسَبَتْ فى إيمانِها خَيراً، قُلِ انتَظِروا إنّا مُنْتَظِرُون.

۱- أفِدَ: دنا وقرب. والمهول: المخيف. بشع: صار طعمه كريها. واعتلقه وبه: أحبه حبا شديدا. والمهج: جمع مهجه: دم القلب والمراد نفس القلب.

۲- البغتات: جمع بغته أى فجأه.

۳- الجزيل: الكثير العظيم من كل شىء. والقصر: الغايه. والمرمى: ما ترمى إليه السهام. والمدى: المسافه والغايه. والمطعن: المسير.

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ قَد ضَمِنَ لِمَنِ اتَّقاهُ أنْ يُحَوِّلَهُ عَمّا يَكرَهُ إلى ما يُحِبُّ ويَرزُقَهُ مِنْ حَيثُ لا يَحتَسِبُ، فَإِيّاكَ أن تَكوُنَ مِمَّن يَخافُ عَلَى العِبادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَأمَنُ العُقوبَةَ مِنْ ذَنبِه، فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى لا يُخدَعُ عَن جَنَّتِهِ ولا يُنالُ ما عِنْدَهُ إلّا بِطاعَتِه إنْ شاءَ اللهُ».

المعنى العام

(أُوصيكم بِتَقوَى اللهِ، وأُحذِّرُكُمْ أيّامَهُ، وأرفَعُ لكُم أعلامَهُ، فَكَأَنَّ المَخُوفَ قَد أفِدَ بِمَهُولِ وُرودِه، ونكيرِ حُلولِه، وبَشِعِ مَذاقِهِ، فَاعتَلَقَ مُهَجَكم، وحالَ بَيْنَ العَمَلِ وبَينَكم).

أطلب منكم الالتزام بالخشيه والخوف من الله تعالى، وأخوفكم وأطلب منكم التحرز من أيام الله تعالى التى تحدث عنها فى القرآن الكريم (يوم كألف سنه... الخ) (يوم التلاق...) وارفع لكم ما تهتدون به من هدى الله تعالى، فكأن الأمر الذى تخشونه قد دنا وقرب إليكم بفزع ورعب وروده، وصعوبه نزوله، وكريه طعمه، فتعلق بقلوبكم تعلقاً شديدا، وصار مانعا بينكم وبين العمل.

(فَبادِروا بِصِحَّهِ الأجسامِ فى مُدَّهِ الأعمارِ، كَأَنَّكُم بِبَغَتاتِ طَوارِقِه فَتَنْقُلُكُم مِنْ ظَهرِ الأرضِ إلى بَطنِها، ومِنْ عُلوِها إلى سُفُلِها، ومِنْ أُنسِها إلى وَحشَتِها، مِنْ رَوحِها وضَوئِها إلى ظُلمَتِها، ومِنْ سَعَتِها إلى ضِيقِها).

أسرعوا وعجلوا إلى اغتنام الصحه قبل السقم فى طاعه الله تعالى، وأنتم على وشك أن تفاجئكم الدواهى التى تأتى ليلا فتحولكم من على سطح الأرض إلى جوفها وباطنها، ومن ارتفاعها إلى أدنى نقطه فيها، ومن ما هو لطيف ومسر للنفس إلى ما هو ضد ذلك من النفور والكدوره، ومن الراحه والسعه وطيبه العيش إلى ذهاب نورها

وشدتها، ومن رحابتها ويسارها إلى شدتها.

(حيثُ لا يزارُ حَميمٌ ولا يُعادُ سَقيمٌ ولا يُجابُ صَرِيخٌ).

يشير الإمام على عليه السلام إلى أن هذا المكان لا يحصل فيه اللقاء بين الأحبه ولا يفحص المريض ولا يطمئن على صحه ولا يغاث ا لمستغيث.

(أعانَنَا اللهُ وإيّاكم على أهْوالِ ذلِكَ اليَومِ، ونَجّانا وإيّاكُم مِنْ عِقابِهِ، وأوجَبَ لَنا وَلَكُم الجَزِيلَ مِنْ ثَوابِهِ).

ساعدنا الله تعالى وإياكم على رعب وخوف ذلك اليوم الذى هو يوم القيامه، وخلصنا الله وإياكم من أذاه وآلامه، وجعل لنا ولكم الكثير العظيم من العطاء وحسن الجزاء.

(عبادَ اللهِ فَلَوْ كانَ ذلِكَ قَصْيِرَ مَرماكُم ومَدى مَظْعَنِكُمْ كانَ حَسْبُ العامِلِ شُغلاً يَستَفرغُ عَلَيهِ أحزانَهُ، ويَذهَلُهُ عَن دُنياهُ، ويُكثِرُ نَصَبَهُ لِطَلَبِ الخَلاصِ مِنه، فكيفَ وَهُوَ بَعدَ ذلِكَ مُرتَهِنٌ باِكتِسابِه، مُستَوقِفٌ على حِسابِه، لا وَزِيرَ لَهُ يَمْنَعُه ولا ظَهيرَ عَنهُ يَدفَعُهُ، ويَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكنُ آمَنَتْ مِنْ قَبلُ أو كَسَبَتْ فى إيمانِها خَيراً، قُلِ انتَظِروا إنّا مُنْتَظِروُن).

يوجه الإمام عليه السلام نداءه إلى من هو مؤمن عابد لربه فيقول لو كان ذلك الأمر الذى سبق بيانه هو غايه هدفكم ومسافه وغايه مسيركم كان كافيا ليشغل العامل منكم فى طاعه الله تعالى وكافيا لصب تمام غمه وهمه عليه، وكافيا ليشغله ويغفله عن زبارج الدنيا وزخارفها، ويكثر تعبه لنيل النجاه من أهوال ذلك اليوم، فكيف لا يذهل ويهتم بذلك اليوم الذى سيكون فيه حيث لا معين فيعينه ولا حامل لثقله أحد، ولا دافع عنه البلاء، وفى هذا اليوم لا يفيد نفس إيمانها وهى لم تكن مؤمنه فى الدنيا وغير عامله فى طاعه ربها، فقل ترقبوا ونحن معكم نرقب.

(أُوصيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ قَد ضَمِنَ لِمَنِ اتَّقاهُ أنْ يُحَوِّلَهُ عَمّا يَكرَهُ إلى ما يُحِبُّ ويَرزُقَهُ مِنْ حَيثُ لا يَحتَسِبُ، فَإيّاكَ أن تَكوُنَ مِمَّن يَخافُ عَلَى العِبادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَأمَنُ العُقَوبَهَ مِنْ ذَنبِه، فَإنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالى لا يُخدَعُ عَن جَنَّتِهِ ولا يُنالُ ما عِنْدَهُ إلاّ بِطاعَتِه إنْ شاءَ اللُّه).

تقدم فى بدايه الخطبه بيان قوله أوصيكم بتقوى الله، ويشير الإمام الحسين بن على عليهما السلام إلى أن الله تعالى تكفل لكل من يخافه ويخشاه أن ينقله عنما لا يريده وينفر منه إلى ما يرغبه ويحبه ثم يأتى برزقه من غير الأسباب التى سعى فيها ومن حيث لا يحتمل، ثم يرشد الإمام عليه السلام أن تكون من الناس الذين يخشون على مصر غيرهم بسبب ذنوبهم ولا يخافون على مصايرهم وهم فى اطمئنان من نزول العقوبه عليهم مع وقوع الذنب منهم، ويقول الإمام عليه السلام إن الله تبارک وتعالى لا تخفى عليه الحيل ولا يستطيع أحد أن يمكر فيظهر مره ويخفى مره أخرى لينال جنه الله تعالى فإن ذلک لا ينال إلا بالطاعه الخالصه.

بحث أخلاقى

التقوى ميزان القرب الإلهى

كل ما يخرج من فم العصمه والطهاره لابد أن يكون مهما ومعصوما ولا يخالف العقل أو الشرع، ومما أكد عليه الإمام السبط عليه السلام فى خطبته الثانيه هو التمسک بهذا الأمر المهم الذى يعد ميزانا لقرب العبد من مولاه وعلامه على أفضليته على غيره ممن لم يتحلى به ألا وهو (التقوى).

التقوى لغه: هو الحذر الخوف والتجنب.

الخشيه والخوف وتقوى الله: خشيه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه(۱).

التقوى اصطلاحا: هو الامتثال لأمر الله تعالى والانتهاء عن نهيه خوفا منه وتجنبا لغضبه وعقوبته.

لهذه الصفه دلالات تدل على من يتصف بها، كما أن لها آثاراً عظيمه تنعكس على نفس صاحبها انعكاسا هو بأمس الحاجه إليه فى الدنيا والآخره فلذا نجد أن الإمام الحسين عليه السلام يقتفى أثر العِدل الأكبر (القرآن الكريم) فى الحرص على الوصيه بهذه الصفه المهمه، ولكى نقف على ما جاء فى الكتاب الكريم ونطلع على لطف المولى جل وعلا بعباده لابد لنا من التأمل فى قوله تعالى:

(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا) (۲).

وما كان هذا الأمر الإلهى بالتقوى إلا لكى ينتفع العبد بآثارها ويكسب السند المنيع والملجأ الحصين وينال البركات فى الدنيا والرضا والشكر الإلهى فى الآخره.

فإن التقوى هى خير الوصايا وأفضل العواقب كما ورد ذلك على لسان إمام المتقين عليه السلام بقوله:

«أُوصِيكُم عِبادَ اللهِ بتَقوَى اللهِ؛ فإنّها خَيرُ ما تَواصَى العِبادُ بِه، وخَيرُ عَواقِبِ الأُمورِ عِنْدَ اللهِ»(۳).

۱- المعجم الوسيط: ص۱۰۵۲.

۲- سوره النساء، الآیه: ۱۳۱.

۳- ميزان الحكمه: ج۱۱، ص۴۸۱۰، ح۲۲۳۴۶.

ولأهميه الوصـيه بالتقوى حرص أمير المؤمنين عليه السـلام وأهل بيته الكرام عليهم السـلام على افتتاح خطبهم وكتبهم ورسائلهم بالوصيه بالتقوى وهذا ما تؤكده النصوص الآتيه:

۱ قال عليه السلام:

«أُوصِيكُم عِبادَ اللهِ بتَقوَى اللهِ الّذى ضَرَبَ الأمثالَ، ووَقَّتَ لَكُمُ الآجالَ»(۱).

۲ قال عليه السلام:

«أُوصِيكَ بتَقوَى اللهِ أى بُنَىَّ ولُزومِ أمرِهِ، وعِمارَهِ قَلبِكَ بِذكرِهِ»(۲).

۳ قال عليه السلام:

«أُوصِيكم عِبادَ اللهِ بتَقوَى اللهِ الّذى ألبَسَكُمْ الرِّياشَ، وأسبَغَ علَيكُمُ المَعَاشَ»(۳).

۴ عنه عليه السلام:

«أُوصِيكم عِبادَ اللهِ بتَقوَى اللهِ، وأُحَذِّرُكُم أهلَ النِّفَاقِ»(۴).

۵ عنه عليه السلام:

«أُوصِيكُم عِبادَ اللهِ بتَقوَى اللهِ، وأُحَذِّرُكُم الدُّنيا»(۵).

وهناك المزيد من هذه الوصايا تركناها للاختصار.

۱- ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۸۱۰، ح ۲۲۳۴۷.
۲- نهج البلاغه: الخطبه ۳۱. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۸۱۱، ح ۲۲۳۴۹.
۳- نهج البلاغه: الخطبه ۱۸۲. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۸۱۱، ح ۲۲۳۵۰.
۴- نهج البلاغه: الخطبه ۱۹۴. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۸۱۱، ح ۲۲۳۵۱.
۵- نهج البلاغه: الخطبه ۱۹۶. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۸۱۱، ح ۲۲۳۵۳.

آثار التقوی فی الدنیا

نذکر هذه الآثار وفق هذا التبویب لتسهیل حفظها من قبل القارئ، فلذا تجنبنا شرحها ولکی لا ندخل فی الإسهاب والإطاله وإلا فإن لکل أثر من آثارها شرحاً طویلاً یحتاج إلی صفحات کثیره.

۱ إنها تورث البرکه کما فی قوله تعالی:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَی آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَیْهِمْ بَرَکَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَکِنْ کَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا کَانُوا یَکْسِبُونَ) (۱).

۲ إنها تورث الفلاح کما فی قوله تعالی:

(ذَلِکَ الْکِتَابُ لَا رَیْبَ فِیهِ هُدًی لِلْمُتَّقِینَ (۲) الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْغَیْبِ وَیُقِیمُونَ الصَّلَاهَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ یُنْفِقُونَ (۳) وَالَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَبِالْآخِرَهِ هُمْ یُوقِنُونَ (۴) أُولَئِکَ عَلَی هُدًی مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (۲).

۳ إنها تشبه بأخلاق الأنبیاء کما ورد فی قول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«علَیکَ بالتُّقی؛ فإنَّه خُلقُ الأنبیاءِ»(۳).

۴ إنها تورث خیر الدنیا والآخره کما ورد فی قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«مَن رُزِقَ تُقیً فَقَد رُزِقَ خَیرَ الدُّنیا والآخِرَهِ»(۴).

۱- سوره الأعراف، الآیه: ۹۶.

۲- سوره البقره، الآیات: ۲ ۵.

۳- غرر الحکم: ۶۰۸۶. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص۴۸۰۸، ح ۲۲۳۳۱.

۴- کنز العمّال: ۵۶۴۱. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص۴۸۰۸، ح ۲۲۳۳۲.

۵ إنها سبب فی دفع الهلاک وحفظ ما یزرع العبد من زرع معنوی أو مادی، کما ورد فی قوله علیه السلام:

«لا یَهلِکُ عَلَی التَّقوی سِنخُ أصلٍ، ولا یَظمَأُ عَلَیها زَرعُ قَومٍ»(۱).

۶ إنها سبب فی نجاه الهاربین من الظلم، وسبب فی نیل المطالب، وسبب فی النصر علی الأعداء الظالمین کما أنها حرز وعز لمن یتحلی بها وهذا ما أکده أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«إنّ التَّقوی أفضَلُ کَنزٍ، وأحرَزُ حِرزٍ، وأعَزُّ عِزٍّ، فیهِ نَجاهُ کُلِّ هارِبٍ، ودَرکُ کُلِّ طالِبٍ، وظَفَرُ کُلِّ غالِبٍ»(۲).

۷ إنها سلامه من الخساره والتلف وهذا ما أشار إلیه الإمام أبو جعفر علیه السلام لسعد الخیر:

«أُوصیکَ بِتَوَی اللهِ؛ فإنّ فیها السَّلامَهَ مِن التَّلَفِ والغَنیمَهَ فی المُنقَلَبِ»(۳).

۸ إنها حرز وصیانه من إغواء الفجار وقوه لحفظ النفس أمام إغراء الشهوات واللذات، وحرز من الضلال ولذا قال الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إنّ مَن فَارقَ التَّقوی أُغرِیَ باللَّذّاتِ والشَّهواتِ، ووَقَعَ فی تِیهِ السَّیِّئاتِ، ولَزِمَهُ کَبیرُ التَّبعاتِ»(۴).

۹ إنها تدفع وساوس الشیطان وتفتح البصیره والبصر کما فی قوله تعالی:

(إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّیْطَانِ تَذَکَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (۵).

۱- نهج البلاغه: الخطبه ۱۶. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۰۹، ح ۲۲۳۳۶.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۳۷۴، ح ۳۶. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۰۹، ح ۲۲۳۳۸.

۳- الکافی: ج ۸، ص ۵۲، ح ۱۶. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۰۹، ح ۲۲۳۳۹.

۴- غرر الحکم: ۳۶۲۵. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۰۹، ح ۲۲۳۴۲.

۵- سوره الأعراف، الآیه: ۲۰۱.

۱۰ إنها تکسب صاحبها الشرف کما فی قول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«التَّقوی ظاهِرهُ شَرَفُ الدُّنیا، وباطِنهُ شَرَفُ الآخِرَهِ»(۱).

۱۱ إنها توجب الغنی والعز والأنس کما جاء عن الإمام الصادق علیه السلام:

«ما نَقَلَ اللهُ عَزَّ وجلَّ عَبداً مِن ذُلِّ المَعاصی إلی عِزِّ التَّقوی إلاّ أغناهُ مِن غَیرِ مالٍ، وأعَزهُ مِن غَیرِ عَشیرَهٍ، وآنَسَهُ مِن غَیرِ بَشَرٍ»(۲).

۱۲ إنها شفاء لأمراض القلوب والأجساد معاً، ونور للعقول، وطهاره للنفوس، وهذا ما أرشد إلیه الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إنَّ تَقوَی اللهِ دَواءُ دَاءِقُلوبِکُم، وبَصَرُ عَمی أفئدتِکُم، وشِفاءُ مَرَضِ أجسادِکُم، وصَلاحُ فَسادِ صُدورِکُم، وطَهورُ دَنَسِ أنفُسِکُم، وجَلاءُ عَشا أبصارِکُم، وأمنُ فَزَعِ جَأشِکُم، وضِیاءُ سَوادِ ظُلمَتِکُم»(۳).

۱۳ هی خلاص من المآزق والشدائد، وهی سبب فی تحصیل الأرزاق من حیث لا نحتسب کما فی قوله تعالی:

(وَیَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لَا یَحْتَسِبُ وَمَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِکُلِّ شَیْءٍ قَدْرًا) (۴).

۱۴ هی نجاه من الفتن وخلاص من الحیره کما ورد عن إمام المتقین أمیر المؤمنین علی علیه السلام:

«اعلَموا أنَّهُ (وَمَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) مِن الفِتَنِ، ونُوراً مِن الظُّلَمِ»(۵).

۱- غرر الحکم: ۱۹۹۰. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۱۸، ح۲۲۴۰۵.

۲- بحار الأنوار: ج۷۰، ص۲۸۲، ح۱. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۱۸، ح۲۲۴۰۹.

۳- غرر الحکم: ۵۱۵۴. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۱۹، ح۲۲۴۱۱.

۴- سوره الطلاق، الآیه: ۳.

۵- نهج البلاغه: الخطبه ۱۸۳. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۲۳، ح۲۲۴۳۶.

۱۵ هی سبب فی کشف الهموم کما ورد عن إمام المتقین أمیر المؤمنین علی علیه السلام:

«مَنِ اتَقی اللّه سبحانَهُ جَعَلَ لَهُ مَن کُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ومِن کُلِّ ضِیقٍ مَخرَجاً»(۱).

آثار التقوی فی الآخره

لاشک فی أن للتقوی آثاراً عظیمه لا یستغنی عنها عباد الله تعالی بشیء سواها ومن هذه الآثار:

۱ إنها توجب شکر المولی عز وجل لعبده فی آخرته کما فی قوله تعالی:

(وَلَقَدْ نَصَرَکُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّهٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ) (۲).

۲ إنها توجب رحمه المولی عز وجل بعبده کما فی قوله تعالی:

(أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَکُمْ ذِکْرٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَلَی رَجُلٍ مِنْکُمْ لِیُنْذِرَکُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ) (۳).

۳ إنها توجب الفوز فی الآخره، کما قال الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام:

«التَّقوی غایَهٌ لا یَهلِکُ مَنِ اتَّبَعَها، ولا یَندَمُ مَن عَمِلَ بِها؛ لأنّ بالتَّقوی فازَ الفائزونَ، وبالمَعصِیَهِ خَسِرَ الخاسِرونَ»(۴).

۴ إنها توجب تقربک من الله تعالی وتحتفظ من العذاب، حیث قال أمیر المؤمنین علی علیه السلام:

۱- غرر الحکم: ۸۸۴۷. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۲۲، ح۲۲۴۳۱.

۲- سوره آل عمران، الآیه: ۱۲۳.

۳- سوره الأعراف، الآیه: ۶۳.

۴- کنز العمال: ۴۴۲۱۶. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۰۹، ح۲۲۳۴۰.

«التَّقوى آكَدُ سَبَبٍ بَينَک وبينَ اللهِ إن أخَذتَ بِه، وجُنَّةٌ مِن عَذابٍ ألِيمٍ»(۱).

۵ إنها سبب فی قبول الأعمال کما فی قوله تعالی:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (۲).

۶ إنها تسدد العبد فی دنیاه فیکون من الفائزین فی أخراه، وهی کنز مذخور لیوم الفقر والفاقه، یوم القیامه کما ورد عن أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إنّ تَقوَی اللهِ مِفتاحُ سَدادٍ، وذَخیرَهُ مَعادٍ»(۳).

۷ إنها توجب التنعم فی الجنان والأنهار بل هی سبب فی قرب العبد من ربه کما فی قوله تعالی:

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (۵۴) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) (۴).

التقوی ضروره لابد منها

إذا لم یتلبس الإنسان بالتقوی صار إنساناً میتاً بحسب الباطن والمعنی، وإذا سلب الإنسان وصف الحیاه خرج عن عنوان الإنسانیه، فیصبح مخلوقاً مسخاً ینافس الوحوش والأنعام فی صفاتها، فیغدو لا یهمه إلا ما یهم البهائم من طعام وشراب وتناسل بل قد یصل إلی أسوأ من ذلک فتتحول وداعته وألفته إلی غلظه ووحشیه یفوق بها وحشیه الوحوش الأخری.

أمّا عدم إمکان وصف فاقد التقوی بالحی لقول أمیر المؤمنین علیه السلام:

۱- غرر الحکم: ۲۰۷۹. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۱۹، ح۲۲۴۱۴.

۲- سوره المائده، الآیه: ۲۷.

۳- نهج البلاغه: الخطبه ۲۳۰. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۱۵، ح۲۲۳۸۶.

۴- سوره القمر، الآیتان: ۵۴ و۵۵.

«لا حیاه إلا بالدین، ولا موت إلا بجود الیقین»(۱).

وأمّا النبی صلی الله علیه وآله وسلم فیصرح بأن بعض الناس تراهم إحیاء بحسب الظاهر والماده إلا أنهم أموات کما فی قوله علیه السلام:

«لیس من مات واستراح بمیت، إنما المیت میت الأحیاء»(۲).

وهناک من اتصف بصـفه الکذب التی تجانب التقوی فصار میتا بنظر الإمام علی علیه السـلام وهذا ما جاء فی قوله صلی الله علیه وآله وسلم:

«الکذاب والمیت سواء، فإن فضیله الحی علی المیت الثقه به، فإذا لم یوثق بکلامه فقد بطلت حیاته»(۳).

أمّا کون الإنسان الذی سلب الحیاه بسبب ترکه للتقوی لیس بإنسان بل هو حیوان فی باطنه لقول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«فالصوره صوره إنسان والقلب قلب حیوان، لا یعرف باب الهدی فیتجه ولا باب العمی فیصد عنه وذلک میت الأحیاء»(۴).

وأمّا انقلابه إلی بهیمه همها علفها وشرابها وتناسلها بل تحوله إلی وحش کاسر یفوق الوحوش البریه یرشد إلیه قوله تعالی:

(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَکْثَرَهُمْ یَسْمَعُونَ أَوْ یَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا کَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلًا)(۵).

۱- میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۹۲۲.
۲- بحار الأنوار: ج ۷۹، ص ۱۷۵، ح ۱۳.
۳- شرح أصول الکافی، محمد صالح المازندرانی: ج ۱، ص ۱۸۴.
۴- میزان الحکمه، ج ۳، ص ۲۰۸۲، ح ۲۸۶۷
۵- سوره الفرقان، الآیه: ۴۴.

ولکی لا یصل الإنسان العاقل إلی هذه المرتبه الخسیسه ولکی یعیش حیاه حقیقیه ویبقی محافظاً علی خلقته وصفته الإنسانیه لابد له من التلبس بالتقوی التی هی الإیمان القلبی والعمل الصالح الذی هو روح الدین الحنیف.

وبعد التأمل فی آثار التقوی دنیویا وأخرویا أصبحت التقوی ضروره لا غنی عنها بل هی الحیاه والسعاده والنجاه والشفاء والفلاح والحصانه والحرز والغنی والعز والشرف والأنس، وأخرویا هی الشکر والرحمه والقرب الإلهی وهی الفوز والکنز المذخور لیوم القیامه.

رفع التوهم

اشاره

عندما یعمل العبد عملاً صحیحا من حیث المقدمات والأجزاء والشروط الفقهیه یقع فی توهم أن هذا العمل سیقربه من الله تعالی ویغفل عن الشرط الذی یجعل العمل مقبولاً ومقربا من الله تعالی، ولذا نجد أن القرآن الکریم یبین بوضوح هذه الصوره فی قوله تعالی:

(وَاتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ ابْنَیْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ یُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّکَ قَالَ إِنَّمَا یَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ) (۱).

فالله تعالی لا یقبل العمل إلا من المتقی الذی لا یهمه تمام العمل وصحته فحسب بل الذی یهمه قبول العمل ولذا أکد النبی صلی الله علیه وآله وسلم هذا المعنی فی وصیته لأبی ذر:

«یا أبا ذرٍّ، کُن لِلعَمَلِ بالتَّقوی أشَدَّ اهتِماماً مِنکَ بالعَمَلِ»(۲).

۱- سوره المائده، الآیه: ۲۷.

۲- کنز العمال: ۸۵۰۱. میزان الحکمه: ج۱۱، ص ۴۸۲۰، ح۲۲۴۱۸.

وصرح أمير المؤمنين عليه السلام أن صفتی التقی والإخلاص سر قبول الأعمال بقوله:

«صِفَتانِ لا يَقبَلُ اللهُ سبحانهُ الأعمالَ إلاّ بِهِما: التُّقى والإخلاصُ»(۱).

وهناک دور آخر للتقوی ألا وهو حفظ العمل الصالح من النقصان أو الزوال وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«جِدُّو واجتَهِدوا، وإن لَم تَعمَلوا فلا تَعصُوا؛ فإنَّ مَن يَبنی ولا يَهدِمُ يَرتَفِعُ بِناؤهُ وإن كانَ يَسيراً، وإنَّ مَن يَبنی ويَهدِمُ يُوشِکُ أن لا يَرتَفِعَ بِناؤهُ»(۲).

بل ينظر للعمل القليل المقبول بأنه عمل کثير يرفع بناء العامل كما تقدم فی الحديث، ويؤكد ذلک قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا يَقِلُّ عَمَلٌ مَع تَقوی، وكَيفَ يَقِلُّ ما يُتَقَبَّلُ؟!»(۳).

وبمعرفه هذه النكته العلميه يرتفع التوهم الذی يحصل لكثير من المؤمنين لاسيما من يهمه قبول العمل ومن لا يعرف ذلک أو لا يهتم بقبول العمل فلا فائده من عمله الصحيح وهذا ما رد به السيد الخوئی قدس سره الشريف علی أحد السائلين عن الحج وقبوله

مسأله: منزله المتقين وصفاتهم

إن للمتقين منزله عظيمه ورتبه عاليه عند الله سبحانه وتعالی وكما أن لهم منزله ورتبه شريفه عند أهل الدنيا، وبمجرد الوقوف علی الآيات الكريمه التی وردت لبيان منزلتهم ومقامهم يغنينا عن الشرح والإطاله وهی كما يلی:

۱- غرر الحكم: ۵۸۸۷. ميزان الحكمه: ج۱۱، ص۴۸۲۱، ح۲۲۴۲۲.

۲- بحار الأنوار: ج۷۰، ص۲۸۶، ح۸. ميزان الحكمه: ج۱۱، ص۴۸۲۱، ح۲۲۴۲۴.

۳- الكافی: ج۲، ص۷۵، ح۵. ميزان الحكمه: ج۱۱، ص۴۸۲۰، ح۲۲۴۲۱.

۱ المتقی ولی لله تعالی کما فی قوله:

(وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (۱).

(وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّى آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) (۲).

۲ الله تعالی ناصرهم وسندهم کما فی قوله تعالی:

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (۳).

۳ المتقون محبوبون لله تعالی:

(بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (۴).

۴ حسن العاقبه للمتقین کما فی قوله تعالی:

(تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (۵).

(هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) (۶).

۵ بأنهم سکان الجنه کما فی قوله تعالی:

۱- سوره الأنفال، الآیه: ۳۴.

۲- سوره الدخان، الآیه: ۱۹.

۳- سوره البقره، الآیه: ۱۹۴.

۴- سوره آل عمران، الآیه: ۷۶.

۵- سوره هود، الآیه: ۴۹.

۶- سوره ص، الآیه: ۴۹.

(إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنَّاتٍ وَعُیُونٍ) (۱).

(وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ) (۲).

(إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنَّاتٍ وَعُیُونٍ) (۳).

(إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنَّاتٍ وَنَعِیمٍ) (۴).

۶ إنهم فی مقام أمین کما فی قوله تعالی:

(إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی مَقَامٍ أَمِینٍ) (۵).

۷ هم أهل الهدی کما فی قوله تعالی:

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِینَ) (۶).

۸ هم أهل القرآن کما فی قوله تعالی:

(هَذَا بَیَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًی وَمَوْعِظَهٌ لِلْمُتَّقِینَ) (۷).

۹ هم الوارثون کما فی قوله تعالی:

(قَالَ مُوسَی لِقَوْمِهِ اسْتَعِینُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ یُورِثُهَا مَنْ یَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ) (۸).

۱- سوره الحجر، الآیه: ۴۵.

۲- سوره الشعراء، الآیه: ۹۰.

۳- سوره الذاریات، الآیه: ۱۵.

۴- سوره الطور، الآیه: ۱۷.

۵- سوره الدخان، الآیه: ۵۱.

۶- سوره الزمر، الآیه: ۵۷.

۷- سوره آل عمران، الآیه: ۱۳۸.

۸- سوره الأعراف، الآیه: ۱۲۸.

١٠ هم وفد الرحمن كما فى قوله تعالى:

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) (١).

١١ هم أهل الصدق كما فى قوله تعالى:

(وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (٢).

ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام وصف رائع للمتقين وبيان يأخذ شغاف القلوب وتوقظ به العقول وتقر به الأعين وتسر به النفوس:

١ إن المتقين عباد ملكوا شهواتهم ولم يرزحوا تحت عبوديتها وعاشوا أحراراً فصارت لهم السياده عليها وبذلوا أنفسهم وآثروا غيرهم عليها فجادوا ومن جاد ساد فلذا ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«المُتَّقونَ سادَةٌ، والفُقَهاءُ قادَةٌ، والجُلوسُ إلَيهِم عِبادَةٌ»(٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«المُتَّقونَ سادَةٌ، العُلَماءُ والفُقَهاءُ قادَةٌ، أُخِذَ علَيهِم أداءُ مَواثِيقِ العِلمِ والجُلوسُ إلَيهِم بَرَكةٌ، والنَّظَرُ إلَيهِم نُورٌ»(۴).

٢ من أخلاق المتقين قناعتهم بما رزقهم الله تعالى فاستشعروا الغنى واتصفوا به، وتجنبوا أن يعيشوا حياه الباذخين بإسراف وترف فوق حد الضروره، وعشرتهم مليئه بالفوائد والبركه والطهاره وهذا ما يؤكده الإمام الباقر عليه السلام:

١- سوره مريم، الآيه: ٨٥.

٢- سوره الزمر، الآيه: ٣٣.

٣- أمالى الطوسى: ص٢٢٥، ح٣٩٢. ميزان الحكمه: ج١١، ص٤٨٢٣، ح٢٢۴٣٧.

۴- كنز العمال: ٥٦٥٣. ميزان الحكمه: ج١١، ص٤٨٣٢، ح٢٢۴٣٨.

«أنّ أهلَ التَّقوى هُمُ الأغنِياءُ، أغناهُمُ القَليلُ مِن الدُّنيا، فَمَؤونَتُهُم يَسيرَةٌ، إن نَسِيتَ الخَيرَ ذَكَّروكَ، وإن عَمِلت بِهِ أعانُوكَ، أخَّرُوا شَهَواتِهِم ولَذّاتِهِم خَلفَهُم، وقَدَّمُوا طاعَةَ رَبِّهِم أمامَهُم، ونَظَروا إلى سَبيلِ الخَيرِ وإلى وَلايَةِ أحِبّاءِ اللهِ فأَحِبُّوهُم، وتَولَّوهُم واتَّبَعُوهُم»(۱).

۳ ورد عن الإمام الباقر علیه السلام أن أمیر المؤمنین علیه السلام کان یصفهم بصفات یحبها أهل الأرض وأهل السماء ویطمئن إلیهم کل من یعاشرهم لصدقهم وأمانتهم ووفائهم ولذا جاء عنه علیه السلام:

«کانَ أمیرُ المؤمنینَ علیه السلام یقولُ: إنّ لأهلِ التَّقوى عَلاماتٍ یُعرَفونَ بِها: صِدقُ الحَدیثِ، وأداءُ الأمانَةِ، والوَفاءُ بالعَهدِ... وقِلَّةُ المُؤاتاهِ لِلنِّساءِ، وبَذلُ المَعرُوفِ، وحُسنُ الخُلقِ، وسَعَةُ الحِلمِ، واتِّباعُ العِلمِ فیما یُقَرِّبُ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(۲).

۴ لا تفارق التقوى الإخلاص فإذا اتصف أحد بها لابد من الاتصاف به، کما لا یعیش المتقی حیاه الآملین بآمال الدنیا وأمنیاتها فیؤخذ بطوى الأمل ویغفل عن الأجل، ومن صفاته النباهه والفطنه فلا تفوته فرصه خیر إلا واغتنمها شعوراً منه بقرب الأجل فلذا ذکر الإمام الباقر علیه السلام ذلک بقوله:

«لِلمُتَّقی ثَلاث عَلاماتٍ: إخلاصُ العَمَلِ، وقِصَرُ الأمَلِ، واغتِنامُ المَهَلِ»(۳).

۵ وما ذکره أمیر المؤمنین علیه السلام من صفاتهم فی خطبته التی ألقاها تلبیه لرغبه أحد أصحابه الذی ألح علیه فیها وهی المشهوره باسم هذا الرجل وهو (همام) فیها الکثیر من صفاتهم الرائعه ولذا نذکر بعض المقتطفات تجنباً للإطاله:

۱– بحار الأنوار: ج۶۷، ص۱۶۶، ح۲. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۲۵، ح۲۲۴۴۲.
۲– الخصال: ص۴۸۳، ح۵۶. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۲۵، ح۲۲۴۴۴.
۳– غرر الحکم: ۷۳۷۰. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۸۲۵، ح۲۲۴۴۵.

«فالمُتَّقونَ فيها هُم أهلُ الفَضائلِ: مَنطِقُهُمُ الصَّوابُ، ومَلبَسُهُمُ الاقتِصادُ، ومَشيُهُمُ التَّواضُعُ، غَضُّوا أبصارَهُم عَمّا حَرَّمَ علَيهِم، ووَقَفوا أسماعَهُم علَى العِلمِ النّافِعِ لَهُم، نُزِّلَت أنفُسُهُم مِنهُم فی البَلاءِ كالّتی نُزِّلَت فی الرَّخاءِ، ولَولا الأجَلُ الّذی كَتَبَ اللهُ علَيهم(١) لَم تَستَقِرَّ أرواحُهُم فی أجسادِهِم طَرفَةَ عَينٍ؛ شَوقاً إلَی الثَّوابِ، وخَوفاً مِن العِقابِ.

عَظُمَ الخالِقُ فی أنفُسِهِم فصَغُرَ ما دُونَهُ فی أعيُنِهِم، فَهُم والجَنَّةُ كَمَن قَد رَآها فَهُم فِيها مُنَعَّمونَ، وهُم والنّارُ كَمَن قَد رَآها فَهُم فِيها مُعَذَّبونَ، قُلوبُهُم مَحزونَةٌ، وشُرورُهُم مَأمونَةٌ، وأجسادُهُم نَحيفَةٌ، وحاجاتُهُم خَفيفَةٌ، وأنفُسُهُم عَفيفَةٌ، صَبَروا أيّاماً قَصيرَةً أعقَبَتهُم راحَةً طَويلَةً، تِجارَةٌ مَربِحَةٌ يَسَّرَها لَهُم رَبُّهم، أرادَتهُمُ الدُّنيا فَلم يُريدوها، وأسَرَتهُم فَفَدَوا أنفُسَهُم مِنها.

فمِن عَلامَهِ أحَدِهِم أنَّكَ تَری لَهُ قُوَّةً فی دِينٍ، وحَزماً فی لِينٍ، وإيماناً فی يَقينٍ، وحِرصاً فی عِلمٍ، وعِلماً فی حِلمٍ، وقَصداً فی غِنی، وخُشوعاً فی عِبادَةٍ، وتَجَمُّلاً فی فاقَةٍ، وصَبراً فی شِدَّةٍ، وطَلَباً فی حَلالٍ، ونَشاطاً فی هُدیً، وتَحَرُّجاً عَن طَمَعٍ، يَعمَلُ الأعمالَ الصّالِحَهَ وهُو علی وَجَلٍ، يُمسی وَهَمُّهُ الشُّكرُ، ويُصبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكرُ، يَبِيتُ حَذِراً، ويُصبِحُ فَرِحاً؛ حَذِراً لِما حُذِّرَ مِن الغَفلَهِ، وفَرِحاً بما أصابَ مِن الفَضلِ والرَّحمَهِ»(٢).

الطرق الموصله إلی التقوی

هذه الرتبه العاليه الشريفه التی يطمع فيها كل العقلاء لن ينالها أحد إلا من خلال التمسك بمنهجيه مرسومه من قبل الشارع المقدس ولذا نری أن نبوّب هذه الطرق لتسهل معرفتها والأخذ بها:

١- ورد فی نهج البلاغه: الذی كُتب لهم.

٢- ميزان الحكمه: ج ١١، ص ۴۸۲۶ ۴۸۲۷.

۱ الالتزام بالاستقامه فی کل مفردات الحیاه قولاً وعملاً والابتعاد عن الأفکار والطرق المنحرفه التی تبتعد بصاحبها عن القرب الإلهی وعن رتبه المتقین وهذا ما نلمسه فی قوله تعالی:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِی مُسْتَقِیمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ ذَلِکُمْ وَصَّاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ) (۱).

۲ التمسک بالدین الإسلامی الحنیف والتلبس بواجباته والانتهاء عن نواهیه فلذا ورد فی الحدیث الشریف عن أمیر المؤمنین علیه السلام:

«التَّقوی ثَمَرَهُ الدِّینِ، وأمارَهُ الیَقینِ»(۲).

۳ أن یصوم صوماً حقیقیا، ویبتعد عن کل ما یفسد الصوم سواء کان علی مستوی الجوارح أو الابتعاد عن المفطرات الفقهیه وهذا ما تریده الآیه الشریفه کما فی قوله تعالی:

(یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الصِّیَامُ کَمَا کُتِبَ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ)(۳).

۴ أن یحتاط العبد من الوقوع فی الشبهات فضلاً عن الحرام الصریح والباطل الواضح وهذا ما أرشدنا إلیه الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«إنَّ المُتَّقینَ الّذینَ یَتَّقونَ اللهَ مِن الشّیءِ الّذی لا یُتَّقی مِنهُ خَوفاً مِن الدُّخولِ فی الشُّبهَهِ»(۴).

۱- سوره الأنعام، الآیه: ۱۵۳.

۲- غرر الحکم: ۱۷۱۴. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص۴۸۲۸، ح۲۲۴۴۷.

۳- سوره البقره، الآیه: ۱۸۳.

۴- تنبیه الخواطر: ج۲، ص۶۲. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص۴۸۲۹، ح ۲۲۴۴۹.

۵ لابـد للعبد الذی یطمع أن یکون من المتقین أن یحاسب ویراقب نفسه ویتأکد من حلیه ضـروریاته، وهو الذی صـرح به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی وصیّته لأبی ذر:

«یـا أبـا ذرّ، لا یکونُ الرّجُلُ مِن المُتَّقینَ حتّی یُحاسِبَ نفسَهُ أشَـدَّ مِن مُحاسَـبَهِ الشَّریکِ لِشَـریکِهِ، فیَعلَمَ مِن أینَ مَطعَمُهُ، ومِن أینَ مَشرَبُهُ، ومِن أینَ مَلبَسُهُ؟ أمِن حِلٍّ ذلکَ، أم مِن حَرامٍ؟»(۱).

ما یمنع التقوی

کما أن للتقوی وسائلا یصل بها الإنسان إلی رتبه المتقین التی هی رتبه الأنبیاء والأولیاء والعباد الصالحین کـذلک هناک ما یمنع الاتصاف بهذه الصفه وما یحول بین المرء وبین هذه الرتبه ونذکرها علی النحو الآتی:

۱ إذا انغمس الإنسان فی زخرف الـدنیا وانبهر بزبرجدها یتعلق قلبه بها ویعشـقها إلی درجه الوله، فیسـتولی علیه حب الدنیا فیغلق الباب بوجه التقوی فلا تسـتطیع الدخول إلی هذا القلب المغرور فضـلاً عن الاستقرار فیه، وهذا یتضح من قول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«حَرامٌ علی کُلِّ قَلبٍ مُتَوَلِّهٍ بالدُّنیا أن تَسکُنَهُ التَّقوی»(۲).

۲ لا ینسـجم بل لا یصـح أن یکون المتقی طامعاً بما فی أیدی الناس من حطام الدنیا وقذارتها، ولا یکون المتقی خالیا من الحیاء فلذا قال الإمام العسکری علیه السلام:

«مَن لَم یَتَّقِ وُجوهَ النّاسِ لَم یَتَّقِ اللهَ»(۳).

۱- کنز العمال: ۸۵۰۱. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۲۹، ح ۲۲۴۵۰.

۲- غرر الحکم: ۴۹۰۴. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۲۹، ح ۲۲۴۵۳.

۳- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۳۷۷، ح ۳. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۲۹، ح ۲۲۴۵۴.

۳ إذا أراد العبـد أن يتصف بالتقوی وأن يلمس آثارها وفوائـدها لابد له من حفظ لسانه عما حرم الله تعالی، ولأهميه هذا الشـرط نجد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقسم بالله تعالی فيقول:

«واللهِ، ما أری عَبداً يَتَّقی تَقویً تَنفَعُهُ حتّی يَخزِنَ لِسانَهُ»(۱).

۴ هناک إحدی الصفات الذميمه التی لا تليق بالمؤمن، بل قد تبعده عن طاعه الله تعالی حذر منها الإمام المعصوم بقوله:

«ولا يَستَطيعُ أن يَتَّقِيَ اللهَ مَن خاصَمَ»(۲).

أسئله مهمه

نعلم أن الصـفات الحسـنه والفضائـل الكريمه لهـا درجـات متفـاوته بحسب من يتصف بهـا، فلـذا نجـد أن من النـاس من له رتبه المتقين إلا أنه لا يمكن أن يكون فی رتبه إمام المتقين عليه السـلام ولذا نری من المهم أن نطرح هذه الأسـئله لكی نجيب عليها بأجوبه أهل بيت العصمه عليهم السلام.

السؤال: ما هو معنی قوله تعالی:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(۳).

فكيف نتقی الله حق تقاته؟

الجواب: ورد عن رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم:

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ: أن يُطاعَ فلا يُعصی، وأن يُذكَرَ فلا يُنسی»(۴).

۱- نهج البلاغه: الخطه ۱۷۶. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۸۳۰، ح ۲۲۴۵۵.

۲- نهج البلاغه: الخطبه ۲۹۸. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۸۳۰، ح ۲۲۴۵۶.

۳- سوره آل عمران، الآيه: ۱۰۲.

۴- الدرّ المنثور: ج ۲، ص ۲۸۲. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۸۳۰، ح ۲۲۴۵۷.

وقد أضاف الإمام الصادق علیه السلام علی قول جده صلی الله علیه وآله وسلم (ویُشکر فلا یُکفر).

ولکی نقف علی نوع هذه التقوی نعرض هذه الأحادیث الشریفه لتبین لنا کیفیتها وهی کما روی علیه السلام:

«اتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ تَقِیَّهَ ذِی لُبٍّ شَغَلَ التَّفکُّرَ قَلبَهُ، وأنصَبَ الخَوفُ بَدَنَهُ، وأسهَرَ التَّهَجُّدُ غِرارَ نَومِهِ، وأظمَأَ الرَّجاءُ هَواجِرَ یَومِهِ، وظَلَفَ الزُّهدُ شَهَواتِهِ»(۱).

وقال الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«اتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ تَقِیَّهَ مَن شَغَلَ بِالفِکرِ قَلبَهُ، وأوجَفَ الذِّکرَ بِلسانِهِ، وقَدَّمَ الخَوفَ لأمانِهِ»(۲).

السؤال: ما هو تفسیر التقوی فی نظر أهل البیت علیهم السلام؟

الجواب:

التقوی أن تجتنب الحرام وتعصم نفسک من الوقوع فیه وهذا ظاهر فی قولهم علیهم السلام:

«التَّقوی اجتِنابٌ»(۳).

«بالتَّقوی قُرِنَتِ العِصمَهُ»(۴).

«التَّقوی أن یَتَّقِیَ المَرءُ کُلَّ ما یُؤثِمُهُ»(۵).

۱- نهج البلاغه: الخطبه ۸۳. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۳۱، ح ۲۲۴۶۴.
۲- غرر الحکم: ۶۶۰۰. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۳۱، ح ۲۲۴۶۷.
۳- غرر الحکم: ۱۸۸. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۳۱، ح ۲۲۴۶۸.
۴- غرر الحکم: ۴۳۱۶. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۳۱، ح ۲۲۴۶۹.
۵- غرر الحکم: ۱۸۷۱. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص ۴۸۳۲، ح ۲۲۴۷۱.

بحث أخلاقی

النصیحه علامه المحب

إذا أحب الإنسان غیره لابـد أن یکون ناصـحا معه أو له لکی یؤکـد حبه له وإلّا یلزم من خلاف ذلک عـدم صدق المدعی، فلذا خـاطب القرآن الکریم الناس بلسان أحـد أنبیاء الله تعالی بأنه من الناصـحین لهم لما جاء لهم من رسالات الله تعالی التی تقودهم إلی کمالهم ومصالحهم وهذا ما صرح به القرآن الکریم فی قوله تعالی:

(أُبَلِّغُکُمْ رِسَالَاتِ رَبِّی وَأَنْصَحُ لَکُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (۱).

(أُبَلِّغُکُمْ رِسَالَاتِ رَبِّی وَأَنَا لَکُمْ نَاصِحٌ أَمِینٌ) (۲).

ولابد لنا من الوقوف علی معنی النصیحه لکی یتسنی لنا معرفه أهمیتها فنقول:

النصیحه لغه: هی الخالص من العمل، ناصح مناصحه (نصح نفسه بالتوبه: أخلصها، نصح الشیء نصحاً: خلص.

النصیحه اصطلاحاً: أن تخلص الإرشاد من یستحقه.

ولکی لا یلتبس المعنی علی البعض عندما یقرأ (نصح لله، النصیحه لله ولرسوله .... الخ) فنقول:

المراد هنا نصح معه: أی أخلص معه فی طاعته وانقیاده وامتثال أوامره والانتهاء عن نواهیه.

وأمّا النصیحه للمسلمین هی الإخلاص فی الإرشاد أو فی التعامل معهم.

فإذا وزنا سلوک الإنسان مع ربه ومع أخیه المؤمن نجد أن هذا الإخلاص فی فعله

۱- سوره الأعراف، الآیه: ۶۲.

۲- سوره الأعراف، الآیه: ۶۸.

وقوله ما هو إلا دلاله على حبه لربه أو لأخيه، فمن كان محباً كان ناصحاً ومن كان ناصحاً كان محباً ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما أخلَصَ المَوَدَّه مَن لَم يَنصَحْ»(۱).

وإذا أراد الإنسان أن ينال محبه الطرف الآخر فما عليه إلا أن يكون ناصحاً له فی كل ما تصح فيه النصيحه، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«النَّصيحَهُ تُثمِرُ الوُدِّ»(۲).

النصيحه لمن؟

بعد أن عرفنا النصيحه وعرفنا دلالاتها على المحبه، بل وتثمر المحبه أيضا، صار لابد من معرفه من له الحق علينا فی النصيحه، وهذا ما سنقدمه فی العرض الآتی:

۱ النصيحه لله تعالى:

قلنا إن النصيحه لله تعالى هی الإخلاص له فی الطاعه والانقياد، وإتيان ما يحب واجتناب ما يكره، وهذه النصيحه لا تعود على الله تعالى بالنفع والفائده لغناه عن طاعه من أطاعه، إلا أننا نجد أن الله تعالى يؤكد على هذه النصيحه بل يجعلها من أحب العبادات إليه تعالى كما فی قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: أحَبُّ مَا تَعَبَّدَ لی بِهِ عَبدی، النُّصحُ لی»(۳).

وما هذا التأكيد إلا لكی ينتفع العبد الناصح بذلك فإن دل على شیء فإنما يدل على لطف الله تعالى ورحمته بعباده.

۱- مستدرك الوسائل، الميرزا النوری: ج۱۲، ص۴۳۳، ح ۱۴۵۴۰. ميزان الحكمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۳، ح۲۰۱۳۷. غرر الحكم: ح ۹۵۸۰.

۲- غرر الحكم: ۸۴۴. ميزان الحكمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۳، ح۲۰۱۴۳.

۳- الترغيب والترهيب: ج۲، ص۵۷۷، ح۱۶. ميزان الحكمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۲، ح ۲۰۱۳۱.

۲ النصیحه لرسوله صلی الله علیه وآله وسلم:

ومعنی النصیحه لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم هو الالتزام بشریعته بعد الإیمان به والتصدیق بما جاء به من عند الله العظیم، والحفاظ علی دینه والدفاع عن بیضه هذا الدین، والموده والمولاه لآله الطاهرین علیهم السلام والسیر بهداهم، وهذا ما أشار إلیه الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم:

«مَن یَضْمَنُ لی خَمساً أضمَن لَهُ الجَنَّهَ: النَّصیحه للهِ عَزَّ وجَلَّ، والنَّصیحه لرَسولِهِ، والنَّصیحَهُ لِکتابِ اللهِ، والنَّصیحَهُ لدِینِ اللهِ، والنَّصیحَهُ لجَماعَهِ المُسلِمینَ»(۱).

۳ النصیحه لکتاب الله تعالی:

وهذا یتجسد فی تلاوته والالتزام بأحکامه وعدم هجره تلاوه وعملا، والتدبر فیه والتبرک بالنظر إلیه، وتطهیر الألسن والنفوس بآیاته وعبره وحکمه وأمثاله وقصصه.

وهذا أیضا ورد فی قوله صلی الله علیه وآله وسلم:

«والنَّصیحَهُ لِکتابِ اللهِ، والنَّصیحَهُ لدِینِ اللهِ، والنَّصیحَهُ لجَماعَهِ المُسلِمینَ»(۲).

۴ النصیحه للإمام بالحق:

التولی للإمام ولأولیائه والتبری من أعدائه، والاقتداء بهدیه وسمته، والإقرار بحجته والدفاع عنه والاستشهاد بین یدیه إذا استلزم الأمر ذلک هو عین النصیحه له، ورد عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«مَن لا یَهتَمَّ بأمرِ المُسلِمینَ فلَیسَ مِنهُم، ومَن لَم یُصبِحْ ویُمسِ ناصِحاً للهِ ولرَسولِهِ ولکِتابِهِ ولإمامِهِ ولعامَّهِ المسلِمینَ فلَیسَ مِنهُم»(۳).

۱- مشکاه الأنوار: ص ۳۱۰.

۲- میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۲، ح ۲۰۱۳۵.

۳- الترغیب والترهیب: ج ۲، ص ۵۷۷، ح ۱۷. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۲، ح ۲۰۱۳۲.

۵ النصیحه لعامه المسلمین:

مؤازرتهم ومعاونتهم وإرشادهم ومعاشرتهم بالمعروف والاهتمام بأمرهم والدفاع عن مظلومهم هو ما أرشد إلیه الحدیث الوارد عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«والنَّصیحَهُ لجَماعَهِ المُسلِمینَ».

فوائد

اشاره

إذا وجدت فی شخص بعض هذه الصفات التی سنذکرها الآن فخذ بنصیحته إذا قدمها إلیک وهی:

ألف: إذا أراد أن یحکم بین طرفین لا یحکم إلا بالحق دون أن یتأثر بنسب أو مال أو رابطه معینه کالدیانه أو المذهبیه أو الوطنیه.

باء: إذا کان لغیره علیه حقٌّ لا یتوانی فی إعطائه من نفسه.

جیم: لا یرضی لنفسه شیئا دون غیره ولا یرضی لغیره إلا ما یرضاه لنفسه.

دال: لا یبغی ولا یظلم ولا یتجاوز حدود الله تعالی.

هذه الصفات ذکرها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«أمّا علامَهُ النّاصِحِ فأربَعهٌ: یَقضی بالحَقِّ، ویُعطی الحَقِّ، ویُعطی الحَقَّ مِن نَفسِهِ، ویَرضی للنّاسِ ما یَرضاهُ لنَفسِهِ، ولا یَعتدی علی أحَدٍ»(۱).

لا تنتظر من البخیل اللئیم والحاسد البغیض نصیحه ولا تعاتبهم علی ذلک لعدم فائده العتاب معهم، فإن هذین الصنفین من الناس لا یحرکهما إلا الطمع أو الخوف وهذا ما أکده أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

۱- تحف العقول: ص۲۰. میزان الحکمه: ج۱۰، ص۴۳۲۴، ح۲۰۱۵۵.

«لَا یَنصَحُ اللَّئیمُ أحَداً إلّا عن رَغبَهٍ أو رَهبَهٍ، فإذا زالَتِ الرَّغبَهُ والرَّهبَهُ عادَ إلی جَوهَرِهِ»(۱).

وأشار إلی الصنف الثانی (الحاسد) إمامنا الصادق علیه السلام بقوله:

«النَّصیحَهُ مِن الحاسِدِ مُحالٌ»(۲).

قد یتلبس بعض السعاده النمامین والمفرقین بین الناس بلباس الناصحین وهم أکثر الناس غشاً فاحذرهم وهذا هو معنی قول أمیر المؤمنین علیه السلام فی کتابه وعهده لمالک الأشتر رضی الله عنه فجاء:

«ولا تَعجَلَنَّ إلی تَصدیقِ ساعٍ، فإنَّ السّاعیَ غاشٌّ وإن تَشَبَّهَ بالنّاصِحینَ»(۳).

لا تنسی نفسک

تقدم الکلام أن النصیحه الحقه التی لا غش فیها ولا تلکأ ولا غایه فاسده هی ما کانت لله تعالی ولرسوله ولکتابه وللإمام الحق ولعامه المسلمین، ولکی تصدر النصیحه من العبد لما ذکرنا لابد أن یکون صاحب النصیحه ذا نفس مؤمنه مطیعه منقاده لله تعالی ولرسوله وهذا لا یتم إلا من رجل ینصح نفسه قبل غیره کما صرح بذلک أمیر المؤمنین بقوله:

«مَن نَصَحَ نَفسَهُ کانَ جَدیراً بِنُصحِ غَیرِهِ، مَن غَشَّ نَفسَهُ کانَ أغَشَّ لِغَیرِهِ»(۴).

ولکی یتضح هذا الترابط بین النصیحه وبین العبد المطیع لربه نذکر قول الإمام

۱- غرر الحکم: ص ۱۰۹۱۰. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۵، ح۲۰۱۵۸.

۲- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۱۹۴، ح۹. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۵، ح۲۰۱۵۷.

۳- نهج البلاغه: الکتاب ۳۱. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۵، ح۲۰۱۶۱.

۴- غرر الحکم: ۹۰۴۳، ۹۰۴۴. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۵، ح۲۰۱۶۵.

أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ أنصَحَ النّاسِ أنصَحُهُم لِنَفسِهِ، وأطوَعُهُم لِرَبِّهِ»(۱).

فمن أراد أن يكون ناصحاً لنفسه لابد أن يكون من المطيعين، فالمطيع هو الناصح الحقيقى والعاصى هو الغاش لنفسه كما ورد فى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ أنصَحَ النّاسِ لِنَفسِهِ أطوَعُهُم لِرَبِّهِ، وإنّ أغَشَّهُم لِنفسِهِ أعصاهُم لِرَبِّهِ»(۲).

ومن كان ناصحاً لله تعالى ولرسوله ولنفسه رزقه الله تعالى القناعه والرضا بما ناله من هذه الدنيا الفانيه، ورزقه فى الآخره برضوان ينجيه من عذابها ولذا ذكر الإمام الصادق عليه السلام قوله هذا:

«ما ناصَحَ اللَّهَ عبدٌ مُسلِمٌ فى نَفسِهِ، فأعطَى الحَقَّ مِنها وأخَذَ الحَقَّ لَها، إلّا أُعطِىَ خَصلَتَينِ: رِزقاً مِن اللهِ عَزَّ وجَلَّ يَقنَعُ بِهِ ورِضىً عنِ اللهِ يُنجيهِ»(۳).

أسئله مهمه

السؤال: من هو الذى لا ينتفع بالنصيحه؟

الجواب: ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أصنافاً من الناس لا تهمهم النصيحه ولا ينتفعوا بها:

ألف: الفاسد الذى يلتذ بفضيحته ولا يهتم بما قيل فيه وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«كيفَ يَنتَفِعُ بالنَّصيحَهِ مَن يَلتَذُّ بالفَضيحَهِ»(۴).

۱- غرر الحكم: ۳۵۱۵. ميزان الحكمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۵، ح ۲۰۱۶۲.
۲- نهج البلاغه: الخطبه ۸۶. ميزان الحكمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۵، ح ۲۰۱۶۳.
۳- الخصال: ۴۶ ۴۷. ميزان الحكمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۵ ۴۳۲۶، ح ۲۰۱۶۶.
۴- غرر الحكم: ۷۰۰۸. ميزان الحكمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۶، ح ۲۰۱۶۹.

باء: من لا عقد له سواء کان مجنوناً أو أحمقَ أو جاهلاً جهلا مرکبا، فلذا قال الإمام السجاد علیه السلام عن الأحمق الذی لا یهتم بالنصیحه:

«إن تکلم فضحه حمقه، وإن سکت قصر به عیه، وإن عمل أفسد، وان استرعی أضاع، لأعلمه من نفسه یغنیه، ولا علم غیره ینفعه، ولا یطیع ناصحه، ولا یستریح مقارنه، تود أمه أنها ثکلته، وامرأته أنها فقدته، وجاره بعد داره، وجلیسه الوحده من مجالسته، إن کان أصغر من فی المجلس أعی من فوقه، وإن کان أکبرهم أفسد من دونه»(۱).

وتکلم الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام یصف الجاهل بالجهل المرکب الذی لا یقبل قولاً ولا موعظه ولا نصیحه فقال:

«إن الجاهل من عدّ نفسه بما جهل من معرفه العلم عالماً وبرأیه مکتفیا فما یزال من العلماء مباعداً وعلیهم زاریا ولمن خالفه مخطّئاً ولمن لم یعرف من الأمور مضلّلاً وإذا ورد علیه من الأمر ما لا یعرفه أنکره وکذّب به وقال بجهالته: ما أعرف هذا، وما أراه کان، وما أظن أن یکون، وإنی کان، ولا أعرف ذلک لثقته برأیه وقلّه معرفته بجهالته»(۲).

السؤال: ممن نأخذ النصیحه؟

الجواب: نصحنا الإمام علیه السلام أن نأخذها مما یلی:

ألف: إن أفضل ناصح وأکمل نصیحه هی نصیحه الله تعالی لعبده فلذا قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«أَیُّها النّاسُ، إنَّهُ مَنِ استَنصَحَ اللهَ وُفِّقَ»(۳).

۱- الأمالی للشیخ الطوسی: ص۶۱۴، ح۱۲۶۸/۴.

۲- الآداب والأخلاق الإسلامی لعبد الله الهاشمی: ص۶۹۵.

۳- نهج البلاغه: الخطبه ۱۴۷. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۶، ح۲۰۱۷۲.

باء: وأن کتاب الله تعالی القرآن الکریم هو خیر ناصح لا یغش ویظل وهذا ما أکده أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«اتّعِظوا بمَواعِظِ اللهِ، واقبَلوا نَصیحَهَ اللهِ... واعلَموا أنّ هذا القرآنَ هُو النّاصِحُ الّذی لا یَغُشُّ... واستَنصِحوه علی أنفُسِکُم، واتَّهِموا علَیهِ آراءکُم، واستَغِشُّوا فیهِ أهواءکُم»(۱).

جیم: هناک من یمنّ علینا بمبادره منه فیهب لنا نصیحته لنتدبرها بعقولنا ثم نعمل بها بعد التأکد من صوابها وهذا ما أشار إلیه مولی المتقین علیه السلام بقوله:

«اِسمَعوا النَّصیحَهَ مِمَّن أهداها إلَیکُم، واعقِلوها علی أنفُسِکُم»(۲).

ورد أیضا عن أمیر المؤمنین علیه السلام أن:

«لا تأخذ النصیحه ممن لا عقل له ولا أصل.... الخ».

السؤال: ما هی آثار قبول النصیحه أو عدم قبولها؟

الجواب: ألف/ إن لقبول النصیحه آثارا جمیله أوردها أمیر المؤمنین علیه السلام بالأحادیث الآتیه:

۱ قال الإمام علی علیه السلام:

«مَن نَصَحَکَ فَقَد أنجَدکَ»(۳).

۲ وعنه علیه السلام:

«مَن قَبِلَ النَّصیحَهَ أمِنَ مِن الفَضیحَهِ»(۴).

۱- نهج البلاغه: الخطبه ۱۷۶. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۶، ح ۲۰۱۷۱.
۲- غرر الحکم: ۲۴۹۴. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۷، ح۲۰۱۷۴.
۳- غرر الحکم: ۷۷۶۷. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۷، ح ۲۰۱۸۱.
۴- غرر الحکم: ۸۳۴۴. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۳۲۷، ح ۲۰۱۸۲.

۳ وعنه علیه السلام:

«مِن أكبرِ التَّوفيقِ الأخذُ بالنَّصيحَهِ»(۱).

۴ وعنه علیه السلام:

«مَن أقبَلَ علّى النَّصيحِ أعرَضَ عنِ القَبيحِ، مَنِ استَغَشَّ النَّصيحَ غَشِيَهُ القَبيحُ»(۲).

وقفه وتأمل

لنتأمل فی هـذه الـدرر التی فاض بها علینا سـید الأوصـیاء علیه السـلام فنجـده یؤکـد علی قبول نصـیحه الناصح لما فیها من نجاه وخلاص من براثن الشـیطان وعثرات النفس، ولما فیها من دفع للفضـیحه بین الناس التی ستلحق الضرر الکبیر بسمعتنا ومنزلتنا فی الدنیا وتحجب عنا رضا ربنا ورضوانه فی الآخره.

بـاء/ ومن ترک التمسک بالنصـیحه ظـل وهوی، وأدخـل السـرور علی أعـدائه والحزن علی أحبائه، فلـذا قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«مَن خالَفَ النُّصحَ هَلَکَ»(۳).

وعنه علیه السلام:

«مَن عَصی نَصیحَهُ نَصَرَ ضِدَّهُ»(۴).

وعنه علیه السلام:

«مَن أعرَضَ عَن نَصیحَهِ النّاصِحِ أُحرِقَ بِمَکیدَهِ الکاشِحِ»(۵).

۱- غرر الحکم: ۹۳۰۵. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۷، ح ۲۰۱۸۳.

۲- غرر الحکم: ۸۶۸۳. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۷، ح ۲۰۱۸۵.

۳- غرر الحکم: ۷۷۴۳. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۷، ح ۲۰۱۷۹.

۴- غرر الحکم: ۸۳۵۵. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۷، ح ۲۰۱۸۰.

۵- غرر الحکم: ۸۶۹۷. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۳۲۷، ح ۲۰۱۸۶.

بحث عقائدی

الحیاه البرزخیه

بعد أن أوصی الإمام الحسین علیه السلام بالتقوی وحذر الناس من أیام الله تعالی نحا بخطبته علی بیان نزول ریب المنون ومرارته واستیلائه علی مهج القلوب ووقوفه حاجبا بین العمل وبین صاحبه فینقطع العبد عن الدنیا لیبدأ یومه الأول فی آخرته فیأخذ بقوانین النشأه الأخری، وأدلی مراحل هذه النشأه هی الحیاه البرزخیه.

قبل أن نخوض فی تفصیلات هذه الحیاه لابد لنا من معرفه البرزخ لغه واصطلاحاً.

البرزخ فی اللغه: الحاجز بین شیئین(۱).

البرزخ فی الاصطلاح: جاء عن الجرجانی(۲)، البرزخ: هو العالم المشهور بین عالم المعانی المجرده والأجسام المادیه، وعرفه أهل البیت علیهم السلام بأنه أمر بین أمرین کما ورد عن الإمام الصادق علیه السلام:

ورد فی تفسیر نور الثقلین عن علی بن إبراهیم: البَرْزَخُ هُو أمرٌ بَینَ أمرَینِ، وهُو الثَّوابُ والعِقابُ بین الدُّنیا والآخِرَهِ، وهُو قولُ الصّادقِ علیه السلام:

«واللهِ، ما أخافُ علَیکُم إلاّ البَرزَخَ»(۳).

وحدده الإمام الصادق علیه السلام بکلام صریح بقوله:

«والله، أتَخَوَّفُ علَیکُم فی البَرزَخِ!

قلتُ: وما البَرْزخُ؟ فقالَ:

القَبرُ، مُنذُ حینِ مَوتِهِ إلی یومِ القیامهِ».

۱- المعجم الوسیط: ص۴۹.

۲- التعریفات للجرجانی: ص۳۱.

۳- تفسیر نور الثقلین: ج۳، ص۵۵۳، ح ۱۲۰. میزان الحکمه: ج۱، ص۳۳۶، ح ۱۶۸۱.

أحوال البرزخ

تقـدم الحـديث أن البرزخ هو ما سـيكون عليه العبـد فی القبر الـذی یضـمه منـذ موته إلی حین نشوره وقیامته، فإذا نزل العبد فی ذلـک المکـان الموحش المظلم الضـیق انقطع عن عـالم الـدنیا ومـا فیهـا من الأـحبه والأموال والمناصب والعناوین الوقتیه والجاه العریض، فیصـرح دون أن یسـمعه أحـد، وینادی فلا یجیبه مجیب، فتبـدأ أحوال القبر من ضـمه القبر إذ إن القبر یضم صاحبه إذا کان عاصـیا ضـمه فتتلاقی أضـلاعه کما ورد ذلک فی الروایات الشـریفه فلقـد جاء فی کتاب الأمالی للشـیخ الصدوق عن الإمام الصادق علیه السلام قال:

«أتی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم فقیـل له: إن سـعد بن معـاذ قـد مـات، فقـام رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وقام أصحابه معه.

فأمر بغسل سـعد وهو قائم علی عضاده الباب، فلما أن حنط وکفن وحمل علی سریره تبعه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بلا حذاء ولا رداء.

ثم کان یأخـذ یمنه السـریر مره ویسـره السـریر مره حتی انتهی به إلی القبر، فنزل رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم حتی لحده وسوی اللبن علیه، وجعل یقول: ناولونی حجراً، ناولونی تراباً رطباً یسد به ما بین اللبن.

فلمـا أن فرغ وحثـا التراب علیه وسوی قبره، قـال رسول الله صـلی الله علیه وآله: إنی لأعلم أنه سـیبلی ویصل البلی إلیه؛ ولکن الله یحب عبداً إذا عمل عملا أحکمه، فلما أن سوی التربه علیه قالت أم سـعد: یا سعد هنیئاً لک الجنه، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: یا أم سعد! مه، لا تجزمی علی ربک، فإن سعداً قد أصابته ضمه.

قال: فرجع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ورجع الناس؛ فقالوا له: یا رسول الله

لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الملائكه كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسيت بها.

فقالوا: وكنت تأخذ يمنه السرير مره ويسره السرير مره، قال: كانت يدى فى يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ، قالوا: أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته فى قبره ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمه! قال: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم إنه كان فى خلقه مع أهله سوء»(۱).

فإن هذه الضمه التى تصيب الميت هى تطهير له لكى يخرج إلى القيامه نظيفا من بعض الذنوب كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن على عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضغطه القبر للمؤمن كفاره لما كان من تضييع النعم»(۲).

ثم يلى ضمه القبر سؤال منكر ونكير فيسألان العبد أسئله عديده فيكون بعدها إمّا فائزا أو هو من الخاسرين نتيجه لأجوبته وهذا ما ذكره لنا صاحب الأمالى فقال:

عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال:

«إذا مات المؤمن شيعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربى الله، ومحمد نبيى، والإسلام دينى، فيفسحان له فى قبره مد بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنه، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عزّ وجل:

۱- تسليه الفؤاد فى بيان الموت والمعاد، السيد عبد الله شبر: ص۸۵ ۸۶.

۲- تسليه الفؤاد لعبد الله شبر: ص۸۶.

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۸۸) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّهُ نَعِيمٍ) (۱).

يعنى فى قبره.

(وَجَنَّهُ نَعِيمٍ) (۲).

يعنى فى الآخره.

ثم قال عليه السلام:

إذا مات الكافر شيعه سبعون ألفاً من الزبانيه إلى قبره، وإنه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كل شىء إلا الثقلان ويقول: لو أن لى كره فأكون من المؤمنين، ويقول: ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانيه: كلاـ إنها كلمه أنت قائلها، ويناديهم ملك: لو رد لعاد لما نهى عنه، فإذا أدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير فى أهول صوره؛ فيقيمانه ثم يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب، فيضربانه ضربه من عذاب الله يذعر لها كل شىء، ثم يقولان له:

من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لاـ أدرى، فيقولان له: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت، ثم يفتحان له باباً إلى النار وينزلان إليه الحميم من جهنم وذلك قول الله عزّ وجل:

(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (۹۲) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ) (۳).

يعنى فى القبر.

(وَتَصْلِيَهُ جَحِيمٍ) (۴).

۱- سوره الواقعه، الآيتان: ۸۸ و۸۹.

۲- سوره الواقعه، الآيه: ۸۹.

۳- سوره الواقعه، الآيتان: ۹۲ و۹۳.

۴- سوره الواقعه، الآيه: ۹۴.

يعنى فى الآخره»[(۱)].

هـذه الحـاله التى يمر فيهـا الميت هى مرحله سـابقه لمرحله البرزخ، أى عنـدما يودّع الإنسان هـذه الـدنيا وينتقل إلى عالم الآخره يكون فى يومه الآـخر من أيـام الـدنيا والأـول من أيـام الآـخره فيتجسم له مـا كـان مهتما به أشـد الاهتمام ألا وهو المال والأولاد والعمل فعندها تحصل المحاوره التى تزلزل القلوب وتدمع العيون ويطير لها اللب، وهذا ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام فى الكافى مسنداً عن سويد بن غفله قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«إن ابن آدم إذا كان فى آخر يوم من أيام الـدنيا وأول يوم من أيام الآخره مثل له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنى كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لى عندك؟ فيقول: خذ منى كفنك.

قـال: فيلتفـت إلى ولـده فيقـول: والله إنى كنـت لكم محبـاً وإنى كنت عليكم محامياً فمـاذا لى عنـدكم؟ فيقولـون: نؤديـك إلى حفرتك نواريك فيها.

قـال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنى كنت فيـك لزاهـداً وإن كنت على لثقيلاـ فماذا لى عنـدك، فيقول: أنا قرينك فى قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك.

قال: فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم رياشاً، فقال: أبشر بروح وريحان وجنه نعيم ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنه وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله»[(۲)].

۱- أمالى الصدوق: ص۱۷۴. تسليه الفؤاد، لعبد الله شبر: ص۸۷ ۸۸.

۲- الكافى: ج۳، ص۲۳۱. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص۸۹ ۹۰.

ففی هذه الروایه یکون العمل مجملا لصاحبه.

وهناک ما یدل علی تجسم الأعمال تفصیلیا، أی أن الصلاه تتجسم بصوره والصوم بصوره أخری والزکاه بصوره ثالثه وهکذا فلذا ذکر فی المحاسن عن أبی بصیر عن أحدهما علیهما السلام قال:

«إذا مات العبد المؤمن دخلت معه فی قبره ست صور، فیهن صوره أحسنهن وجهاً، وأبهاهن هیئه، وأطیبهن ریحاً وأنظفهن صوره، قال: فتقف صوره عن یمینه وأخری عن یساره وأخری بین یدیه وأخری خلفه وأخری عند رجله، وتقف التی هی أحسنهن فوق رأسه، فإن أتی عن یمینه منعته التی عن یمینه، ثم کذلک إلی أن یؤتی من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صوره: من أنتم جزاکم الله عنی خیراً؟ فتقول التی عن یمین العبد: أنا الصلاه، وتقول التی عن یساره، أنا الزکاه، وتقول التی بین یدیه: أنا الصیام وتقول التی خلفه: أنا الحج والعمره، وتقول التی عند رجلیه: أنا بر من وصلت من إخوانک، ثم یقلن: من أنت، فأنت أحسننا وجهاً وأطیبنا ریحاً وأبهانا هیئه؟ فتقول: أنا الولایه لآل محمد صلوات الله علیهم أجمعین»(۱).

عندما تقرأ الروایات التی تتحدث عن أحوال البرزخ تقف مذهولا فهناک روایه تشیر إلی أن المؤمن مهما بلغ إیمانه ودرجته لابد له من ضمه القبر لمعصیه لم یتب منها وهذا ما حصل لسعد بن معاذ کما جاء فی الروایه السابقه الذکر ففی هذه الروایه نجد أن سعداً شیعته الملائکه وعلی رأسهم جبرئیل علیه السلام وحمله سید الکائنات صلی الله علیه وآله وسلم علی عاتقه الشریف وتولی أمر تنزیله فی القبر ووضعه فی محلوده قبره وسوی علیه التراب بیده الشریفه إلا أنه لم ینجُ من ضمه القبر بسبب غلظه مع أهله.

۱- المحاسن: ص۲۸۸. تسلیه الفؤاد، عبد الله شبر: ص۹۳.

أسئله مهمه

السؤال: هل هناك من ينجو من ضغطه القبر؟

الجواب: ورد فی الروایات أن الناجین من ضـغطه القبر قلیلون جـداً وهذا ما أکده الإمام الصادق علیه السـلام فی الکافی عن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام:

أیفلت من ضغطه القبر أحد؟، قال، فقال علیه السلام:

«نعوذ بالله منها، ما أقل من یفلت من ضـغطه القبر، إن رقیه لما قتلها عثمان وقف رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم علی قبرها، فرفع رأسه إل السماء فدمعت عیناه وقال للناس:

إنی ذکرت هذه وما لقیت فرقفت لها واستوهبتها من ضمه القبر، قال: فقال اللهم هب لی رقیه من ضمه القبر؛ فوهبها الله له»(۱).

وهم کالآتی:

ألف: من شفع فیهم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أو أحد الأئمه علیهم السلام کما فی تکمله الروایه السابقه فیقول:

إن رقیه لما قتلها عثمان وقف رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی قبرها، فرفع رأسه إلی السماء فدمعت عیناه وقال للناس:

إنی ذکرت هذه وما لقیت فرفقت لها واستوهبتها من ضمه القبر، قال: فقال اللهم هب لی رقیه من ضمه القبر؛ فوهبها الله له»(۲).

باء: من مات فی وقت شریف من أیام الأسبوع وهو یوم الجمعه ینجو من هذه

۱- الکافی: ج۳، ص۲۶۳. تسلیه الفؤاد، عبد الله شبر: ص۹۴.

۲- الکافی: ج۳، ص۲۶۳. تسلیه الفؤاد، عبد الله شبر: ص۹۴ ۹۵.

الضغطه المخيفه كما فى الروايه الآتيه، فى محاسن البرقى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من مات يوم الجمعه كتب الله له براءه من ضغطه القبر»(۱).

بل فى روايه أخرى هناك توسعه فى الوقت مما أشارت إليه الروايه السابقه وهذا ما أشارت إليه الروايه:

«من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعه من المؤمنين أعاذه الله من ضغطه القبر»(۲).

وفى روايه ثـالثه أن لليله الجمعه أو يومها دوراً كبيراً فى رفع عـذاب القبر كله بما فيه ضـغطه القبر وهـذا ما ذكره الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله:

«بلغنى أن النبى قال: من مات يوم الجمعه أو ليله الجمعه دفع عنه عذاب القبر»

جيم: وسنذكر بعض الأعمال التى تساعد على النجاه من ضغطه القبر وهى كما يلى:

(الأول: رُوى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«مَنْ قرأ سوره النساء فى كل جمعه أومِنَ مِنْ ضغطه القبر»(۳).

الثانى: رُوى:

«مَنْ أدْمَنَ قراءه (حم) الزخرف آمنه الله فى قبرهِ منْ هَوامِّ الأرض وضغطه القبر»(۴).

الثالث: رُوى:

۱- المحاسن: ص۵۸. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص۹۱ ۹۲.

۲- أمالى الصدوق: ص۱۶۹، تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص۸۶.

۳- ثواب الأعمال للصدوق: ص۱۳۱. منازل الآخره للشيخ عباس القمى: ص۶۲.

۴- ثواب الأعمال للصدوق: ص۱۴۱. نقله فى البحار: ج۸۷، ص۲، ح۳.

«مَنْ قرأ سوره (ن) والقلم فی فریضه أو نافله... أعاذه الله إذا مات مِنْ ضمه القبر»(۱).

الرابع: رُوی عن الإمام الصادق علیه السلام:

«مَنْ مات ما بین زوال الشمس من یوم الخمیس إلی زوال الشمس من یوم الجمعه أعاذه الله مِنْ ضغطه القبر»(۲).

الخامس: رُوی عن الإمام الرضا علیه السلام أنهّ قال:

«علیکم بصلاه اللیل، فما من عبد یقوم آخر اللیل فیصلی ثمان رکعات، ورکعتی الشفع، ورکعه الوتر، واستغفر الله فی قنوته سبعین مرّهً إلاّ أجیر مِنْ عذاب القبر ومِن عذاب النار، ومُدَّ فی عمره، ووسع علیه فی معیشته»(۳).

السادس: روی عن الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم:

«مَن قرأ ألهاکم التکاثر عند النوم وقی مِنْ فتنه القبر»(۴).

السابع: قراءه دعاء:

(أعددتُ لکل هول لا إله إلا الله...).

الثامن: الدفن فی النجف الأشرف، فمن خواص هذه التربه الشریفه أنّها تُسقط عذاب القبر وحساب منکر ونکیر عَنْ مَنْ یدفن فیها(۵).

التاسع: من الأمور النافعه لرفع عذاب القبر وضع جریدتین رطبتین مع المیت.

۱- ثواب الأعمال: ص۱۴۷. منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص۶۳.

۲- الأمالی للصدوق: ص۲۳۱. بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج۶، ص۲۲۱، ح۱۷.

۳- روضه الواعظین للنیسابوری: ج۲، ص۳۲۰. بحار الأنوار: ج۸۷، ص۱۶۱.

۴- ثواب الأعمال للصدوق: ص۱۵۳. بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج۷۶، ص۲۰۰، ح۱۴.

۵- إرشاد القلوب للشیخ الدیلمی: ص۴۳۹. منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص۶۴.

وروی: أنه یتجافی عنه العذاب ما دامت رطبه.

وروی أیضا:

(مر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی قبر یُعَذَّب صاحبه، فدعا بجریده فشقها نصفین، فجعل واحدهً عند رأسه، والأخری عند رجلیه، وأنّه قیل له: لم وضعتها؟ فقال صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنّه یخفف عنه العذاب ما کانتا خضراوین»(۱).

ومن النافع أیضاً صبّ الماء علی القبر لما ورد أن العذاب یرفع عن المیت ما دام القبر رطباً(۲).

العاشر: فی أول یوم من رجب.

(تصلّی عشر رکعات تقرأ فی کل رکعه فاتحه الکتاب مرّه، وقل هو الله أحد ثلاث مرات... وقاک الله فتنه القبر وعذاب یوم القیامه)(۳).

(ویصلی فی اللیله الأولی من رجب بعد صلاه المغرب عشرین رکعه بالحمد والتوحید، فإنّها نافعه فی رفع عذاب القبر)(۴).

الحادی عشر: أن تصوم أربعه أیّام من شهر رجب(۵).

وکذلک صوم اثنی عشر یوماً من شعبان(۶).

الثانی عشر: ومن الأمور الموجبه للنجاه من عذاب القبر قراءه سوره الملک فوق

۱- الفقیه: ج۱، ص۱۴۴، ح۴۰۲. منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص۶۶.

۲- الکافی: ج۳، ص ۲۰۰، ح۶.

۳- الإقبال لابن طاوس: ص۶۳۷.

۴- الإقبال لابن طاوس: ص۶۲۹.

۵- ثواب الأعمال للصدوق: ص۷۹. منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص۶۷.

۶- ثواب الأعمال للصدوق: ص۸۷. الأمالی للصدوق: ص ۳۰.

قبر المیت کما روی ذلک القطب الراوندی عن ابن عباس قال:

(إن رجلا ضرب خباءه علی قبر ولم یعلم أنّه قبر، فقرأ تبارک الذی بیده الملک، فسمع صائحاً یقول: هی المنجیه.

فذکر ذلک لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فقال:

«هی المنجیه من عذاب القبر»(۱).

وروی الشیخ الکلینی عن الإمام محمد الباقر علیه السلام أنه قال:

«سوره الملک هی المانعه تمنع من عذاب القبر»(۲).

الثالث عشر: فی دعوات الراوندی نقل عن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم أنّه قال:

«ما من أحد یقول عند قبر میت إذا دفن ثلاث مرّات: (اللهم إنّی أسألُکَ بحق محمدٍ وآل محمدٍ أنْ لا تُعَذِّبَ هذا المَیتَ) إلّا دفع الله عنه العذاب إلی یوم ینفخ فی الصور»(۳).

الرابع عشر: روی الشیخ الطوسی فی (مصباح المتهجد) عن الرسول الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم أنّه قال:

«مَنْ صَلّی لیله الجمعه رکعتین یقرأ فیهما بفاتحه الکتاب وإذا زلزلت الأرض زلزالها خمس عشره مرّه آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال یوم القیامه»(۴).

الخامس عشر: ومن النافع فعله لرفع عذاب القبر صلاه ثلاثین رکعه فی لیله

۱- الدعوات للقطب الراوندی: ص۲۷۹، ح۸۱۷.س

۲- الکافی: ج۲، ص۶۳۳، ح۲۶. منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص۶۸.

۳- الدعوات للقطب الراوندی: ص۲۷۰، ح۷۷۰. بحار الأنوار: ج۸۲، ص۵۴، ح۴۳.

۴- مصباح المتهجد: ص۲۲۸.

النصف مِن رجب یقرأ فی کل رکعه الحمد مرّه والتوحید عشر مرّات(۱).

وکذلک فی اللیله السادسه عشره(۲) واللیله السابعه عشره(۳) من رجب.

وکذلک أن یصلی فی اللیله الأولی مِنْ شعبان مائه رکعه بالحمد والتوحید، وبعد أن یفرغ من الصلاه یقرأ التوحید خمسین مرّه(۴).

وکذلک یصلی فی اللیله الرابعه والعشرین من شعبان رکعتین یقرأ فی کل رکعه الحمد مرّه، وإذا جاء نصر الله عشر مرات(۵).

وورد لیوم النصف من رجب صلاه خمسین رکعه بالحمد والتوحید والفلق والناس، فإنّها نافعه لرفع عذاب القبر(۶).

ومثلها صلاه مائه رکعه لیله عاشوراء(۷)(۸).

السؤال: هل یعذب المصلوب عذاب القبر لاسیما ضغطه القبر؟

الجواب: أجاب علی ذلک الإمام الصادق علیه السلام بقوله:

روی علی بن إبراهیم، عن محمد بن عیسی، عن یونس قال: سألته عن المصلوب یعذب عذاب القبر؟ قال: فقال:

«نعم إن الله عز وجل یأمر الهواء أن یضغطه»(۹).

۱- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص۶۵۲.

۲- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص۶۶۴.

۳- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص۶۶۵.

۴- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص۶۸۳.منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص۶۹.

۵- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص۷۲۲.

۶- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص۶۵۸. منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص ۷۰.

۷- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص۵۵۵ ۵۵۶.

۸- منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص۶۲ ۷۰.

۹- الکافی للکلینی: ج۳، ص ۲۴۱، برقم ۴۷۲۸ ۱۶.

وفی روایه أخری، سئل أبو عبد الله علیه السلام عن المصلوب یصیبه عذاب القبر فقال:

«إن رب الأرض هو رب الهواء فیوحی الله عز وجل إلی الهواء فیضغطه ضغطه أشد من ضغطه القبر»(۱).

ویستشف من هذه الروایه أن المیت یتعذب بعذاب القبر وإن لم یکن له قبر ترابی بحسب الظاهر، ولا یقتصر العذاب علی ضغطه القبر بل یتعداه إلی غیره بدلیل أن السائل الذی سأل الإمام علیه السلام عن عذاب القبر مطلقاً فلم ینفِ الإمام علیهم السلام العذاب عن المیت المصلوب وإنما أشار إلی الضغطه من باب ذکر مصداق من مصادیق العذاب، أو لعل الإمام علیه السلام دفع إشکالاً مقدراً فی ذهن السائل وهو (کیف یضغط المصلوب ولم یکن له قبر من تراب) فرد علیه بأنه یضغط بالهواء.

السؤال: من هو الذی یتعرض لسؤال منکر ونکیر، أجمیع الناس یسألون أم هناک فئه دون أخری؟

الجواب: هناک ثلاثه أصناف من الناس، صنف محض الإیمان محضاً أی کان مؤمناً فی أعلی درجات الإیمان وأرقی رتب المؤمنین، وصنف آخر محض الکفر، وصنف ثالث هو الصنف الذی بین هؤلاء وأولئک، وکذلک الحال مع المستضعفین والبلهاء والأطفال وأبناء المسلمین الذین لم یبلغوا سن الرشد.

فلذا لا یُسأل إلا الصنف الأول والثانی فقط ولُغی عن الصنف الثالث وهذا ما أکدته الکثیر من الروایات کما فی قول الإمام الصادق علیه السلام:

ورد فی الکافی عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله علیه السلام:

«لا یسأل فی القبر إلا من محض الإیمان محضاً أو محض الکفر محضاً»(۲).

۱- المصدر السابق: برقم ۴۷۲۹ ۱۷.

۲- الکافی: ج۳، ص۲۳۶. تسلیه الفؤاد، السید عبد الله شبر: ص۱۰۱.

وعن أبی بکر الحضرمی قال: قال أبو عبد الله علیه السلام:

«لا یسأل فی القبر إلا من محض الإیمان محضاً أو محض الکفر محضاً، والآخرون یلهون عنهم»(۱).

وعن ابن بکیر عن أبی جعفر علیه السلام، وعن عبد الله بن سنان، عن أبی عبد الله علیه السلام قالا:

«إنما یسأل فی قبره من محض الإیمان محضاً أو الکفر محضاً، وأمّا ما سوی ذلک فیلهی عنهم»(۲).

وعن أبی بکر الحضرمی قال: (قلت لأبی جعفر علیه السلام: من المسؤولون فی قبورهم؟ قال:

«من محض الإیمان ومن محض الکفر».

قال: قلت: فبقیه هذا الخلق؟ قال:

«یلهی والله عنهم ما یعبأ بهم»)(۳).

وینسجم هذا القول مع قوله تعالی:

(وَآَخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (۴).

السؤال: هل أن أرواح المؤمنین والکفار تزور أهلها بعد الموت؟

الجواب: ورد فی الکافی أن المؤمنین والکفار علی حد سواء یزورون أهلهم فی أوقات معینه وبصوره العصفور أو أقل منه فیرون أهلهم، فأمّا المؤمنون یرجعون فی فرح

۱- الکافی: ج۳، ص۲۳۵.

۲- المصدر السابق.

۳- الکافی: ج۳، ص۲۳۷. تسلیه الفؤاد، السید عبد الله شبر: ص۱۰۱ ۱۰۲.

۴- سوره التوبه، الآیه: ۱۰۶.

وسرور لما رأوا من حسن حال دين أهلهم، وأما الكفار فإنهم يرون أهلهم ويرجعون إمّا بحسره عندما يرون أن أهلهم يعملون بالصالحات وإما فى حزن عندما يرونهم بشر وحاجه، ويزور الأموات أهليهم عند زوال الشمس، ولكن المؤمنين يؤذن لهم بالزياره أكثر من مره فى الأسبوع وعلى قدر فضلهم وهذا ما أشارت إليه الروايات الآتيه:

روى ثقه الإسلام فى الكافى بإسناده (عن الصادق عليه السلام قال:

«إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب ويستر عنه ما يكره، وإن الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحب.

قال:

ومنهم من يزور كل جمعه، ومنهم من يزور على قدر عمله»(۱).

وعن أبى بصير، عن الصادق عليه السلام قال:

«ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتى أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسره»(۲).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبى الحسن الأول عليه السلام قال: سألته عن الميت يزور أهله؟ فقال:

«نعم.

فقلت: فى كم يزور؟ قال:

فى الجمعه وفى الشهر وفى السنه على قدر منزلته.

فقلت: فى أى صوره يأتيهم، قال:

۱- الكافى: ج۳، ص ۲۳۰.

۲- المصدر السابق.

فی صوره طائر لطیف یسقط علی دارهم ویشرف علیهم فإن رآهم بخیر فرح وإن رآهم بشر وحاجه وحزن اغتم»(۱).

وعن عبد الرحیم القصیر قال: قلت له: المؤمن یزور أهله؟ قال:

«نعم، یستأذن ربه فیأذن له فیبعث معه ملکین فیأتیهم فی بعض صور الطیر یقع فی داره ینظر إلیهم ویسمع کلامهم»(۲).

عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبی الحسن علیه السلام: یزور المؤمن أهله؟ فقال:

«نعم.

فقلت: فی کم؟ قال:

علی قدر فضائلهم، منهم من یزور فی کل یوم؛ ومنهم من یزور فی کل یومین، ومنهم من یزور فی کل ثلاثه أیام.

قال: ثم رأیت فی مجری کلامه یقول:

أدناهم منزله یزور کل جمعه.

قال: قلت فی أی ساعه؟ قال:

عند زوال الشمس ومثل ذلک.

قال: قلت فی أی صوره؟ قال:

فی صوره العصفور وأصغر من ذلک، ویبعث الله عز وجل معه ملکاً فیریه ما یسره ویستر عنه ما یکره، فیری ما یسره ویرجع إلی قره عین»(۳).

۱- المصدر السابق.

۲- المصدر السابق.

۳- الکافی: ج۳، ص۲۳۱. تسلیه الفؤاد، عبد الله شبر: ص۱۱۴ ۱۱۵.

تذکیر

لا أظن أن القارئ الکریم قد یغفل عن تکلیفه بعدما قرأ هذه الروایات إلا أن الذکری تنفع المؤمنین.

فأقول:

۱ لیجتهد المؤمن فی إدخال السرور علی روح أمواته من خلال طاعته لله تعالی وتلبسه بالإیمان والعمل الصالح فی آناء اللیل وأطراف النهار ولیکون سببا فی إدخال السرور علی المؤمن وینال بذلک ثواب من أدخل السرور علی المؤمنین.

۲ لا ینسی المؤمن أن یتحف أمواته بشیء من الثواب لیرجع المیت إلی قبره بهدیته فرحاً کما ورد فی الروایه الشریفه:

جاء عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

«ما تصدرت لمیت فیأخذها ملک فی طبق من نور ساطع ضوؤها یبلغ سبع سماوات ثم یقوم علی شفیر الخندق (القبر) فنادی:

السلام علیکم یا أهل القبور، أهلکم أهدوا إلیکم بهذه الهدیه فیأخذها ویدخل بها فی قبره فتوسع علیه مضاجعه»(۱).

کما روی بسند صحیح عن الإمام الصادق علیه السلام:

(قال الراوی: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: یصلّی عن المیت؟ فقال:

«نعم حتی أنه لیکون فی ضیق فیوسع الله علیه ذلک الضیق، ثم یؤتی فیقال له: خفف عنک هذا الضیق بصلاه فلان أخیک عنک».

قال: فقلت له: فأشرکُ بین رجلین فی رکعتین؟ قال:

«نعم...».

۱- منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص۷۳.

ثم قال علیه السلام:

«إن المیت لیفرح بالترحم علیه والإستغفار له کما یفرح الحی بالهدیه تهدی إلیه»)(۱).

۳ لا ـ یتوهم المؤمن بـأن الثواب الـذی یهـدیه إلی المیت هو ناشـئ عن إطعـام الطعام أو الصـدقه المادیه فقط، وإنما هناک أنواع کثیره من الثواب تـأتی من جراء أعمال سـهله لا مؤنه فیها کإهـداء ثواب (الصـلوات علی محمـد وآله) وزیاره الأئمه المعصومین علیهم السلام أو تلاوه القرآن أو الکلمه الطیبه مع الناس بل کل أعمال البر والخیر والمعروف یمکن إهداء ثوابها إلی الموتی.

۴ رکعتـان خفیفتـان أحب إلی المیت من البکـاء والنوح علیه کمـا ورد ذلـک عن رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم: مرّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم بقبر دفن فیه بالأمس إنسان وأهله یبکون فقال:

«رکعتان خفیفتان مما تحتقرون أحب إلی صاحب هذا القبر من دنیاکم کلها»(۲).

السؤال: ما هی المعاصی التی توجب عذاب القبر؟

الجواب:

ذکرت الروایات مجموعه من المعاصی توجب عذاب القبر للمؤمن، کالنمیمه وسوء الخلق مع الأهل وعدم النزه من البول.... الخ، وهذا ما تدلنا علیه الروایات الآتیه:

۱- منازل الآخره للشیخ عباس القمی: ص۷۴؛ من لا یحضره الفقیه: ج۱، ص۱۸۳، وفیه بدل ثم قال: فقال.... .

۲- تنبیه الخواطر: ج۲، ص۲۲۵.

۱ عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«استنزهوا من البول، فإن عامه عذاب القبر منه»(۱).

۲ عن الإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام:

«عذاب القبر یکون من النمیمه والبول وعزب الرجل عن أهله»(۲).

السؤال: ما هی الأعمال التی تدفع هول منکر ونکیر؟

الجواب: جاء فی الروایات أن الصوره التی یأتی فیها الملکان لصوره مهوله مرعبه ترتعد منها الفرائص وتخرس الألسن وتشبح العیون خائفه ویطیر لها اللب، وهذا ما یصفه النبی صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«إذا أقبر المیت أتاه ملکان أسودان أزرقان، یقال لأحدهما منکر وللآخر نکیر یقولان: ما کنت تقول فی هذا الرجل؟ فإن کان مؤمنا فیقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فیقولان: قد کنا نعلم أنک تقول هذا، ثم یفسح فی قبره سبعون ذراعا فی سبعین ذراعا، ثم ینور له فیه، ثم یقال له: نم، فیقول: أرجع إلی أهلی فأخبرهم؟ فیقولان: نم کنومه العروس الذی لا یوقظه إلا أحب أهله، حتی یبعثه الله من مضجعه ذلک، وإن کان منافقا قال: سمعت الناس یقولون فقلت مثله، لا أدری!

فیقولان: قد کنا نعلم أنک تقول ذلک، فیقال للأرض: التئمی علیه، فتلتئم علیه فتختلف أضلاعه، فلا یزال فیه معذبا حتی یبعثه الله من مضجعه ذلک»(۳).

وروی عن أمیر المؤمنین علیه السلام قوله:

۱- بحار الأنوار: ج۶، ص۲۷۵. تسلیه الفؤاد، عبد الله شبر: ص۱۰۸.

۲- بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج۷۲، ص۲۶۵، ح۱۰.

۳- بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج۶، ص۲۷۶. تسلیه الفؤاد، عبد الله شبر: ص۱۱۰.

«فـإذا أدخـل قبره أتـاه ملكا القبر يجران أشـعارهما ويخـدان الأرض بأقـدامهما، أصواتهما كالرعـد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربک؟ وما دينک؟ ومن نبيک؟ فيقول:

الله ربی ودينی الإسلام، ونبيی محمد (صلی الله عليه وآله)، فيقولان له:

ثبتک الله فيما تحب وترضی، وهو قول الله عز وجل:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَهِ) (۱).

ثم يفسـحان له فی قبره مـد بصـره ثم يفتحـان له بابـا إلی الجنه، ثم يقولان له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم، فإن الله عز وجل يقول:

(أَصْحَابُ الْجَنَّهِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (۲).

قـال : وإن كـان لربه عـدوا فإنه يأتيه أقبـح من خلق الله زيا ورؤيا وأنتنه ريحا فيقول له: أبشـر بنزل من حميم وتصـليه جحيم وإنه ليعرف غاسـله ويناشـد حملته أن يحبسوه فـإذا أدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثم يقولان له: من ربک وما دينک؟ ومن نبيک؟،فيقول: لا أدری فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضـربان يافوخه بمرزبه معهما ضربه ما خلق الله عز وجل من دابه إلا وتذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلی النار.

ثم يقولـا‌ن له: نم بشـر حـال فيه من الضـيق مثـل ما فيه القنا من الزج حتی أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسـلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتی يبعثه الله من قبره وإنه ليتمنی قيام الساعه فيما هو فيه من الشر»(۳).

۱- سوره إبراهيم، الآيه: ۲۷.

۲- سوره الفرقان، الآيه: ۲۴.

۳- الكافی للشيخ الكلينی: ج۳، ص۲۳۳، ۴۷۰۸۱. تسليه الفؤاد، عبد الله شبر: ص ۹۰.

فبعد أن اطلعت على وصف الملكين وهولهما لابد من الاطلاع على الأعمال التى تنجى منهما ومن سؤالهما وهى كما يلى:

۱ أن يلقن الميت بعد دفنه من قبل أحد أقربائه الشـهادتين والعقائد الحقه والولايه لأهل البيت عليهم السـلام والاعتراف بإمامتهم والإقرار بالغيب.

۲ أداء الصلاه والزكاه والصبر بأنواعه تدافع عن صاحبها أشد الدفاع مع منكر ونكير.

۳ صيام شهر شعبان بل من صام تسعه أيام منه عطف عليه منكر ونكير.

۴ إحياء ليله الثلاث والعشرين من شهر رمضان بالعباده والصلاه مئه ركعه فيها.

۵ الدفن فى تربه النجف(۱).

۱- منازل الآخره للشيخ عباس القمى: ص ۷۰ ۷۵.

الخطبه الثالثه: فی مکارم الأخلاق

اشاره

نص الخطبه

اشاره

«يا أَيُّهَا النّاسُ، نافِسُوا فى الْمَكارِمِ، وَسارِعُوا فى المَغانِمِ، وَلا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعَجِّلوا، وَاكْسِبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ، وَلا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطَلِ ذمّاً: فَمَهْما يَكُنْ لأحَدٍ عِنْدَ صَنيعَه(۱) لهُ رَأى أَنَّهُ لا يَقُومُ بِشُكرِها فَاللهُ لَهُ بِمُكافأتِهِ، فَإنَّهُ أجزَلُ عَطاءً وَأَعْظَمُ أجراً.

وَاعْلَمُوا أنَّ حَوائِجَ النّاسِ إلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكُمْ، فَلا تَملّوا النِّعَمَ فَتَحُورَ نِقَماً.

وَاعْلَمُوا أنَّ المَعروُفَ مُكْسِبٌ حَمْداً، وَمُعقِبٌ أَجْراً، فَلَوْ رَأَيْتُمْ الْمَعْرُوفَ رَجُلاً رَأيْتُمُوهُ حَسَناً جَمِيلاً يَسُرُّ النّاظِرينَ، وَلَوْ رَأيْتُمُ اللَّؤمَ رَأيْتُمُوهُ سَمِجاً مُشَوَّهاً تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وتُغَضُّ دُونَهُ الأبْصارُ.

أيُّها النّاسُ مَنْ جادَ سادَ، وَمَنْ بَخِلَ رُذِلَ، وَإنَّ أجْوَدَ النّاسِ مَنْ أعْطى مَنْ لاَ يَرْجُوهُ، وَإنَّ أعْفَ النّاسِ مَنْ عَفا عَنْ قُدْرَهٍ، وَإنَّ أوْصَلَ النّاسِ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَالأصُولُ عَلى مَغارِسِها بِفُروعِها تَسْمُو، فَمَنْ تَعَجَّلَ لأخيه خَيْراً وَجَدَهُ إذا قَدِمَ عَلَيْهِ غَداً، وَمَنْ أرادَ الله تَبارَكَ وَتَعالى

۱- المطل: تأجيل موعد الوفاء بحقه مره بعد أخرى. والصنيعه: كل ما عمل من خير أو إحسان.

بِالصَّنيعَهِ إلى أخيهِ كافَأه بِها فى وَقْتِ حاجَتِهِ، وَصَرَفَ عَنْهُ مِنْ بَلاءِ الدُّنْيا ما هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ، وَمَنْ نَفَّسَ كُرْبَهَ مُؤْمِنٍ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرَبَ الدُّنْيا وَالآخِرَهِ، وَمَنْ أحسَنَ أَحْسَنَ اللهُ إلَيْهِ، وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنينَ».

المعنى العام

(يا أَيُّهَا النّاسُ، نافِسُوا فى الْمَكارِمِ، وَسارِعُوا فى المَغانِمِ، وَلا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعَجِّلوا، وَاكْسِبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ، وَلا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطَلِ ذمّاً: فَمَهْما يَكُنْ لأحَدٍ عِنْدَ صَنيعَه لهُ رَأى أَنَّهُ لا يَقُومُ بِشُكرِها فَاللهُ لَهُ بِمُكافأتِهِ، فَإنَّهُ أجزَلُ عَطاءً وَأَعْظَمُ أجْراً.).

أيها الناس تسابقوا وتباروا فى فعل الخيرات، وعجلوا فى تحصيل الربح والنفع، ولا تكشفوا بمعروف لم تسارعوا فى فعله، واطلبوا واربحوا الثناء الجميل بالنجاح والفوز، ولا تطلبوا بتأخير فعل المعروف الملامه والإعايه، وإذا عمل أحد العباد خيرا ومعروفا لأخيه دون أن ينال شكرا منه، فالله تعالى هو ا لذى يجزيه ويشكره، فهو كثير وعظيم النوال والثواب لمن شاء.

(وَاعْلَمُوا أنَّ حَوائِجَ النّاسِ إلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكُمْ، فَلا تَملّوا النِّعَمَ فَتَحُورَ نِقَماً).

أى عليكم أن تعرفوا وتتيقنوا أن طلبات وضروريات الناس وافتقارهم إليكم من منن الله وفضله عليكم، فلا تسأموا ولا تضجروا هذه النعم فترجع بلاء وعقوبه.

(وَاعْلَمُوا أنَّ المَعرُوفَ مُكْسِبٌ حَمْداً، وَمُعقِبٌ أَجراً، فَلَوْ رَأَيْتُمْ الْمَعْرُوفَ رَجُلاً رَأيْتُمُوهُ حَسَناً جَميلاً يَسُرُّ النّاظِرينَ، وَلَوْ رَأيْتُمُ اللُّؤمَ رَأيْتُمُوهُ سَمِجاً مُشَوَّهاً تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وتُغَضُّ دُونَهُ الأَبْصارُ).

أدركوا وتيقنوا أن العمل الحسن يورث الثناء والشكر، وتارك ثوابا، فلو تمثل عمل الخير بهيئه رجل لكان رجلا ذا هيئه بهيه تدخل الفرح على من يراها، ولو شاهدتم الشمه والدناء لشاهدتم رجلا قبيحا غير سوى تعرض عنه القلوب وتتركه، وتكف عنه العيون.

(أَيُّهـا النّـاسُ مَنْ جـادَ سـادَ، وَمَنْ بَخِـلَ رُذِلَ، وَإنَّ أَجْوَدَ النّاسِ مَنْ أَعْطى مَنْ لاَ يَرْجُوهُ، وَإنَّ أَعْف النّاسِ مَنْ عَفا عَنْ قُـدْرَهٍ، وَإنَّ أوْصَلَ النّاسِ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَالأَصُولُ عَلى مَغارِسِـها بِفُروعِها تَسْـمُو، فَمَنْ تَعَجَّلَ لأَخيه خَيْراً وَجَـدَهُ إذا قَـدِمَ عَلَيْهِ غَداً، وَمَنْ أرادَ الله تَبارَكَ وَتَعالى بِالصَّنيعَهِ إلى أخيهِ كافَأه بِها فى وَقْتِ حاجَتِهِ، وَصَـرَفَ عَنْهُ مِنْ بَلاءِ الدُّنْيا ما هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ، وَمَنْ نَفَّسَ كُرْبَهَ مُؤْمِنٍ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرَبَ الدُّنْيا وَالآخِرَهِ، وَمَنْ أحسَنَ أَحْسَنَ اللهُ إلَيْهِ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنينَ).

أيها الناس من اختار أو أتى بالحسن من القول والعمل صار من أهل الشرف والمجد، ومن شح وقتر صار رديئا غير فاضل، وإن أكرم الناس وأسخاهم من بذل إلى من لا ينتظر منه جزاءً ولا شكورا، وإن من أكثر الناس مسامحه وصفحا من صفح عن قدره واستطاعه، وإن من أرحم الناس وأعطفهم من ترحم وتعطف على قاطع الرحم وعاقها وهاجرها، والمنابت حسب الأرض التى غرست فيها فهى ترتفع وتعلو إذا كان المغرس طيبا، فمن بادر لصنع المعروف وأسداه إلى أخيه يجد أن هذا الصنيع محفوظ له عند أخيه، ومن كان صنيعه لوجه الله تعالى سيدخرها له عند حاجته إليها، ويرد عنه من آلام الدنيا وهمومها، ومن لطف أو فرج مشقه أو حزناً أو همّاً عن أخيه المؤمن وسع الله عليه كل شده فى الدنيا والآخره، ومن فعل معروفا يجزيه الله تعالى والله يحب أهل الإحسان.

بحث أخلاقی

صنع المعروف

لابـد للتعـایش الإنسـانی الناجـح من طریقه راقیه مؤطره بإرشـاد الشـریعه وتعالمیها ومزیّنه بجمال العرف وحسـنه، وملیئه بأریحیه المجتمع وتآلفه، ولا شک فی أن الجامع لکل هـذه الشـروط هو المعروف الـذی یمثل الجمال والعدل والإحسان والحق والإیثار، فلـذا نجـد الآیـات الشـریفه تؤکـد علی هـذا المعنی الشـریف فی کـل مفردات الحیـاه، بل الظاهر من النصوص القرآنیه الکریمه والأحادیث الشـریفه أن الحیاه معروف والمعروف هو الحیاه الحقیقیه والتی بخلافها لا یکون الإنسان إنسانا، لا نقصـد بالمعروف وهو الإحسـان فقـط دون المعـانی الأـخری التی سـبق ذکرهـا بل هو المعروف الـذی جمع کل المعانی العالیه، ولکی نطمئن من صحه ما تقدم لابد أن نقف علی المعنی اللغوی والاصطلاحی للمعروف.

المعروف فی اللغه: هـو الخیر، الإحسـان(۱)، المعروف: اسم لکـل فعـل یعرف حسـنه بالعقـل أو الشـرع: وهو خلاف المنکر، هو الصنیعه التی یسدیها المرء إلی غیره(۲).

المعروف فی الاصطلاح: هو کل خیر وکل فعل حسن عقلا وشرعا.

تناولت الآیات الکریمه هذه الکلمه فی مواضع عدیده تشیر من خلالها إلی القول الطیب والفعل الحسن کما فی قوله تعالی:

(یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِصَاصُ فِی الْقَتْلَی الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْـدُ بِالْعَبْـدِ وَالْأُنْثَی بِالْأُنْثَی فَمَنْ عُفِیَ لَهُ مِنْ أَخِیهِ شَـیْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَیْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِکَ تَخْفِیفٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَرَحْمَهٌ فَمَنِ اعْتَدَی بَعْدَ ذَلِکَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِیمٌ) (۳).

۱- المنجد النجدی: ص

۲- المعجم الوسیط: ص۵۹۵.

۳- سوره البقره، الآیه: ۱۷۸.

وقال تعالى:

(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(۱).

وقال سبحانه وتعالى:

(وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) (۲).

وفی قوله عزّ وجل:

(قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَهٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَهٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) (۳).

وقال الله سبحانه وتعالى فی سوره النساء:

(وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) (۴).

وقال عزّ وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَهٍ مُبَيِّنَهٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ

۱- سوره البقره، الآیه: ۲۲۹.

۲- سوره البقره، الآیه: ۲۴۱.

۳- سوره البقره، الآیه: ۲۶۳.

۴- سوره النساء، الآیه: ۶.

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (۱).

وقال البارى عزّ وجل فى سوره الممتحنه:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (۲).

وقال سبحانه وتعالى فى سوره آل عمران:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (۳).

وحث الأحاديث الشريفه على فعل المعروف من خلال وصفها له بصفات عديده، فتاره يصفه الحديث أنه عين السياده كما فى قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«المَعروفُ سِيادةٌ»(۴).

وأخرى هو الحسب كما فى قوله عليه السلام:

«المَعروفُ حَسَبٌ»(۵).

۱- سوره النساء، الآيه: ۱۹.

۲- سوره الممتحنه، الآيه: ۱۲.

۳- سوره آل عمران، الآيه: ۱۱۰.

۴- غرر الحكم: ص۳۲. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۵۵۸، ح۱۲۵۹۰.

۵- غرر الحكم: ص۸۰. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۵۵۸، ح۱۲۵۹۲.

وفی ثالثه هو وسیله لتحصیل المدح والثناء فی الدنیا والثواب والجزاء الحسن فی الآخره وهذا ما أشار إلیه الإمام الحسین علیه السلام بقوله:

«اعلَموا أنَّ المَعروفَ مُکسِبٌ حَمداً، ومُعقِبُ أجراً، فلَو رَأیْتُمُ المَعروفَ رَجُلًا لَرَأیتُموهُ حَسَناً جَمیلًا یَسُرُّ النّاظِرینَ ویَفوقُ العالَمینَ، ولَو رَأیتُمُ اللُّؤمَ رَأیتُموهُ سمجحاً قَبیحاً مُشَوَّهاً تَنفِرُ مِنهُ القُلوبُ وتُغَضُّ دُونَهُ الأبصارُ»(١).

بل أن الإمام الصادق علیه السلام لا یری شیئا أفضل من المعروف إلا الأجر الإلهی بقوله:

«رَأیتُ المَعروفَ کَاسمِهِ، ولَیسَ شِیءٌ أفضَلَ مِنَ المَعروفِ إلاّ ثَوابُهُ وذلکَ یُرادُ مِنهُ»(٢).

ولأهمیه المعروف للفرد والمجتمع معا نجد أمیر المؤمنین علیه السلام یدعونا إلی صنعه ولو ببذل أقصی الجهود بقوله:

«اصطَنِعوا المَعروفَ بِما قَدَرتُم عَلَی اصطِناعِه»(٣).

ویقول الإمام الجواد علیه السلام بأن الذین یصنعون المعروف هم أول من یستفید من هذا المعروف بقوله:

«أهلُ المَعروفِ إلَی اصطِناعِهِ أحوَجُ مِن أهلِ الحاجَهِ إلَیهِ؛ لِأَنَّ لَهُم أجرَهُ وفَخرَهُ، فَمَهما اصطَنَعَ الرَّجُلُ مِن مَعروفٍ فإنَّما یَبدأ فیهِ بِنَفسِهِ، فلا یَطلُبَنَّ شُکرَ ما صَنَعَ إلی نَفسِهِ مِن غَیرِهِ»(۴).

١- مستدرک الوسائل: ج١٢، ص٣۴٣، ح١۴٢۴٢. میزان الحکمه: ج۶، ص٢۵۵٨، ح١٢۵٩۵.
٢- الکافی: ج۴، ص٢۶، ح٣. میزان الحکمه: ج۶، ص٢۵۵٩، ح١٢۵٩۶.
٣- الخصال: ص۶١٧، ح١٠. میزان الحکمه: ج۶، ص٢۵۵٩، ح١٢۶٠٠.
۴- کشف الغمّه: ج٣، ص١٣٧. میزان الحکمه: ج۶، ص٢۵۵٩، ح١٢۶٠٣.

لمن يبذل المعروف؟

بعد أن عرفنا أن المعروف جميل بذاته ينبغى أن نعلم أن بذله أجمل لما فيه من تجلى صور الرحمه والحنو والرأفه والمروءه، فلذا جاءت الروايات الشريفه تحث على بذله إلى البر والفاجر من الناس، بل وصلت بحثها على بذله إلى الحيوانات.

إن فعل المعروف خير، وكل ما هو خير لا يصح البخل به على إنسان دون آخر، فلذا صارت فضيلته فوق كل فضيله وجزاؤه فوق كل جزاء، وهذا ما أشار إليه مولى الموحدين بقوله عليه السلام:

«ابذُلْ مَعروفَكَ لِلنّاسِ كافَّةً؛ فإنَّ فَضيلَهَ فِعلِ المَعروفِ لا يَعدِلُها عِندَ اللهِ سُبحانَهُ شِيءٌ»(۱).

ولكى نطلع بدقه على ما حثت عليه الروايات الشريفه نذكرها على النحو الآتى:

۱ حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين على فعل المعروف إلى العالمين دون أن يميزوا بين من يستحق ومن لا يستحق بقوله:

«رَاسُ العَقلِ بَعدَ الدِّينِ التَّوَدُّدُ إلَى النّاسِ، واصطِناعُ الخَيرِ إلى كُلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ»(۲).

وعند تأمل هذا الحديث الشريف نستنتج منه ما يلى:

ألف: إن المعروف لا يقتصر على بذل المال أو ما هو مادى فقط بل يتعداه إلى الخلق الحسن والقول الطيب وهذا ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس».

باء: بما أن الخير فعل حسن لا ضرر فيه يحتاجه كل مخلوق فى حياته، صار بذله

۱- غرر الحكم: ۲۴۷۰. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۵۶۲، ح۱۲۶۲۳.

۲- بحار الأنوار: ج۷۴، ص۴۰۱، ح۴۴. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۵۶۲، ح۱۲۶۲۴.

جميلًا إلى الإنسان الصالح والطالح على السواء كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«واصطناع الخير إلى كل برّ وفاجر».

ولكى لا يقع المؤمن فى التباس من أمره فيقول كيف أصنع الخير للفاجر وهو فاجر عاصى لله تعالى؟

فأقول: ورد من جهه أخرى، إذا علمت بأن معروفك سيكون عوناً على الإثم ويستعين به الفاجر على معصيه الله تعالى لا يصح لك أن تعينه على ذلك لقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (۱).

۲ حث أهل بيت العصمه عليهم السلام على بذل المعروف إلى الحيوانات أيضا، مما يدل على سعه رحمه الله تعالى، ورعايته لمخلوقاته فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام فى وصيته لمن يستعمله على الصدقات:

«ثُمَّ احدُرْ(۲) إلَينا ما اجتَمَعَ عِندَكَ نُصَيِّرُهُ حَيثُ أمَرَ اللهُ بِهِ فإذا أخَذَها أمينُكَ فأوعِزْ إلَيهِ ألّا يَحولَ بَيْنَ ناقَةٍ وبَينَ فَصيلِها(۳)، ولا يَمْصُر(۴) لَبَنَها فيَضُرَّ ذلكَ بِوَلَدِها، ولا يجهَدَنَّها رُكوباً، ولْيَعْدِل بَينَ صَواحِباتِها فى ذلكَ وبَينَها، ولْيُرَفِّهْ عَلَى اللاغِبِ(۵)

۱- سوره المائده الآيه: ۲.

۲- أى سُق إلينا سريعاً.

۳- فصيل الناقه: ولدها وهو رضيع.

۴- مَصْر اللبن: حلب ما فى الضرع جمعيه.

۵- أى لِيُريح ما ألغِب أى أعياه التعب.

ولْيَستَأْنِ(۱) بالنَّقِبِ(۲) والظّالِعِ(۳)، ولْيُورِدْها ما تَمُرُّ بِهِ مِنَ الغُدُرِ(۴)، ولا يَعدِلْ بِها عَنِ نَبتِ الأرضِ إلى جَوادِّ الطُّرُقِ(۵)، ولْيُرَوِّحْها فى السّاعاتِ، ولْيُمهِلْها عِندَ النِّطافِ(۶) والأعشابِ، حتّى تَأتِيَنا بإذنِ اللهِ بُدَّناً(۷) مُنْقِياتٍ(۸) غَيرَ مُتعَباتٍ ولا مَجْهُودَاتٍ(۹)»(۱۰).

إشكال وتوجيه

سبق أن بينا أن الأحاديث الشريفه السابقه تحث المؤمن على فعل المعروف لجميع الناس برهم وفاجرهم، وسواء كان من أهل المعروف أو لم يكن كذلك كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اصطَنِع الخَيرَ إلى مَن هُوَ أهلُهُ، وإلى مَن هُوَ غَيرُ أهلِهِ، فإن لَم تُصِبْ مَن هُوَ أهلُهُ فأنتَ أهلُهُ»(۱۱).

إلا أننا نجد فى مكان آخر أحاديث تحت عنوان ترك بذل المعروف إلى من لا يستحقه وهى كما يلى:

۱ قال الإمام على عليه السلام:

۱- ليستأنِ: أى يَرفق، من الأناه بمعنى الرِّفق.

۲- النَّقِب بفتح فكسر ما نَقِبَ خفّه كفَرِح : أى تخرّق.

۳- ظَلَعَ البعيرُ: غمز فى مشيته.

۴- الغُدُر جمع غدير : ما غادره السيل من المياه.

۵- أى الطرق التى لا مرعى فيها.

۶- النِّطاف جمع نُطفه : المياه القليله، أى يجعل لها مُهله لتشرب وتأكل.

۷- البُدَّن بضم الباء وتشديد الدال : السمينه.

۸- المُنقِيات: اسم فاعل من أنقت الإبل إذا سَمِنَت.

۹- مجهودات: بلغ منها الجَهد والعناء مبلغاً عظيماً.

۱۰- نهج البلاغه: الكتاب ۲۵. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۵۶۳ ۲۵۶۴، ح۱۲۶۳۲.

۱۱- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج۲، ص۳۵، ص۷۶. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۵۶۲، ح۱۲۶۲۶.

«لا تَصلُحُ الصَّنيعَهُ إلاّ عِندَ ذی حَسَبٍ أو دِینٍ»(۱).

۲ قال الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«لَیسَ لِواضِعِ المَعروفِ فی غَیرِ حَقِّهِ وعِندَ غَیرِ أهلِهِ مِنَ الحَظِّ فیما أتی إلاّ مَحمَدَهُ اللِّئامِ، وثَناءُ الأشرار. ومَقالَهُ الجُهّالِ ما دامَ مَنعِماً عَلَیهِم: ما أجوَدَ یَدَهُ! وهوَ عَن ذاتِ اللهِ بَخیلٌ»(۲).

۳ وقال الإمام الصادق علیه السلام:

«أوحَی اللهُ تَعالی إلی موسی علیه السلام: کما تَدینُ تُدانُ، وکما تَعمَلُ کذلک تُجزی، مَن یَصنَعِ المَعروفَ إلَی أمرِئِ السَّوءِ یُجزی شَرّاً»(۳).

۴ ورد فی الأمالی للمفید عن کَعب الأحبار:

مَن صَنَعَ مَعروفاً إلی أحمَقَ فَهِیَ خَطیئَهٌ تُکتَبُ عَلَیهِ(۴).

۵ قال الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«ظَلَمَ المَعروفَ مَن وَضَعَهُ فی غَیرِ أهلِهِ»(۵).

۶ عن الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام قال:

«مَن أسدی مَعروفاً إلی غَیرِ أهلِهِ ظَلَمَ مَعروفَهُ»(۶).

وبعد تأمل هذین النوعین من الأحادیث الشریفه نلمس تناقضا ظاهراً بینهما،

۱- الخصال: ص ۶۲۰، ح ۱۰.

۲- نهج البلاغه: الخطبه ۱۴۲. شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی: ج۹، ص۷۴. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۶۶، ح۱۲۶۴۳.

۳- بحار الأنوار: ج۷۴، ص۴۱۲، ح۲۶. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۶۶، ح۱۲۶۴۴.

۴- أمالی المفید: ۱۳۷، ح۷. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۶۶، ح۱۲۶۴۵.

۵- غرر الحکم: ۶۰۶۳. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۶۶، ح ۱۲۶۵۰.

۶- غرر الحکم: ۸۵۴۷. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۶۶، ح ۱۲۶۵۱.

ولكى لا يقع القارئ الكريم فى التباس بين الحث على بـذل المعروف وبين النهى عن ذلك لابد من توجيه الأحاديث التى حثت على ترك بذل المعروف وتبدأ كما يلى:

ألف: لا تنهى الأحاديث عن فعل المعروف إلى غير أهله وإنما ترشد إلى ذلك من باب النهى الإرشادى.

بـاء: تريـد الأحـاديث أن تبيّن أن البـاذل للمعروف إلى غير أهله لاـ ينتظر منهم جزاءً ولا شـكورا، ولـذا فليكن بـذله للمعروف لله تعالى ولجمال وحسن البذل.

جيم: تشير الأحاديث إلى ترك بذل المعروف لمن كان مجربا بنكران الجميل أو من لا يشكر المعروف بدليل القول الذى ورد فى الحديث أعلاه وهو:

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَيسَ لِواضِعِ المَعروفِ فى غَيرِ حَقِّهِ وعِندَ غَيرِ أهلِهِ مِنَ الحَظِّ فيما أتى إلاّ مَحمَدَةُ اللّئامِ، وثَناءُ الأشرار. ومَقالَهُ الجُهّالِ ما دامَ مَنعِماً عَلَيهِم: ما أجوَدَ يَدَهُ! وهوَ عَن ذاتِ اللهِ بَخيلٌ».

دال: وردت أحاديث تتضمن إرشادات تنهى عن صنف اتصف بالحمق دون غيره من الصفات.

خلاصه القول:

١ إن بـذل المعروف لأـهله أى لمـن يفعـل المعروف مـن بـاب رد الجميـل، ولغير أهلـه الـذين يحبـون فعـل المعروف ولكـن لا يستطيعون ذلك.

٢ إذا فعلت المعروف لا تنتظر من أحد جزاءً ولا شكورا.

٣ إن بعض أنواع المعروف كبذل الحكمه لا تضـعها إلا عند أهلها، وأمّا مايصدر منك من خير دون أن يترتب عليه ضـرر فابذله لمن شأت.

آثار فعل المعروف

وردت الآیات الکریمه والأحادیث الشریفه بکثره مبینه الآثار الطیبه لفعل المعروف سواء کان ذلک فی الحیاه الدنیا أو فی الآخره ولکی یتضح الموضوع أکثر نبوّب هذه الآثار کالآتی:

الآثار فی الدنیا

۱ لکی تنال الجاه وتحظی بالتقدم علی الغیر وتنال الطاعه والاحترام لابد لک من فعل المعروف، وهذا ما أکده الحدیث الشریف عن أمیر المؤمنین علیه السلام:

«المعروف سیاده».

وقول الإمام الصادق علیه السلام:

«عَجِبتُ مِمَّن یَشتَری المَمالیکَ بِمالِهِ، کَیفَ لا یَشتَری الأحرارَ بِمَعروفِه فَیملِکَهُم»(۱).

۲ ضمن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام لفاعل المعروف ربحا ونماءً نتیجه بذله للمعروف بقوله علیه السلام:

«إنما المعروف زرع من أنمی الزرع، وکنز من أفضل الکنوز»(۲).

۳ بذل المعروف یحافظ علی النعم ویدفع عنها خطر السلب فیکون مصداقاً للدعاء الشریف: (اللهم أعوذ بک من الذنوب التی تسلب النعم).

وهذا ما أشار إلیه الإمام الصادق علیه السلام بقوله:

«المعروف زکاه النعم، وما أدیت زکاته فهو مأمون السلب»(۳).

۱- تحف العقول: ص۲۰۴. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۵۹، ح۱۲۶۰۲.
۲- جامع أحادیث الشیعه، السید البروجردی: ج۱۴، ص۴۷۶، ح۳۱۴۴(۱۵).
۳- میزان الحکمه: ج۳، ص۱۹۳۱.

۴ بـذل المعروف يؤدى إلى أن ينال فاعله شـكراً ومـدحاً من أناس لم يصـبهم هـذا المعروف، ولكن لحبهم وإنصافهم يشـكرون الباذل للمعروف، وهذا ما نستشفعه من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فإنه قد يشكرك عليه من يسمع منك فيه»(۱).

۵ فعل المعروف يرد على صاحبه بكل ما هو جميل فلذا ورد عن الإمام على عليه السلام:

«مَن عامَلَ النّاسَ بِالجَميلِ كافَؤوهُ بِهِ»(۲).

۶ يفضل باذل المعروف بكثره على غيره ممن لم يفعل المعروف، ويقر له جميع الناس بالأفضـليه كما فى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَن كَثُرَ جَميلُهُ أجمَعَ النّاسُ عَلى تَفضيلِهِ»(۳).

۷ من أراد أن ينال قاعده جماهيريه، وتتسع سمعته الحسنه فما عليه إلا أن يكثر من بذل المعروف مع جميع الناس ولا يقتصر فعله على فئه دون أخرى أو شخص دون آخر وهذا لعله المراد من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَن كَثُرَت عَوارِفُهُ كَثُرَت مَعارِفُهُ»(۴).

الآثار فى الآخره

۱ إذا بذل المعروف للمؤمن ينقذ باذله من الدخول إلى نار جهنم كما ورد فى الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

۱- ميزان الحكمه: ج۳، ص ۱۹۳۰.

۲- غرر الحكم: ۸۷۱۶. ميزان الحكمه: ج۶، ص ۲۵۶۲، ح ۱۲۶۱۹.

۳- غرر الحكم: ۸۴۰۷. ميزان الحكمه: ج۶، ص ۲۵۶۲، ح ۱۲۶۲۰.

۴- غرر الحكم: ۸۱۶۴. ميزان الحكمه: ج۶، ص ۲۵۶۲، ح ۱۲۶۲۱.

«إنَّ المُؤمِنَ مِنكمُ يَومَ القِيامَهِ لَيُمَرُّ عَلَيهِ بِالرَّجُلِ وقَد أمِرَ بِهِ إلَى النّارِ، فيَقولُ لَهُ: يا فُلانُ أغِثْنی، فقَد کُنتُ أصنَعُ إلَیکَ المَعروفَ فی الدّنیا، فيَقولُ المُؤمِنُ لِلمَلَكِ: خَلِّ سَبيلَهُ فيَأمُرُ اللهُ المَلَكَ أن أجِزْ قَولَ المُؤمِنِ، فيُخَلّی المَلَکُ سَبيلَهُ»(۱).

۲ أمرنا الله سبحانه بالاستعداد للموت والتزود بالبضاعه الحسنه للمعاد یوم لا ینفع مال ولا بنون، فلذا لابد من صنع المعروف لخلق الله تعالی لکی نذهب بزاد نافع وهذا ما یشیر إلیه الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«عَلَيكُم بِصَنائعِ المَعروفِ؛ فإنَّها نِعمَ الزّادِ إلَى المَعادِ»(۲).

۳ وعد الله تعالی المؤمنین العاملین بالجنه، وخلق الله تعالی لهذه الجنه أبواباً وجعل بعضاً من هذه الأبواب باسم بعض المؤمنین کباب الریان للصائمین وباب المعروف لأهل المعروف کما ورد ذلک فی الحدیث الشریف عن أبی هاشم: (سَمِعت أبا محمد یقول:

«إنَّ فی الجَنَّهِ باباً يُقالُ لَهُ: المَعروفُ، لا يَدخُلُهُ إلّا أهلُ المَعروفِ.

فحَمِدتُ اللهَ تَعالی فی نَفسی وفَرِحتُ مِمّا أتَكَلَّفُهُ مَن حَوائجِ النّاسِ، فنَظَرَ إلَيَّ أبو مُحَمَّدٍ علیه السلام فقالَ:

نَعَم قَد عَمِلت ما أنتَ عَلَيهِ؛ وإنَّ أهلَ المَعروفِ فی الدّنیا أهلُ المَعروفِ فی الآخِرَهِ، جَعَلَكَ اللهُ مِنهُم يا أبا هاشمٍ ورَحِمَكَ»(۳)(۴).

۴ الباذل للمعروف ولو بقی الماء ورعایه الخلق لاسیما العجماوات (الحیوانات) سیجعله الله تعالی تحت ظله الذی لا یستغنی عنه أحد فی یوم شدید لا ظل فیه کما ورد

۱- المحاسن: ج ۱، ص۲۹۴، ح۵۸۹. میزان الحکمه: ج۶، ص ۲۵۶۰، ح۱۲۶۰۹.

۲- غرر الحکم: ۶۱۶۶. میزان الحکمه: ج۶، ص ۲۵۶۰، ح ۱۲۶۱۰.

۳- المناقب لابن شهر آشوب: ج۴، ص۴۳۲.

۴- میزان الحکمه: ج۶، ص ۲۵۶۱، ح۱۲۶۱۷.

فی الحدیث الشریف عن الإمام الباقر علیه السلام:

«إنَّ اللهَ تَبارَکَ وتَعالی یُحِبُّ إبرادَ الکَبِدِ الحَرّی، ومَن سَقی کَبداً حَرّی مِن بَهیمَهٍ أو غَیرِها أظَلَّهُ اللهُ یَومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلُّهُ»(۱).

۵ لا ـ یحتاج أهل المعروف إلی حسناتهم یوم القیامه لاستغنائهم عنها بفضل الله تعالی ومنّه، وسیتبرعون بها إلی من هو بحاجه إلیها کما جاء ذلک فی حدیث الإمام الصادق علیه السلام:

«أهلُ المَعروفِ فی الدّنیا هُم أهلُ المَعروفِ فی الآخِرَهِ؛ لأَنَّهُم فی الآخِرَهِ تَرجَحُ لَهُمُ الحَسَناتُ، فیَجودونَ بِها عَلی أهلِ المَعاصی»(۲).

فوائد

۱ لا یمنعک من فعل المعروف وبذله إلی خلق الله تعالی الناکرون والجاحدون فإنک تبذله لله تعالی وهو الذی یشکرک علیه وهذا ما صرح به أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«فَلا یُزَهِّدَنَّکَ فی المَعروفِ کُفرُ مَن کَفَرَهُ، ولا جُحودُ مَن جَحَدَهُ؛ فإنَّهُ قَد یَشکُرُکَ عَلَیهِ مَن یَسمَعُ مِنکَ فیهِ»(۳).

۲ أنت لمعروفک أحوج من أهل الحاجه إلیه کما فیه ثواب کبیر وذکر دائم وسمعه حسنه.

۳ لا ـ تتردد فی أن تکون وسیله لإیصال الخیر إلی الآخرین وإن لم تکن أنت باذله، فإن لک کأجر الباذل کما أکد ذلک الإمام الصادق علیه السلام بقوله:

۱- الکافی: ج۸، ص۵۸، ح۶. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۶۳، ح۱۲۶۳۱.

۲- أمالی الطوسی: ص۳۰۴، ح۶۱۰. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۶۱، ح۱۲۶۱۵.

۳- مستدرک الوسائل: ج۱۲، ص۳۴۰، ح۱۴۲۲۹. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۵۹، ح۱۲۵۹۷.

«لو جَرَى المَعروفُ عَلى ثَمانينَ كَفّاً لأُجِروا كُلُّهُم فيهِ، مِن غَيرِ أن يُنقَصَ صاحِبُهُ مِن أجرِهِ شَيئاً»(۱).

۴ لاـ تعطِ الخير ناقصا ولاـ تفعل المعروف إلّا بتمامه إذا كنت قادراً على ذلک وهـذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صـلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«استتمام المعروف أفضل من ابتدائه»(۲).

وما أرشدنا إليه وصيه الأول أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«جمال المعروف إتمامه»(۳).

۵ إذا وفقت لبـذل المعروف عليـک الالـتزام بخواصه الثلاـث التی تجعله معروفا كاملًا نافعاً فی الـدنيا والآخره، فلابـد حينئـذ من استقلاله (تصغيره)، وكتمه وسريته، والإسراع به إلى من هو بحاجه إليه وكن لقول أمامک الصادق عليه السلام مطبقا إذ يقول:

«رأيتُ المَعروفَ لا يَصلُحُ إلّا بِثَلاثِ خِصالٍ: تَصغيرِهِ، وتَستيرِهِ، وتَعجيلِهِ؛ فإنَّکَ إذا صَغَّرتَهُ عَظَّمتَهُ عِندَ مَن تَصنَعُهُ إلَيهِ، وإذا سَتَرتَهُ تَمَّمتَهُ، وإذا عَجَّلتَهُ هَنَّأتَهُ، وإن كانَ غَيرَ ذلکَ سَخَّفتَهُ ونَكَّدتَهُ»(۴).

۶ أن تأتی متأخراً خيرٌ من أن لا تأتی، وأن تبذل المعروف وإن كان قليلا فهو نافع لاسيما فی وقت الحاجه إليه فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تُحَقِّرَنَّ شَيئاً مِنَ المَعروفِ، ولَو أن تَلقى أخاکَ ووَجهُکَ مَبسوطٌ إلَيهِ»(۵).

۱- الكافی: ج۲، ص۱۸، ح۲. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۵۶۵، ح۱۲۶۳۸.

۲- ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۹۳۶، ح۲۶۷۹.

۳- ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۹۳۶، ح۲۶۷۹.

۴- الكافی: ج۴، ص۳۰، ح۱. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۵۶۷، ح۱۲۶۶۲.

۵- كنز الفوائد للكراجكی: ج۱، ص۲۱۲. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۵۶۸، ح۱۲۶۶۵.

۷ إذا أردت أن تعلم أنک مقبولاـ عنـد الله تعـالی وأن معروفـک سـیجلب لـک الثواب الجزیـل، أنظر إلی موضـعه فـإذا أصـاب معروفک مواضعه فهو لا شک من الأعمال المقبوله عند الله تعالی وهذا ما أراد الإمام الصادق علیه السلام قوله:

لما سئل عن علامه قبول العبد عند الله :

«عَلامَهُ قَبولِ العَبدِ عِندَ اللهِ أن یُصیبَ بِمَعروفِهِ مَواضِعَهُ، فإن لَم یَکُن کذلکَ فلَیسَ کذلکَ»(۱).

صفات أهل الفضل

ورد فی مواقع متعدده من القرآن الکریم ما یشیر إلی الأفضلیه والتفاضل کما فی قوله تعالی:

(انْظُرْ کَیْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَی بَعْضٍ وَلَلْآخِرَهُ أَکْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَکْبَرُ تَفْضِیلًا) (۲).

وقوله تعالی:

(تِلْکَ الرُّسُـلُ فَضَّلْنَا بَعْضَـهُمْ عَلَی بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ کَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَـهُمْ دَرَجَـاتٍ وَآتَیْنَـا عِیسَـی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّنَاتِ وَأَیَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَـاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِینَ مِنْ بَعْـدِهِمْ مِنْ بَعْـدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَیِّنَاتُ وَلَکِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ کَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَکِنَّ اللَّهَ یَفْعَلُ مَا یُرِیدُ) (۳).

وقوله تعالی:

(وَإِسْمَاعِیلَ وَالْیَسَعَ وَیُونُسَ وَلُوطًا وَکُلًّا فَضَّلْنَا عَلَی الْعَالَمِینَ) (۴).

۱- بحار الأنوار: ج۷۴، ص۴۱۹، ح۴۷. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۵۶۸، ح۱۲۶۶۷.

۲- سوره الإسراء، الآیه: ۲۱.

۳- سوره البقره، الآیه: ۲۵۳.

۴- سوره الأنعام، الآیه: ۸۶.

وما جاءت الآيات الكريمه إلا لتبين أن هناک رجحات لشخص على آخر هى سر التفاضل بين الأنبياء والمرسلين.

فالفضيله كما جاء فى اللغه هى الدرجه الرفيعه فى حسن الخلق(۱).

وتفاضل القوم: تنافسوا فى الفضل أى فيما هو رفيع وشريف وعالٍ.

حث الأئمه الأطهار عليهم السلام على التحلى بالفضائل لما لها من آثار وفوائد عاليه وهذا ما نلمسه فى قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«فخر المرء بفضله لا بأصله»(۲).

ولكى نطّلع على صفات أهل الفضل لابد من الوقوف على موجبات الفضيله التى تعد سلما للرفعه والعلو:

۱ الإيثار الذى هو تقديم مصلحه الغير على مصلحه النفس يوجب الفضيله لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من آثر على نفسه استحق اسم الفضيله»(۳).

۲ عدم العجب بالنفس وعدم الترفع على الآخر مما يجعل المرء فاضلا كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«كفى بالمرء فضيله أن يُنقّص نفسه»(۴).

۳ الصفح والتسامح والعفو عند القدره صفات أهل الفضل كما ورد عنه عليه السلام:

«الفضل أنک إذا قدرت عفوت»(۵).

۱- المعجم الوسيط: ص۶۹۳.

۲- جامع أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادى النجفى: ج۸، ص۴۷۵، ح۱۰۴۵۳.

۳- ميزان الحكمه: ج۱، ص۱۸، ح۴ منزله الإيثار.

۴- ميزان الحكمه: ج۳، ص۲۴۳۳، ح۳۲۱۲ ما به فضيله الإنسان.

۵- المصدر السابق.

۴ الإحسان والابتداء به يقود إلى الفضل كما فى قوله عليه السلام:

«الفضل مع الإحسان»(۱).

۵ الورع والطاعه والانقياد لله تعالى تجسد التقوى فى صاحبها فيكسب بذلك أن يكون من أهل الفضل كما فى وصف أمير المؤمنين عليه السلام للمتقين:

«فالمتقون فيها هم أهل الفضائل: منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد»(۲).

وهناك كثير من الفضائل التى تصبغ صاحبها بالفضيله كالمروءه وبث المعروف والإحسان وأداء المفروضات والنوافل والابتعاد عن الشبهات وهذا ما أشارت إليه مجموعه من الأحاديث الشريفه تركناها للاختصار، ومن شاء الإطلاع عليها فليطلبها من مظانها(۳).

وما جاء عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يبيّن منزله أهل الفضل ومقامهم فى يوم القيامه كما يبيّن الأعمال التى جعلتهم هكذا كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا جُمِعَ الخلائقُ يَومَ القِيامَهِ نادى مُنادٍ: أينَ أهلُ الفَضلِ؟ فَيَقومُ أُناسٌ وهُم يَسيرٌ فَيَنطَلِقُونَ سِراعاً إلَى الجَنَّهِ، فَتَلَقّاهُم المَلائكهُ فيَقولونَ: إنّا نَراكُم سِراعاً إلَى الجَنَّهِ! فيَقولونَ: نَحنُ أهلُ الفَضلِ، فيقولونَ: ما كانَ فَضلُكُم؟ فيقولونَ: كُنّا إذا ظُلِمنا غَفَرنا، وإذا أُسِيءَ إلَينا عَفَونا، وإذا جُهِلَ علَينا حَلُمنا، فيقالُ لَهُم: ادخُلُوا الجَنَّهَ فَنِعمَ أجرُ العامِلينَ»(۴).

۱- المصدر السابق.

۲- ميزان الحكمه: ج۳، ص۲۴۳۳، ح۳۲۱۲ أفضل الفضائل.

۳- ميزان الحكمه: ج۸، ص۳۲۱۸ ۳۲۱۹.

۴- تنبيه الخواطر: ج۱، ص۱۲۴. ميزان الحكمه: ج۸، ص۳۲۱۹ ۳۲۲۰، ح۱۵۹۶۳.

الخطبه الرابعه: فی مکارم الأخلاق

اشاره

نص الخطبه

اشاره

(إنَّ الحِلْمَ زينَةٌ، وَالوَفاءَ مُرُوءَةٌ، والصِّلَةَ نِعْمَةٌ، والاسْتِكْبارَ صَلَفٌ، والْعَجَلَةَ سَفَهٌ، وَالسَفَهَ ضَعْفٌ، وَالغُلُوَّ وَرْطَةٌ، وَمُجالَسَةَ أهْلِ الدَّناءَهِ شَرٌّ، وَمُجالَسَهَ أهلِ الفِسْقِ رِيبَةٌ).

إن الأناه وضبط النفس وكظم الغضب حسن وجمال، والصدق بالوعد والعدد كمال الرجوله، والرحمه والتواصل وعدم الهجران منّه وفضل من الله تعالى، والتعالى والتعاظم وعدم قبول الحق عجب وتكبر، والتسرع خفه وطيش وجهل، وهذه الخفه والطيش هى قله فطنه وضعف فؤاد، وتجاوز الحد والإفراط أمر يتعسر النجاه منه، والقعود مع الأراذل والاختلاط بهم سوء وفساد ومغالطه، والقعود مع أهل العصيان تهمه وظن وشك.

بحث أخلاقى

مكارم الأخلاق شيمه المؤمنين

منذ أن وطئ الإنسان بقدميه تراب هذه الأرض وطئها وهو مزودٌ بالأخلاق الفاضله وعارفٌ للأخلاق الفاسده ومأمورٌ من قبل الله تعالى بالتحلى بكلّ الفضائل لكى يصل إلى غايته التى خلق من أجلها ألا وهى عباده الله سبحانه وتعالى كما فى قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (١).

١- سوره الذاريات، الآيه: ٥٦.

فصارت مكارم الأخلاق من لوازم الحياه الصحيحه على الأرض ومن لوازم الأمم التى تنشد الرفعه والطهاره، فأخذت الشرائع السماويه كمال الإنسان غايه لها وبدأ الأنبياء عليهم السلام بالإرشاد والتربيه والتزكيه لهذه النفوس الجامحه التى تميل بطبعها للراحه الدعه، وتوالت الأنبياء عليهم السلام على قياده البشريه إلى الكمال حتى وصلت إلى خاتمها وسيد رسلها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى صرح بكلمته الخالده:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(۱).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«حُسنُ الخُلقِ مِن أفضَلِ القِسَمِ وأحْسَنِ الشِيَمْ»(۲).

ولكى نقف على معنى الأخلاق وحسنها وما يترتب عليها لابد من الحديث عن العنوانين المختلفه فى ذلك.

الخلق وعاء الدين

تقدم بيان علاقه الدين بالأخلاق الفاضله، وعرفنا حرص الأنبياء عليهم السلام على تزويد أممهم بالمكارم والسمو ولكى يتضح العنوان لابد من معرفه مفهومه فى اللغه والاصطلاح:

الخلق فى اللغه: حال للنفس راسخه تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجه إلى فكر أو رويه، ومجموعها أخلاق(۳).

الخلق فى الاصطلاح: سلوك يسلكه الإنسان فى ميدان الفضائل أو الرذائل

۱- ميزان الحكمه: ج۱، ص۸۰۴، ح ۱۱۱۱.

۲- غرر الحكم: ۴۸۴۲. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۷۳، ح ۵۰۰۰.

۳- المعجم الوسيط: ص۲۵۲.

ويصبغ صاحبه بالحسن أو القبح.

والسلوك أو الحال الذى يتصف به الإنسان له ثلاث مراتب:

المرتبه الأولى: هى الاتصاف بصفه على وجه السرعه وفقدانها بذات السرعه وهذا ما يسمى (بالحال) كما فى حمره الخجل أو صفره الوجل التى تحصل للمرء عند وجود السبب لها وترتفع بارتفاعه.

المرتبه الثانيه: هى الاتصاف بصفه ما ببطء وتكرار حتى ترسخ فى النفس إلى درجه (الملكه) فتصدر عن صاحبها بسهوله وسرعه دون تأمل أو رويه.

المرتبه الثالثه: هى اتصاف الإنسان بصفه وصلت إلى حد (الاتحاد) مع ذاته ولا تزول إلا بزوال الذات.

فالحاله الأولى لا يمكن أن نطلق عليها بأنها خلق لسرعه الاتصاف بها وسرعه زوالها، وأمّا الحاله الثانيه والثالثه هى المعنيّه بذلك وهى التى يصدق عليها بأنها (خلق) فالاتصاف بالخلق الفاضل هو الدين أو من الدين وهذا ما أكده النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«جاءَ رجُلٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِن بَينِ يَديهِ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، ما الدِّينُ؟ فقالَ:

حُسنُ الخُلقِ.

ثُمَّ أتاهُ عن يَمينِهِ فقالَ: ما الدِّينُ؟ فقالَ:

حُسنُ الخُلقِ.

ثُمَّ أتاهُ مِن قِبَلِ شِمالِهِ فقالَ: ما الدِّينُ؟ فقالَ:

حُسنُ الخُلقِ.

ثُمَّ أتاهُ مِن وَرائهِ فقالَ: ما الدِّينُ؟ فالْتَفَتَ إلَيهِ وقالَ:

أَمَا تَفْقَهُ؟! الدِّينُ هُو أنْ لا تَغْضَبَ»(۱).

فلذا صار الخلق وعاءً ومكانا مناسبا للدين وهذا ما اتصف به النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذى أفاض الله تعالى عليه نعمه النبوه وحباه بالوحى دون غيره لخلقه الرفيع الذى وصل إلى درجه أن ينال مدح الله تعالى وثناء المولى على العبد بقوله:

(وَإِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (۲).

مكارم الأخلاق فى نظر أهل البيت عليهم السلام

مكارم الأخلاق هبه يهديها الله تعالى لخلقه ترتفع بصاحبها إلى الدرجات العليا والمراتب الرفيعه، وهى درع واقيه ضد الآثام والدنس فلذا أكثر أهل البيت عليهم السلام من الحث عليها بأنواعه الآتيه:

۱ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«عَلَيكُم بمَكارِمِ الأخْلاقِ، فإنّ اللهَ عزّ وجلّ بَعثَنى بها، وإنَّ مِن مَكارِمِ الأخْلاقِ أنْ يَعْفُوَ الرّجُلُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، ويُعْطىَ مَن حَرمَهُ، ويَصِلَ مَن قَطعَهُ، وأنْ يَعودَ مَن لا يَعودُهُ»(۳).

۲ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«جَعلَ اللهُ سُبحانَهُ مَكارِمَ الأخْلاقِ صِلَةً بَينَهُ وبَينَ عِبادِهِ، فحَسْبُ أحَدِكُم أنْ يَتَمسّکَ بخُلقٍ مُتَّصِلٍ باللهِ»(۴).

۱- تنبيه الخواطر: ص۸۹. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۷۶، ح۵۰۳۰.

۲- سوره القلم، الآيه: ۴.

۳- أمالى الطوسى: ص۴۷۸، ح۱۰۴۲. ميزان الحكمه: ج۳، ص ۱۰۸۱ ۱۰۸۲، ح۵۰۶۱.س

۴- تنبيه الخواطر: ج۲، ص۱۲۲. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۸۲، ح۵۰۶۳.

۳ وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَهَبْ أنّهُ لا ثَوابَ يُرجى ولا عِقابَ يُتَّقى، أفَتَزْهَدونَ فى مَكارِمِ الأخْلاقِ؟!»(۱).

۴ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«ثابِروا على اقْتِناءِ المَكارِمِ»(۲).

وهناك الكثير من الأحاديث التى حثت البشريه على التحلى بهذه المكارم التى لا غنى عنها لعاقل متبصر ولا لأمه تنشد الحياه الحقيقيه، ولكى يتضح الأمر ويسعى المرء لنيل هذه المكارم لابد من الاطلاع عليها ومعرفتها، فلقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حديثان جمع فيهما أغلب مكارم الأخلاق وهما كما يلى:

۱ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ اللَّهَ تباركَ وتعالى خَصَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بمَكارِمِ الأخْلاقِ، فامْتَحِنوا أنفسَكُم؛ فإن كانتْ فِيكُم فاحْمَدوا اللَّهَ عزّ وجلّ وارغَبوا إلَيهِ فى الزّيادَهِ مِنها.

فذكَرَها عَشرَةٌ:اليَقينُ، والقَناعَهُ، والصَّبرُ، والشُّكرُ، والحِلْمُ، وحُسنُ الخُلقِ، والسَّخاءُ، والغَيرَهُ، والشَّجاعَهُ، والمُروءَهُ»(۳).

۲ وعنه عليه السلام:

«المَكارِمُ عَشْرٌ، فإنِ استَطَعْتَ أنْ تكونَ فيكَ فَلْتَكُنْ، فإنّها تَكونُ فى الرّجُلِ ولا تكونُ فى ولَدِهِ، وتكونُ فى ولَدِهِ ولا تكونُ فى أبيهِ، وتكونُ فى العَبدِ ولا تكونُ فى الحُرِّ: صِدْقُ البَأسِ، وصِدْقُ اللِّسانِ، وأداءُ الأمانَهِ، وصِلَهُ

۱- غرر الحكم: ۶۲۷۸. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۸۱، ح۵۰۶۰.

۲- غرر الحكم: ۴۷۱۲. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۷۹، ح۵۰۴۶.

۳- أمالى الصدوق: ص۱۸۴، ح۸. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۸۰، ح۵۰۵۲.

الرَّحِمِ، وإقْراءُ الضَّيفِ، وإطْعامُ السّائلِ، والمُكافأةُ على الصَنائِعِ، والتَّذَمُّمُ للجارِ، والتّذَمُمُ للصاحِبِ، ورأسُهُنَّ الحَياءُ»(۱).

وعنـد التأمـل فى هـذين الحـديثين نجـد الإمـام عليه السـلام يحث على رفض الشـک باطنـاً وظـاهراً، والرضـا بما قسم الله تعالى، والتحلى بعـدم الجزع ونبـذ الجزع ونبـذ الشـعور بالملـل لاسـيما فى الطاعـات، والعرفان بالجميل ومكافأه المنعم، والتحلى بضـبط النفس عنـد الغضب، والعشـره بالمعروف والتلبس بالآداب الجميله، والكرم والبـذل ابتـداءً أو عنـد السؤال، والحرص على الـدين والمعرض والمقـدسات، ورد العـادى والثبـات لـه، والفتـوه والشـيمه، وقـول الحقيقـه، والحفـاظ على أمانـات النـاس وإرجاعهـا، والتواصل مع القربى، وإكرام الضيف وحسن الجوار، والخجل من الله تعالى ومن الناس عند الإقدام على ما يخدش الحياء.

كمـا أن هنـاک صـفات أخرى عـدّها الأـئمه عليهم السـلام من مكارم الأخلاق كالعفو عن الظالم، ومواساه الرجل أخاه فى ماله، وذكر الله تعالى كثيرا.

نصائح

۱ هناک تلازم بين الخلق الحسن والعقل، وبين الخلق السيئ والجهل وهذا ما يحث على طلب الالهى لبناء (كما هو فى الأصل)

العقل وكماله لكى يتصف صاحبه بالخلق الحسن فلذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على ذلک بقوله:

«الخُلقُ المَحمودُ مِن ثِمارِ العقلِ، الخُلقُ المَذمومُ مِن ثِمارِ الجَهلِ»(۲).

۲ إذا كانت صوره المؤمن جميله فليحافظ على جمالها بحسن الخلق، يقولون

۱- الخصال: ص۴۳۱، ح۱۱.

۲- غرر الحكم: ۱۲۸۰ ۱۲۸۱. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۷۲، ح۴۹۹۳.

جمیلا فی الظاهر والباطن کما ورد ذلک فی سفینه البحار عن جریر بن عبد الله قال: قالَ لی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنّکَ امْرءٌ قَد أحْسَنَ اللهُ خَلْقَکَ فأحْسِنْ خُلقَکَ»(۱).

۳ إذا ادعی شخص الإیمان فانظر إلی ما یستند علیه هذا لإیمان فإن کان له خلق حسن فنعم السند وإلا فلا، وهذا أشار إلیه الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم:

«لَمّا خَلقَ اللهُ تعالی الإیمانَ قالَ: اللّهُمَّ قَوِّنی، فَقَوّاهُ بحُسنِ الخُلقِ والسَّخاءِ ولَمّا خَلقَ اللهُ الکُفرَ قالَ: ألّلهُمَّ قَوِّنی، فَقَوّاهُ بالبُخلِ وسُوءِ الخُلقِ»(۲).

۴ إذا رغبت فی ثواب القائمین والصائمین علیک بالخلق الحسن لتنال درجتهم وهذا ما أشار إلیه نبی الرحمه صلی الله علیه وآله وسلم:

«مَن حَسَّنَ خُلقَهُ بَلّغَهُ اللهُ درَجَهَ الصّائمِ القائمِ»(۳).

۵ إذا ضعفت نفسک عن العباده ولم تتوفر لک مستلزماتها کصحه البدن وعدم الغفله والنشاط البدنی والإقبال القلبی، لیس لک دواء لدائک إلّا حسن الخلق فلذا اسمع قول سید المرسلین فی ذلک إذ یقول:

«إنّ العَبدَ لَیَبلُغُ بحُسنِ خُلقِهِ عَظیمَ دَرَجاتِ الآخِرَهِ وشَرَفَ المَنازِل، وإنَّهُ لَضَعیفُ العِبادَهِ»(۴).

۶ إذا أردت لمیزانک أن یکون ثقیلا یوم توضع الموازین علیک بالتحلی بالخلق الحسن، وهذا ما صرح به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«ما مِن شَیءٍ أثقَلُ ما یُوضَعُ فی المِیزانِ مِن خُلقٍ حَسنٍ»(۵).

۱- سفینه البحار: ج۱، ص۴۱۰. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۷۳، ح۴۹۹۸.

۲- المحجّه البیضاء: ج۵، ص۹۰. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۷۲، ح۴۹۸۶.

۳- عیون أخبار الرضا علیه السلام: ج۲، ص۷۱، ح۳۲۸. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۷۴، ح۵۰۰۹.

۴- المحجّه البیضاء: ج۵، ص۹۳. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۷۴، ح۵۰۱۰.

۵- میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۷۴، ح۵۰۱۶. بحار الأنوار: ج۷۱، ص۳۸۳، ح۱۷.

أسئله مهمه

السؤال الأول: ما هی الصفات التی اتصف بها النبی صلی الله علیه وآله وسلم لکی ینال المدح الإلهی بقوله تعالی (وإنک لعلی خلق عظیم)؟.

الجواب: کان خلق رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم هو الانقیاد والطاعه والعبودیه التامه لربه سبحانه، وهذا ما ذکره الإمام الباقر علیه السلام فی قوله تعالی:

(وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ) (۱).

«هو الإسلامُ»(۲).

وکان خلقه القرآن کما ذکر ذلک الحسن البصری وقبله عائشه.

السؤال الثانی: من هو الذی سیجلس قریبا من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یوم القیامه ویکون محبوباً إلیه؟

الجواب: هذا ما أجاب عنه النبی صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«إنّ أحَبَکُم إلَیَّ وأقرَبَکُم مِنّی یَومَ القِیامَهِ مَجلِساً أحْسَنُکُم خُلقاً وأشَدُّکُم تَواضُعاً»(۳).

السؤال الثالث: ما هو تفسیر حسن الخلق؟

الجواب: ۱ أن تکون متواضعا لطیفا ذا رفق ورحمه، وأن لا تتکلم إلا بما یرضی الله تعالی ولیقع کلامک فی قلوب مستمعیک، وأن تعلو وجهک طلاقه وسماحه، فإن هذه الصفات هی التی یتجسد فیها حسن الخلق کما أخبر بذلک الإمام الصادق علیه السلام لَمّا سُئلَ عن حَدّ حُسنِ الخُلقِ قال:

۱- سوره القلم، الآیه: ۴.

۲- معانی الأخبار: ص۱۸۸، ح۱. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۷۵، ح۵۰۱۹.

۳- بحار الأنوار: ج۷۱، ص۳۸۵، ح۲۶.

«تَلينُ جانِبَک، وتُطيِّبُ کلامَک، وتَلْقى أخاک بِبِشْرٍ حَسَنٍ»(۱).

۲ الرضا بعطاء الله تعالی والقناعه به، وعـدم الغضب والانفعال عند عدم الحصول علی الدنیا، هکذا فسـر الرسول الأکرم صـلی الله علیه وآله وسلم حسن الخلق بقوله:

«إنّما تفسیرُ حُسنِ الخُلقِ: ما أصابَ الدُّنیا یَرْضی، وإنْ لَم یُصِبْهُ لَم یَسْخَطْ»(۲).

۳ التنزه عن المعاصـی وترک الانغماس فیها، والسعی فی طلب الرزق الحلال الطیب، وإکرام الزوجه والأولاد أو من تجب علیک إعالته، هذا مما عدّه أمیر المؤمنین من حسن الخلق بقوله:

«حُسنُ الخُلقِ فی ثَلاثٍ: اجْتِنابُ المَحارِمِ، وطَلَبُ الحَلالِ، والتَّوَسُّعُ علی العِیالِ»(۳).

السؤال الرابع: ما هو الممیز بین الفضائل والرذائل؟

الجواب: عـدم الإفراط أو التفریط هو الذی یسـبغ الأفعال والأقوال بالصـیغه الحسـنه، وبعکسه یقع القبح وتتشوه الصوره، ولا بأس أن نبین ذلک من خلال المثال:

إذا أردت أن تنفق فإن زاد عن حده فهو إسراف وإن قصر عن حده فهو بخل، وهکذا تجری القاعده فی الأمور الأخری، وخیر ما یؤکد ذلک قول الإمام العسکری علیه السلام إذ یقول:

«إنّ للسَّخـاءِ مِقْداراً فـإنْ زادَ علَیهِ فهُو سَـرَفٌ، وللحَزْمِ مِقْـداراً فـإنْ زادَ عَلَیهِ فهُو جُبْنٌ، وللاقْتِصادِ مِقْداراً فإنْ زادَ علیه فهُو بُخْلٌ، وللشَّجاعَهِ مِقْداراً فإنْ زادَ علَیهِ فهُو تَهوُّرٌ»(۴).

۱- معانی الأخبار: ص۲۵۳، ح۱. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۷۶، ح۵۰۲۷.

۲- کنز العمّال: ۵۲۲۹. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۷۶، ح۵۰۲۸.

۳- بحار الأنوار: ج۷۱، ص۳۹۴، ح۶۳. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۷۶، ح۵۰۲۹.

۴- بحار الأنوار: ۶۹، ص۴۰۷، ح۱۱۵.

السؤال الخامس: کیف نحکم علی من نعاشر؟

الجواب: ۱ ینصح أمیر المؤمنین علیه السلام من یرید أن یکوّن رأیاً عن صاحبه أن ینظر إلی أفعاله وصفاته فإن وجد صفه جیده فلینظر إلی الصفات الأخری هل ستکون بجانبها وهذا ما أشار إلیه الإمام علیه السلام بقوله:

«إذا کانَ فی رَجُلٍ خَلّهٌ رائقَهٌ فانْتَظِروا أخَواتِها»(۱).

۲ إذا لمست بخلاً ـ وسوء خلق من صاحبک فاحکم ببعده عن الإیمان، وذلک ما صرح به رسول الإنسانیه صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«خَصْلَتانِ لا تجْتَمعانِ فی مؤمنٍ: البُخلُ وسُوءُ الخُلقِ»(۲).

ثمرات حسن الخلق

اشاره

ما حثت الشرائع وما صدع الأنبیاء علیهم السلام بحسن الخلق إلا لما فیه من فوائد جمه علی مستوی الدنیا والآخره، ولقد تقدم بیان ثماره فی الآخره فی أحادیث متفرقه: کبلوغ صاحب الخلق الحسن درجه الصائمین والقائمین، والقرب من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم مجلسا یوم القیامه، وثقل المیزان بالحسنات والثواب الجزیل.

وأمّا ثماره فی الدنیا فهی کالآتی:

۱ ینال صاحبه سعه فی رزقه ویکثر أصدقاؤه کما قال ذلک الإمام علی علیه السلام:

«حُسنُ الخُلقِ یَزیدُ فی الرِّزقِ، ویُؤْنِسُ الرِّفاقَ»(۳).

۱- نهج البلاغه: الحکمه ۴۴۵. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۸۸، ح۵۱۲۳.
۲- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج۶، ص۳۳۷. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۸۵، ح۵۰۹۷.
۳- غرر الحکم: ۴۸۵۶. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۸۳، ح۵۰۷۶.

۲ قالوا إن دار الظالم خراب، وأقول إن دار سیئ الخلق مثله، ولکن دار من حسن خلقه عامره بأهلها وبنائها، وعمر سیئ الخلق قصیر مبتور، وعمر حسن الخلق طویل فی طاعه الله تعالی، ولذا نجد الإمام الصادق علیه السلام یقول:

«إنَّ البِرَّ وحُسنَ الخُلقِ یَعْمُرانِ الدِّیارَ، ویَزیدانِ فی الأعْمارِ»(۱).

۳ إذا سر العاقل أن یکون محبوبا ومحترما عند الناس، فما علیه إلا أن یکون ملتزما بحسن الخلق، فإن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول:

«حُسنُ الخُلقِ یُثَبِّتُ المَودَّه»(۲).

سوء الخلق فی نظر أهل البیت علیهم السلام

تقدم الکلام عن حسن الخلق ومکارمه فی نظر أهل البیت علیهم السلام فکان کلاما یسر العقول ویشنف الأسماع ویقوی القلوب ویبعث علی التنافس فی المکارم، فحسن الخلق طیب یتعطر به المؤمنون، وتاج یتزین به العقلاء، ودرع یتوقی بها مجاهدوا النفوس، ووسیله یتقرب بها المتقربون، وجلباب یتجلبب به أهل الحیاء، ودرجه یرتقی بها أهل العلو والرفعه، وفضل یمنّ به المحسنون، وعدل یحکم به الحاکمون، وبر یبذله أهل المعروف، ورضا تقنع به النفوس، واطمئنان تتحلی به القلوب، وأنس یأنس به الأصحاب.

وأمّا سوء الخلق! مرض یصیب الجاهلین، ونتانه یفر منها أهل الذوق، ودناءه للنفوس، وتسافل فی الدرجات، وفساد للعمل الصالح، وقرین مانع للخیر، ووحشه للأهل والأحباب، وحاجب عن التوبه، وغم لا ینجلی، وهم لا ینکشف، وعذاب لا یزول إلا بزوال صاحبه، ونکد للعیش، وبعد عن الله تعالی، وجفوه للدین، ومخالفه لسید المرسلین صلی الله علیه وآله وسلم، وترک لسیره المعصومین علیهم السلام وسبیل إلی النار.

۱- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص ۳۹۵، ح ۷۳. میزان الحکمه: ج ۳، ص ۱۰۸۳، ح ۵۰۷۷.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۱۴۸، ح ۷۱. میزان الحکمه: ج ۳، ص ۱۰۸۴، ح ۵۰۸۰.

آثار سوء الخلق

اشاره

بعـد هـذا الوصف الـذی وصف أهل البیت علیهم السـلام فیه سوء الخلق نجد أنفسـنا فی غنی عن ذکر آثاره ولکن لیطمئن قلب القارئ بذکر بعض أحادیث أهل بیت العصمه علیهم السلام الذین حذروا من سوء الخلق وبیّنوا سوء عواقبه:

۱ ورد عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنّ العَبدَ لَیَبلُغُ من سُوءِ خُلقِهِ أسْفَلَ دَرَکِ جهنَّمَ»(۱).

۲ قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«ألا أُخبِرُکُم بأبعَدِکُم مِنّی شَبَهاً؟

قالوا: بلی یا رسولَ اللهِ، قال:

الفـاحِشُ المُتَفَحِّشُ البَـذیءُ، البَخیلُ، المُخْتالُ، الحَقودُ، الحَسودُ، القاسِـی القَلبَ، البَعیـدُ مِن کُلِّ خَیرٍ یُرجی، غَیرُ المَأمونِ مِن کُلِّ شَرٍّ یُتَّقی»(۲).

۳ عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أنّه قال:

«الخُلقُ السَّیِّئُ یُفسِدُ العَملَ کما یُفسِدُ الخَلُّ العسَلَ»(۳).

۴ ورد عن أمیر المؤمنین علیه السلام:

«مَن ساءَ خُلقُهُ أعْوَزَهُ الصَّدیقُ والرَّفیقُ»(۴).

وقال علیه السلام:

«مَن ساءَ خُلقُهُ ضاقَ رِزْقُهُ»(۵).

۱- المحجّه البیضاء: ج۵، ص۹۳. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۸۶، ح۵۱۰۱.

۲- الکافی: ج۲، ۲۹۱، ح۹. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۸۶ ۱۰۸۷، ح۵۱۱۰.

۳- الکافی: ج۲، ۳۲۱، ح۱. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۸۴، ح۵۰۸۶.

۴- غرر الحکم: ۹۱۸۷. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۸۶، ح۵۱۰۵.

۵- غرر الحکم: ۸۰۲۳. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۰۸۶، ح۵۱۰۶.

۵ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«سُوءُ الخُلقِ شَرُّ قَرينٍ»(۱).

وعنه عليه السلام:

«سُوءُ الخُلقِ نَكَدُ العَيْشِ وعذابُ النَّفْسِ»(۲).

وقال عليه السلام أيضا:

«سُوءُ الخُلقِ يُوحِشُ النَّفسَ، ويَرفَعُ الأُنْسَ»(۳).

۶ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَن ساءَ خُلقُهُ عَذّبَ نَفْسَهُ»(۴).

الحلم

أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى صفه لا غنى عنها فى الحياه الدنيا لاسيما عند معاشره اللؤماء والجاهلين، فهذه الصفه تظهر بتمامها فى اسم الحليم الذى هو من أسماء الله تعالى الحسنى، إلا أن تفسير هذه الصفه التى يتصف بها الله تعالى غير تفسيرها عندما يتصف بها العبد، ولكى يتضح الأمر بدرجه أكثر لابد من التعرض لمعرفه مفهوم الحلم لغه واصطلاحا.

الحلم فى اللغه: هو ترك العجله، الصفح والستر، هو الأناه وضبط النفس، حَلُم: تأنى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدره وقوه(۵).

۱- غرر الحكم: ۵۵۶۷. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۸۵، ح۵۰۸۹.

۲- غرر الحكم: ۵۶۳۹. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۸۵، ح۵۰۹۰.

۳- غرر الحكم: ۵۶۴۰. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۸۵، ح۵۰۹۱.

۴- بحار الأنوار: ۷۸، ص۲۴۶، ح۶۲. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۰۸۶، ح۵۱۰۲.

۵- المعجم الوسيط: ص۱۹۴.

الحلم فی الاصطلاح: هو السیطره علی النفس عند هیجان الغضب وضبطها عن الانتقام مع القدره علیه دون أن یستلزم ذلک الذل والهوان.

وصف أهل البیت علیهم السلام الحلم بأنه من الفضائل التی یتجمل به صاحبه، ویتخذ منه واقیاً من الإصابه بالبلایا والعواقب الوخیمه، بل هو من لوازم الإیمان وکمال العقول، وهو علامه الاتزان، وسبب تکوّن العشیره، ودلاله علی عباده صاحبه، ووسیله لسیادته علی غیره، وطریقه للانتصار علی العدو، ورد للسفیه، ومدعاه للسلم.

بحث عقائدی

غضب وحلم الله تعالی

تقدم الکلام عن أن الحلم هو الأناه وضبط النفس والسکن عند الغضب، فلذا ورد فی الآیات الکریمه والأحادیث الشریفه ما یصرح بأن الله سبحانه یتصف بالحلم ویتسمی بالحلیم کما فی قوله تعالی:

(وَلَا جُنَاحَ عَلَیْکُمْ فِیمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَهِ النِّسَاءِ أَوْ أَکْنَنْتُمْ فِی أَنْفُسِکُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّکُمْ سَتَذْکُرُونَهُنَّ وَلَکِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَهَ النِّکَاحِ حَتَّی یَبْلُغَ الْکِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ مَا فِی أَنْفُسِکُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِیمٌ) (۱).

وفی قوله تعالی:

(إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا یُضَاعِفْهُ لَکُمْ وَیَغْفِرْ لَکُمْ وَاللَّهُ شَکُورٌ حَلِیمٌ)(۲).

۱- سوره البقره، الآیه: ۲۳۵.

۲- سوره التغابن، الآیه: ۱۷.

وهناك الكثير من الآيات الأخرى التی تصرح بذلک، کما ورد أيضا فی الأحاديث الشريفه، عن النبی صلی الله عليه وآله وسلم، من دعائه فی يوم الأحزاب:

«إلهی أنت الحليم الذی لا يجهل»(١).

وورد أيضا عن الإمام الکاظم عليه السلام فی صفه الله تعالی قوله:

«الحليم الذی لا يعجل»(٢).

ومما لا شک فيه أن الاتصاف بالحلم لا يأتی إلا بعد غضب يعتری الساکن فيهيج بسببه فيبادر إلی رد فعل عنيف أو يحاول ضبط نفسه والسيطره علی سلوکه، فيلزم من ذلک حدوث تغير فی حاله، ولکن لا تجری هذه التغيرات فی الله سبحانه لاستحاله قيام الحوادث وطرئها علی ذاته سبحانه لأنه واجب الوجود، ولکی يتضح الأمر جليا لابد من الوقوف علی معنی الغضب الإلهی سوالحلم الإلهی.

قبل الاطلاع علی معنی الغضب الإلهی لابد أن نعرف أن الله تعالی يغضب علی عباده العصاه کما ورد ذلک فی کثير من الآيات الشريفه کما فی قوله تعالی:

(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّهُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْکَنَهُ ذَلِکَ بِأَنَّهُمْ کَانُوا يَکْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِکَ بِمَا عَصَوْا وَکَانُوا يَعْتَدُونَ) (٣).

وفی قوله تعالی:

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (٤).

١- بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج ٩١، ص ٢١٢، ح ٧.

٢- موسوعه العقائد الإسلاميه، محمد الريشهری: ج ۴، ص ١٥٢، ح ۴۴۴٣.

٣- سوره آل عمران، الآيه: ١١٢.

۴- سوره النساء، الآيه: ٩٣.

وقوله تعالی:

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غضَبِى وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَى) (۱).

وهناک الکثیر من الآیات الأخری التی تصرح بذلک فراجع.

ورد فی الحدیث الشریف عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم ما یؤکد ذلک کما فی قوله صلی الله علیه وآله وسلم لما سأله رجل: أُحِبُّ أن أكُونَ آمِناً مِن سَخَطِ اللهِ قال:

«لا تَغضَبْ على أحَدٍ تَأمَنْ غَضَبَ اللهِ وسَخَطَهُ»(۲).

وورد عن الإمام الباقر علیه السلام أن الغضب مذکور فی التوراه أیضا کما فی قوله علیه السلام:

«مَكتوبٌ فی التَّوراهِ...: يا موسى، أمسِكْ غَضَبَكَ عَمَّن مَلَّكتُكَ علَيهِ، أكُفَّ عنكَ غَضَبی»(۳).

وما ذکره السید المسیح علیه السلام یؤکد أن الأدیان السماویه تشیر إلی أن الله تعالی یغضب ویحل غضبه علی من یستحقه کما فی قوله علیه السلام:

(لَمّا سألَهُ الحَوارِيُّونَ: أيُّ الأشياءِ أشَدُّ؟: أشَدُّ الأشياءِ غَضَبُ اللهِ.

قالوا: فيما يُتَّقى غَضَبُ اللهِ؟، قال: بأن لا تَغضَبُوا)(۴).

بعد أن عرفنا بموجب الآیات الکریمه والأحادیث الشریفه أن الله تعالی یغضب

۱- سوره طه، الآیه: ۸۱.

۲- کنز العمّال: ۴۴۱۵۴. میزان الحکمه: ج۷، ص۳۰۰۹، ح۱۵۰۵۲.

۳- الکافی: ج۲، ص۳۰۳، ح۷. میزان الحکمه: ج۷، ص۳۰۰۸، ح ۱۵۰۵۰.

۴- مشکاه الأنوار: ص۲۱۹. میزان الحکمه: ج۷، ص۳۰۰۸، ح ۱۵۰۵۱.

على من يستحق الغضب وينزل غضبه على ذلك العاصى المستحق لهذا الغضب وعرفنا من خلال الآيات التى تقدم ذكرها فى ذكر صفه الحلم بأنه تعالى يتصف بالحلم ويصف نفسه سبحانه بالحليم، فبعد هذا صار من الضرورى أن نعرف المعنى الحقيقى لغضب الله تعالى وحلمه على عباده فنقول:

عرف أهل اللغه الغضب بأنه: البغض وحب الانتقام من المبغوض(۱).

وجاء فى المعجم الوسيط، غضب عليه غضبا: سخط عليه وأراد الانتقام منه، الغضب: استجابه لانفعال تتميز بالميل إلى الاعتداء(۲).

الغضب فى الاصطلاح: هو هياج يعترى الإنسان يدفعه إلى رد فعل عنيف.

ولو تأملنا ما تقدم من معان للغضب لا نجدها تصلح للإنطباق على الغضب الإلهى لما فيها من فساد عقائدى فلم يبقَ لنا إلا أن نطرق باب أهل بيت العصمه عليهم السلام ليعرفونا المعنى الحقيقى لغضب الله تعالى.

لقد ورد من محاوره بين رجل يدعى (عمرو بن عبيد) والإمام الصادق عليه السلام فى ذلك وهى كالآتى:

قال عمرو بن عبيد: أخبرنى (جعلت فداك) عن قوله جل ذكره:

(وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَى) (۳).

ما غضب الله؟

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«غضب الله عقابه يا عمرو، ومن ظن أن الله يغيره شىء فقد كفر».

۱- المنجد الأبجدى: ص۷۳۷.

۲- المعجم الوسيط: ص۶۵۴.

۳- سوره طه، الآيه: ۸۱.

وورد فی توحید الصدوق: (أن أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن علی السکری، قال: حدثنا محمد بن زکریا الجوهری، عن جعفر بن عماره، عن أبیه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد علیه السلام فقلت له: یابن رسول الله أخبرنی عن الله عز وجل هل له رضا وسخط؟ فقال:

«نعم ولیس ذلک علی ما یوجد فی المخلوقین ولکن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه»)(۱).

وعند التأمل فی هذین الحدیثین الشریفین یتضح لنا المعنی الحقیقی ل(غضب الله تعالی) ولیس هو إلا عقابه أو عذابه ولیس ثوره وهیاجاً وتغییراً لاستحاله ذلک فی الذات الإلهیه.

وأمّا المعنی الحقیقی لحلم الله تعالی هو الغض عن معاصی العباد، وأنه لا یعجل فی مؤاخذتهم، بل یمهل ولا یهمل أی یرجئ العقوبه إلی حین آخر بحکمته، وهذا ما أکده رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«أوصی الله عز وجل إلی أخی العزیز.. لا تأمن مکری حتی تدخل جنتی، فاهتز عزیز یبکی، فأوصی الله إلیه لا تبک یا عزیز، فإن عصیتنی بجهلک غفرت لک بحلمی، لأنی کریم لا أعجل بالعقوبه علی عبادی وأنا أرحم الراحمین»(۲).

خلاصه الکلام: أن الغضب الإلهی هو العقاب والعذاب ولیس هیاجا أو فوره دم تعالی الله عن ذلک علوا کبیرا، وأمّا الحلم فهو تأخیر العقوبه وإرجاؤها إلی حین ولیس سکنا وهدوءاً وضبط نفس لاستحاله اتصافه بذلک لأنه تعالی لیس محلاً لطروء الحوادث أو التغیر.

۱- کتاب التوحید للصدوق: ص ۱۷۰.

۲- موسوعه العقائد الإسلامیه: ج ۲، ص ۱۵۱.

الحلم فی نظر أهل البیت علیهم السلام

اشاره

الحلم هـذه الصـفه التی لا یسـتغنی عنها العقلاء فسـرها أهل البیت علیهم السـلام بأنها الربط الشدیـد لفوهه النفس لکی لا یخرج غضبها والسیطره والاستیلاء علی القلب عندما تعصف به فوره الدم ولذلک قال الإمام الحسن علیه السلام وقد سئل عن الحلم:

«کظم الغیظ وملک النفس»(۱).

ویری الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام الحلم بأنه القدره علی الاحتمال بقوله:

«کمال العلم الحلم، وکمال الحلم کثره الاحتمال والکظم»(۲).

بل یدعو الإمام إلی أن یترجم الحلیم حلمه إلی تجلد وسکوت کما فی قوله علیه السلام:

«الحلم کالصبر والصمت»(۳).

ویشیر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلی زاویه أخری لیعرف لنا الحلم بالعشره الهادئه التی یضطر إلیها الإنسان عند ابتلائه بلئیم أو أحمق أو سیئ العشره ولذا نجده یقول صلی الله علیه وآله وسلم:

«لَیسَ بِحَلیمٍ مَن لَم یُعاشِرْ بالمَعروفِ مَن لابُدَّ لَهُ مِن مُعاشَرَتِهِ حَتّی یَجعَلَ اللهُ لَهُ مِن ذلک مَخرَجاً»(۴).

ویری الإمام الباقر علیه السلام أن دفع الشر والضرر من أفراد الحلم الذی یحتاج عند الابتلاء بذلک کما فی قوله علیه السلام:

«لَیسَ الحَلیمُ الّذی لا یَتّقی أحَداً فی مکانِ التَّقوی»(۵).

۱- تحف العقول لابن شعبه الحرانی: ص۲۲۵.

۲- موسوعه العقائد الإسلامیه: ج۲، ص۴۱۲، ۲۹۱۳.

۳- المصدر السابق.

۴- کنز العمّال: ۵۸۱۵. میزان الحکمه: ج۲، ص۹۱۰، ح۴۳۴۸.

۵- الکافی: ج۸، ص۵۵، ح۱۶. میزان الحکمه: ج۲، ص۹۱۰، ح۴۳۵۰.

آثار الحلم

لا شک أن لکل فضیله یتصف بها الإنسان من ثمرات دنیویه وأخرویه جزاءً لما اتصف به ومن تلک الفضائل فضیله الحلم التی تعود علی صاحبها بثمرات لا غنی عنها لمن أراد الرفعه والموده کما یلی:

۱ التحلی بالحلم یوجب السیاده والتقدم علی الآخرین کما جاء ذلک علی لسان أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«مَنْ حَلُمَ سادَ»(۱).

۲ ومن ینشد السلامه والابتعاد عن الدخول فی الاختلافات التی توقع الضرر فلیتصف بالحلم عند تعامله مع الآخرین کما دل علی ذلک قول إمام الموحدین علیه السلام:

«السِّلْمُ ثمره الحلمِ»(۲).

۳ إذا دخل المرء فی أزمه مع غیره إلی درجه العداء وکان راغبا فی الانتصار علیه فلیتحلی بالحلم لینال مبتغاه کما أشار إلی ذلک أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«مَن حَلُمَ عن عَدُوِّهِ ظَفِرَ بهِ»(۳).

۴ ومن أراد الأمان والاطمئنان فی الآخره من غضب الله تعالی فلیلتزم بالحلم عندما یغضب فی الدنیا وهذا ما أکده إمام المتقین علیه السلام بقوله:

«الحِلمُ عِندَ شِدَّهِ الغَضَبِ یُؤمِنُ غَضَبَ الجَبّارِ»(۴).

۱- بحار الأنوار: ج۷۷، ص۲۰۸، ح۱. میزان الحکمه: ج۲، ص۹۰۹، ح۴۳۳۴.

۲- غرر الحکم: ۹۰۱. میزان الحکمه: ج۲، ص۹۰۹، ح۴۳۳۵.

۳- کنز الفوائد: ج۱، ص۳۱۹. میزان الحکمه: ج۲، ص۹۰۹، ح۴۳۳۸.

۴- غرر الحکم: ۱۷۷۶. میزان الحکمه: ج۲، ص۹۱۰، ح۴۳۴۶.

أسئله مهمه

السؤال: إذا كنت معتادا على الغضب ولم أستطع أن أملك نفسى فما هو العلاج؟

الجواب: ينصح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتدريب النفس على الحلم حتى يصل صاحبها إلى الاتصاف بالحلم وهذا ما صرح به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إنْ لَم تَكُن حَليماً فَتَحَلَّمْ؛ فإنَّهُ قَلَّ مَن تَشَبَّهَ بقَومٍ إلاّ أوْشَكَ أنْ يكونَ مِنهُم»(۱).

السؤال: وصف القرآن الكريم إبراهيم بأنه حليم فى قوله تعالى:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) (۲).

ووصف الله تعالى بأنه حليم أيضا فى قوله تعالى:

(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (۳).

فكيف يصح تسميه إبراهيم عليه السلام باسم من الأسماء الحسنى المختصه بالله تعالى؟

الجواب: ۱ إن الله تعالى متصف بالحلم بمعنى تأخير العقوبه دون حدوث انفعال فى ذاته المقدسه، بينما يتصف إبراهيم عليه السلام بالحلم بعد حدوث انفعال فى ذاته.

۲ الله تعالى حليم بالاستقلال دون تعلم أو تربيه تلقاهما من أحد، وأمّا إبراهيم عليه السلام فهو حليم بتأديب الله تعالى له.

۱- نهج البلاغه: الحكمه ۲۰۷. ميزان الحكمه: ج۲، ص۹۰۷، ح۴۳۱۸.

۲- سوره هود، الآيه: ۷۵.

۳- سوره البقره، الآيه: ۲۳۵.

السؤال: كيف نميّز بين الحليم والجبان؟

الجواب: إذا اقترن السكون وضبط النفس بالقدره على الرد والانتقام فصاحبه حليم وإذا فقد القدره على الرد فهو عجز وجبن وذل.

السؤال: ورد فى القرآن الكريم قوله تعالى:

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (۱).

فهل هناك علاقه بين العلم والحلم؟

الجواب: لا نستطيع أن نتصور عالماً لا يتحلى بالفضائل لاسيما بفضيله الحلم لما لهذه الفضيله من أهميه فى حياه العلماء الذين أخذوا على أنفسهم تعليم الجاهلين والصبر على إرشادهم وتحمل نزفهم وهذا لا يتم إلا بالتحلى بصفه الحلم، وما جاء عن أهل البيت عليهم السلام ما أكد هذا المعنى كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«والّذى نَفْسى بِيَدِهِ، ما جُمِعَ شَىءٌ إلى شَىءٍ أفضَلَ مِن حِلمٍ إلى عِلمٍ»(۲).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام الذى يشير إلى أن العلم لا يعطى فائده ترجى إلا إذا ازدوج مع الحلم كما فى هذا الحديث الشريف:

«لَن يُثْمِرَ العِلمُ حتّى يُقارِنَهُ الحِلمُ»(۳).

وأكد الإمام الباقر عليه السلام أن اللباس الذى يلبسه العلماء هو الحلم فلذلك يقول:

«الحِلمُ لِباسُ العالِمِ، فلا تَعْرَيَنَّ مِنهُ»(۴).

۱- سوره النساء، الآيه: ۱۲.

۲- كنز العمال: ۵۸۲۹. ميزان الحكمه: ج۲، ص ۹۱۱، ح ۴۳۶۲.

۳- غرر الحكم: ص ۷۴۱۱. ميزان الحكمه: ج۲، ص ۹۱۱، ح۴۳۵۸.

۴- الكافى: ج۸، ص۵۵، ح۱۶. ميزان الحكمه: ج۲، ص ۹۱۱، ح۴۳۵۶.

الوفاء

الوفاء فضيله وعلامه تدل على أن صاحبها من أهل المعروف والرفعه والعلو لما فيها من آثار حميده في الدنيا والآخره، والاتصاف بالوفاء يتم عن نفس عزيزه تحترم عهودها وأقوالها وعقودها وشروطها، وهي لباس المؤمنين قبل غيرهم فلذا نجد القرآن الكريم في آيات متعدده أكد على ضروره الاتصاف بالوفاء بل أمر بذلك كما في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) (۱).

وقوله تعالى:

(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (۲).

ولكي يطّلع القارئ الكريم على مفهوم الوفاء لابد من معرفه معنى الوفاء لغه واصطلاحاً:

الوفاء في اللغه: وفى فلان نذره: آداه، وفى بعهده: عمل به، وفى فلانا حقه: أوفاه إياه(۳).

الوفاء في الاصطلاح: هو حفظ العهد وعدم نقضه، والالتزام بالوعد وتحقيقه وامضاء العقود وعدم الرجوع فيها دون مسوّغ.

إذن الوفاء وسيله لدرء صفه الغدر القبيحه، وعلامه على إيمان المؤمن، وردع

۱- سوره المائده، الآيه: ۱.

۲- سوره الإسراء، الآيه: ۳۴.

۳- المعجم الوسيط: ص۱۰۴۷.

لـدفع الازدراء والانتقاص، وجمال يزين الأخوّه، ورفعه بين الناس، وأحـد الأسـس الـدينيه، وركن من الأركان الأخلاقيه، وعنوان للمودّه، وقرين للصدق.

لقد حثت الشـريعه الإسـلاميه على ضـروره الوفاء بالعهد والعقد والشـرط والوعد، وأشارت الأحاديث الشـريفه إلى هذه الفضـيله وسموها كما فى الأحاديث الآتيه:

۱ قال الإمام على عليه السلام:

«الكَرَمُ فَضلٌ، الوَفاءُ نُبلٌ»(۱).

۲ وعنه عليه السلام:

«الوَفاءُ تَوأمُ الصِّدقِ»(۲).

۳ وعنه عليه السلام:

«بِحُسنِ الوفاءِ يُعرَفُ الأبرارُ»(۳).

وهناك بعض الأحاديث التى تشير إلى منزله صاحب هذه الفضيله كما فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أقرَبُكم غَداً مِنّى فى المَوقِفِ أصدَقُكم لِلحَديثِ، وأدّاكُم لِلأمانَهِ، وأوفاكُم بالعَهدِ، وأحسَنُكُم خُلقاً، وأقرَبُكم مِن النّاسِ»(۴).

وحديث آخر يصـرح أن الوفاء سـببٌ فى جعل صاحبه من المصـطفين عند الله تعالى وعند الناس كما فى قوله أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ أحْسَنَ الوَفَاءَ اسْتَحَقَّ الاصْطِفَاءَ»(۵).

۱- غرر الحكم: ۱۳. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۷۹۶، ح ۲۲۲۷۶.
۲- غرر الحكم: ۲۷۱. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۷۹۶، ح ۲۲۲۷۴.
۳- غرر الحكم: ۴۳۳۱. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۷۹۷، ح ۲۲۲۸۱.
۴- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۹۴، ح ۱۲. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۷۹۵ ۴۷۹۶، ح ۲۲۲۶۳.
۵- غرر الحكم: ۸۶۹۰. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۷۹۷، ح ۲۲۲۸۳.

سؤال مهم

السؤال: إذا لزم من الوفاء تفويت مصلحه ما، فهل يجوز لنا ترکه؟

الجواب: لا یجوز ذلک أخلاقیا وفقهیا حسب ما ورد عن العلماء الأعلام.

وقفه

اشاره

أخبرنا القرآن الکریم أن الله تعالی لا یخلف المیعاد کما جاء فی قوله تعالی:

(إِنَّ اللَّهَ لَا یُخْلِفُ الْمِیعَادَ) (۱).

وقوله تعالی:

(رَبَّنَا إِنَّکَ جَامِعُ النَّاسِ لِیَوْمٍ لَا رَیْبَ فِیهِ إِنَّ اللَّهَ لَا یُخْلِفُ الْمِیعَادَ) (۲).

وسیفی لمن وعده بالثواب علی عمله الصالح وهذا ما وهذا ما صرح به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«مَن وَعَدَهُ اللهُ علی عَمَلٍ ثَواباً فهُو مُنجِزُهُ لَهُ، ومَن أوعَدَهُ علی عَمَلٍ عِقاباً فهُو فِیهِ بالخِیارِ»(۳).

وأکد هذا القول أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«أفِیضُوا فی ذِکرِ اللهِ فإنَّهُ أحسَنُ الذِکرِ، وارغَبوا فیما وَعَدَ المُتَّقینَ فإنَّ وَعدَهُ أصدَقُ الوَعدِ»(۴).

وما هذا الالتزام بتحقیق الوعد إلا وفاء لما وعدنا به، وفی هذه الآیات الکریمه والأحادیث الشریفه تربیه لنا علی ضروره الوفاء بالوعد، إن الوعد دین فی ذمه صاحبه،

۱- سوره الرعد، الآیه: ۳۱.

۲- سوره آل عمران، الآیه: ۹.

۳- التوحید: ص۴۰۶، ح۳. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۷۳۴، ح۲۱۹۴۹.

۴- نهج البلاغه: الخطبه ۱۱۰. میزان الحکمه: ج۱۱، ص۴۷۳۴، ح۲۱۹۵۱.

وحق يجب الوفاء به كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«العده دين ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف ويل لمن وعد ثم أخلف».

وما هذا التشديد على الوفاء بالوعد إلا علامه على سمو ورفعه الأخلاق الإسلاميه.

ولكى نرى عظمه الإسلام من خلال هذه الفضيله لابد أن نطلع على ما قاله أئمه المسلمين عليهم السلام بالحق فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يصور لنا حاله عند إعطائه وعداً لأحد الناس بقوله:

«ما باتَ لِرجُلٍ عِنـدى مَوعِدٌ قَطُّ فباتَ يَتَمَلْمَلُ على فِراشِهِ لِيَغدوَ بالظَّفَرِ بحاجَتِهِ، أشَدَّ مِن تَمَلمُلى على فِراشـى حِرصاً علَى الخُروجِ إلَيهِ مِن دَينِ عِدَتِهِ، وخَوفاً مِن عائقٍ يُوجِبُ الخُلفَ؛ فإنّ خُلفَ الوَعدِ لَيسَ مِن أخلاقِ الكِرامِ»(۱).

ونردف قول أمير المؤمنين عليه السـلام بقول الإمـام الصـادق عليه السـلام الـذى ينقل لنا ما أصاب رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم من جراء التزامه بوعد قطعه لرجل فيقول:

«إنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم واعَدَ رجُلاً إلَى الصَّخرَهِ فقالَ: أنا لکَ ها هُنا حتّى تَأتیَ، قالَ: فاشتَدَّتِ الشَّمسُ علَيهِ.

فقالَ لَهُ أصحابُهُ: يا رسولَ اللهِ، لو أنَّکَ تَحَوَّلتَ إلَى الظِّلِّ! قالَ:

وَعَدتُهُ إلى هاهُنا وإن لَم يَجِئْ كانَ مِنهُ المَحشَرُ»(۲).

فيتضح مما تقدم ضروره الالتزام بالوعد والوفاء به حتى لو لحق بصاحبه الضرر.

۱- غرر الحكم: ۹۶۹۲. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۷۳۵، ح ۲۱۹۵۹.

۲- مكارم الأخلاق: ج ۱، ص ۶۴، ح ۶۳. ميزان الحكمه: ج ۱۱، ص ۴۷۳۶، ح ۲۱۹۷۱.س

نصیحه معصومیه

یعلم أهل بیت العصمه علیهم السلام أن بعض الناس قد یخلف الوعد ویترک الوفاء به اضطرارا دون إرادته بسبب عدم قدرته علی إنجاز الوعد فلذا أکدوا علی ترک الوعد عند العلم بعدم القدره علی الوفاء به کما فی الأحادیث الآتیه:

قال الإمام علی علیه السلام:

«لا تَعِدَنَّ عِدَهً لا تَثِقُ مِن نَفسِکَ بإنجازِها»(۱).

وقال الإمام الصادق علیه السلام:

«لا تَعِدَنَّ أخاکَ وَعداً لَیسَ فی یَدِکَ وَفاؤُهُ»(۲).

وعن الإمام الکاظم علیه السلام قال لِرجلٍ قالَ لَهُ: عِدْنی :

«کَیفَ أعِدُکَ وأنا لِما لا أرجو أرجی مِنّی لِما أرجو؟!»(۳).

الاستکبار

اشاره

هذه الصفه من الصفات العجیبه إذ إنها رذیله من جهه وکمال من جهه أخری، فهی رذیله بلحاظ العبد وکمال بلحاظ المولی جل وعلا، فالکبر رداء الله تعالی فلا یحق لغیره منزاعته رداءه والتشبه به، بل أن العبد بذاته الفقیره المحتاجه لا یلیق به أن یکون مستکبرا، فإن فعل ذلک فهو ناشئ من جهله وحماقته، وهذا ما فعله إبلیس فاستحق علی أثره الطرد والتصغیر کما فی قوله تعالی:

(قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا یَکُونُ لَکَ أَنْ تَتَکَبَّرَ فِیهَا فَاخْرُجْ إِنَّکَ مِنَ الصَّاغِرِینَ)(۴).

۱- غرر الحکم: ۱۰۲۹۷. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص۴۷۳۷، ح۲۱۹۷۳.سس

۲- بحار الأنوار: ج۷۸، ص ۲۵۰، ح۹۴. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص۴۷۳۷، ح ۲۱۹۷۴.

۳- کتاب الفقیه: ج۳، ص۱۶۵، ح ۳۶۱۰. میزان الحکمه: ج ۱۱، ص۴۷۳۷، ح۲۱۹۷۵.

۴- سوره الأعراف، الآیه: ۱۳.

ولذا لابد من معرفه هذه الصفه الذهبیه لغه واصطلاحا:

استکبر فی اللغه: امتنع عن قبول الحق معانده وتکبرا، والکبر: العظمه والتجبر(۱).

الاستکبار فی الاصطلاح: هو التعالی علی الآخرین وإعطاء قدرٍ لنفسه فوق قدر الغیر.

فالتکبر خلق إبلیس الذی کان سببا فی طرده من رحمه الله تعالی، فلا یصح لعاقل أن یتصف بهذه الصفه الذمیمه لما لها من عاقبه وخیمه وهذا ما أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«إیّاکَ والکِبرَ؛ فإنّهُ أعظَمُ الذُّنوبِ وألأمُ العُیوبِ، وهُو حِلیَهُ إبلیسَ»(۲).

وهذه الصفه الذمیمه لها آثار وخیمه ندرجها کما یلی:

۱ التکبر یوجب ضیاع الأعمال الصالحه کما فی قول سید المتقین علیه السلام:

«فاعتَبِرُوا بما کانَ مِن فِعلِ اللهِ بإبلیسَ، إذ أحبَطَ عَمَلَهُ الطَّویلَ وجَهدَهُ الجَهیدَ... عن کِبْرِ ساعَهٍ واحِدَهٍ! فَمن ذا بَعدَ إبلیسَ یَسلَمُ علَی اللهِ بمثلِ مَعصیَتِهِ؟!»(۳).

۲ التکبر یوجب نقصان العقل کما فی قول الإمام الباقر علیه السلام:

«ما دَخَلَ قَلبَ امرِئٍ شیءٌ مِن الکِبرِ إلاّ نَقَصَ مِن عَقلِهِ مِثلُ ما دَخَلَهُ مِن ذلکَ، قَلَّ ذلک أو کَثُرَ»(۴).

۳ عاقبه التکبر ویکتب صاحبه فی سجل الطغاه الظلمه کما فی قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

۱- لسان العرب: ج۵، ص۱۲۶.

۲- غرر الحکم: ۲۶۵۲. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۵۰۸، ح۱۷۲۰۶.

۳- نهج البلاغه: الخطبه ۱۹۲. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۵۰۸، ح۱۷۲۰۸.

۴- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۱۸۶، ح۱۶۳. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۵۰۹، ح۱۷۲۱۴.

«لا يَزالُ الرجُلُ يَتكَبَّرُ ويَذهَبُ بنَفسِهِ حتّى يُكتَبَ فى الجَبّارِينَ، فَيُصِيبُهُ ما أصابَهُم»(۱).

۴ يُبعد صاحبه عن دار النعيم كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا أبا ذَرٍّ، مَن ماتَ وفى قَلبِهِ مِثقالُ ذَرَّهٍ مِن كِبرٍ لم يَجِدْ رائحَهَ الجَنَّهِ إلاّ أن يَتوبَ قبلَ ذلكَ»(۲).

فوائد

عند تأمل الأحاديث الشريفه التى وردت عن أهل البيت عليهم السلام تظهر لنا بعض الفوائد العلميه فيما يرتبط بالتكبر وهى كما يلى:

۱ إن التكبر صفه قد تصيب حتى الفقير المعدم إذا كان ذا قلب خالٍ من الخير كما صرح بذلك الإمام الصادق عليه السلام:

«الكِبرُ قد يكونُ فى شِرارِ الناسِ مِن كُلِّ جِنسٍ.. إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَرَّ فى بَعضِ طُرُقِ المَدينَهِ، وسَوداءُ تَلقُطُ السرقِينَ، فقيلَ لها: تَنَحّى عن طريقِ رَسولِ اللهِ، فقالَت: إنّ الطَّريقَ لَمَعرضُ، فَهَمَّ بها بعضُ القَومِ أن يَتناوَلَها، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: دَعُوها، فإنَّها جَبّارَهٌ»(۳).

۲ قد يكون تباعد بعض الناس عمن تباعد عنه تكبرا ولكن هناك من يتباعد عمن هو متباعد عنه احتراما لنفسه ورفعا لها عن الابتذال كما أشار إليه الإمام على عليه السلام فى قوله فى صِفهِ المُتَّقينَ :

۱- كنز العمّال: ۷۷۴۹. ميزان الحكمه: ج۸، ص۳۵۰۹، ح۱۷۲۲۱.

۲- بحار الأنوار: ج۷۷، ص۹۰، ح۳. ميزان الحكمه: ج۸، ص۳۵۱۱ ۳۵۱۲، ح۱۷۲۳۳.

۳- بحار الأنوار: ج۷۳، ص۲۰۹، ح۲. ميزان الحكمه: ج۸، ص۳۵۰۸، ح۱۷۲۱۳.

«بُعدُهُ عمَّن تَباعَدَ عَنهُ زُهدٌ ونَزاهَةٌ، ودُنُوُّهُ مِمَّن دَنا مِنهُ لِينٌ ورَحمَةٌ، لیسَ تَباعُدُهُ بکِبرٍ وعَظَمهٍ، ولا دُنُوُّهُ بمَکرٍ وخَديعَهٍ»(١).

۳ لم يسمح الله تعالى لأحد بالتكبر لأن الكبرياء لباسه وحده الذى لا يليق إلا به سبحانه كما فی قول إمام المتقين عليه السلام:

«الحَمدُ لِلّهِ الذى لَبِسَ العِزَّ والکِبرياءَ، واختارَهُما لنَفسِهِ دونَ خَلقِهِ، وجَعَلَهُما حِمًى وحَرَماً على غيرِهِ واصطَفاهُما لِجَلالِهِ»(٢).

۴ إذا كان قلب المرء عارفا بالله تعالى ولكنه محبٌ للجمال فيتظاهر به فليس هذا من التكبر بشیء وهذا ما دل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يَدخُلُ الجَنَّهَ مَن كانَ فی قَلبِهِ مِثقالُ ذَرَّهٍ مِن کِبرٍ، فقالَ رَجلٌ: إنّ الرجُلَ يُحِبُّ أن يكونَ ثَوبُهُ حَسَناً ونَعلُهُ حَسَنهً! قالَ: إنَّ اللّهَ جَميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الکِبرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ الناسِ»(٣).

۵ إن للكبر ظاهراً وباطناً فأمّا الظاهر ما ظهر على الجوارح وأمّا الباطن ما كان فی قلبه أنه يرى نفسه فوق الغير.

۶ كل متكبر لا يتكبر إلا بسبب شعوره بالنقص كما دل على ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا مِن رَجُلٍ تَکَبَّرَ أو تَجَبَّرَ إلا لِذِلَّهٍ وَجَدَها فی نفسِهِ»(۴).

١- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٣. ميزان الحكمه: ج٨، ص ٣۵١٠، ح١٧٢٢٢.
٢- نهج البلاغه: الخطبه ١٩٢. شرح نهج البلاغه لابن أبی الحديد: ج١٣، ص١٢٧. ميزان الحكمه: ج٨، ص ٣۵١٠، ح١٧٢٢٧.
٣- الترغيب والترهيب: ج٣، ص۵۶٧، ح٣١. ميزان الحكمه: ج٨، ص٣۵١٢، ح١٧٢٣۴.
۴- الكافی: ج٢، ص٣١٢، ح١٧. ميزان الحكمه: ج٨، ص٣۵١٧، ح١٧٢۶٢.

۷ من أراد معالجه هذه الصفه الذميمه فعليه أن ينظر إلى عظمه الله تعالى ويحقر نفسه أمام عظمه ربه بالطاعات والعبادات كما أرشد إلى ذلك الإمام الحسن عليه السلام بقوله:

«لا يَنبغى لِمَن عَرَفَ عَظَمَهَ اللهِ أن يَتَعاظَمَ، فإنّ رِفعَهَ الذينَ يَعلَمونَ عَظَمَهَ اللهِ أن يَتَواضَعُوا، و(عِزَّ) الذينَ يَعرِفُونَ ما جَلالُ اللهِ أن يَتَذَلَّلوا (لَهُ)»(۱).

۸ ومن معالجه الكبر ممارسه الحاجات باليد دون الاعتماد على خادم أو غلام أو أحد أفراد الأسره فإن ذلك مما يخرج الكبر من النفس وهذا ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«مَن حَلَبَ شاتَهُ ورَقَعَ قَميصَهُ وخَصَفَ نَعلَهُ وواكَلَ خادِمَهُ وحَمَلَ مِن سُوقِهِ، فَقَد بَرِئَ مِن الكِبرِ»(۲).

۹ إذا أردت العلو والرفعه فعليك بالتواضع هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَن تَواضَعَ لِلهِ دَرَجَةً يَرفَعْهُ اللهُ دَرَجَةً حتّى يَجعَلَهُ اللهُ فى أعلى عِلِّيِّينَ، ومَن تكبَّرَ علَى اللهِ دَرَجَةً يَضَعْهُ اللهُ دَرجَةً حتّى يَجعَلَهُ فى أسفلِ سافِلينَ»(۳).

۱۰ تذكر أن المتكبر لا يحشر كما يحشر الناس بل سيكون أصغر شيء حتى يسحق بأقدام أهل المحشر كما ورد ذلك فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يُحشَرُ الجَبّارُونَ المُتَكَبِّرُونَ يَومَ القِيامَهِ فى صُوَرِ الذَّرِّ، يَطَؤهُم الناسُ لِهَوانِهِم علَى اللهِ تعالى»(۴).

۱– بحار الأنوار: ج۷۸، ص۱۰۴، ح۳.

۲– كنز العمال: ۷۷۹۴. ميزان الحكمه: ج۸، ص ۳۵۲۰، ح۱۷۲۷۷.

۳– الترغيب والترهيب: ج۳، ص ۵۶۰، ح۶. ميزان الحكمه: ج۸، ص۳۵۲۳، ح ۱۷۳۰۰.

۴– المحجّه البيضاء: ج۶، ص۲۱۵. ميزان الحكمه: ج۸، ص۳۵۲۳، ح۱۷۳۰۲.

السفه

کل جمیل فی باطنه یرغب أن یکون ذا ظاهر جمیل أیضا فیسعی لنیل الفضائل ویجاهد نفسه لیتحلی بها، ومن هذه الفضائل التی یتمنی المرء التحلی بها الوقار والاتزان والتعقل وهذه الفضائل لا تجتمع مع السفه فی حال من الأحوال لاسیما إذا عرفنا أن السفه کما ورد فی کتب اللغه:

الخفه والطیش والجهل وعدم الحلم ورداءه الخلق(۱).

وأمّا ما اصطلح علیه فالسفه: هو سلوک بعید عن العقل والعلم والاحترام یسقط صاحبه من أعین الناس، فلذلک صار سببا فی نفره الأصدقاء والأحبه کما قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إیّاکَ والسَّفَهَ؛ فإنّهُ یُوحِشُ الرِّفاقَ»(۲).

بل قد یکون مدعاه لشتم صاحبه وإلحاق الضرر به کما قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«السَّفَهُ مِفتاحُ السِّبابِ»(۳).

وفی قول آخر:

«السَّفَهُ یَجلِبُ الشرَّ»(۴).

بل للسفه آثار وخیمه تدعو العاقل للهروب من هذه الصفه القبیحه.

۱- المعجم الوسیط: ص۳۴۳. المنجد الأبجدی: ص۵۵۲.
۲- غرر الحکم: ۲۶۵۵. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۷۵۴، ح۸۶۴۲.
۳- غرر الحکم: ۳۱۳. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۷۵۴، ح۸۶۴۳.
۴- غرر الحکم: ۸۳۴. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۷۵۴، ح۸۶۴۴.

أسئله مهمه

السؤال: ما هو معنی السفه فی نظر أهل البیت علیهم السلام؟.

الجواب: وصف أهل البیت علیهم السلام بعض الناس الذین یسلکون سلوکا مشینا من خلال معاشره الوضیع والدونی، أو من یرتکب جریمه شرب المسکر کما فی قول الإمامین الحسن والباقر علیهما السلام إذ یقول الإمام الحسن علیه السلام، لما سئل عن السفه:

«اتِّباعُ الدُّناهِ ومُصاحَبَهُ الغُواهِ»(۱).

وقال الإمام الباقر علیه السلام فی قوله تعالی:

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَکُمْ (۲).

«کُلُّ مَن یَشرَبُ المُسکِرَ فَهُوَ سَفِیهٌ»(۳).

السؤال: ما هی علامه السفیه؟.

الجواب: للسفیه علامات یعرف من خلالها وهی کما یلی:

۱ یتجاوز علی من هو أقل رتبه أو مقاما، وینقاد ویطیع لمن هو أعلی منه رتبه ومقاما کما فی قول الإمام الصادق علیه السلام:

«إنَّ السَّفَهَ خُلقٌ لَئِیمٌ،یَستَطِیلُ علی مَن (هو) دُونَهُ، ویَخْضَعُ لِمَن (هو) فَوقَهُ»(۴).

۲ السفیه من یبذر الأموال ویجهل التصرف بها کما دل علی ذلک قول الإمام أبی عبد الله علیه السلام عندما سأله سنان: وما السَّفیهُ؟

۱- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۱۰۴، ح۲. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۷۵۵، ح۸۶۵۳.

۲- سوره النساء، الآیه: ۵.

۳- تفسیر العیّاشی: ج۱، ص۲۲۰، ح۲۲. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۷۵۵، ح۸۶۵۴.

۴- الکافی: ج۲، ص۳۲۲، ح۱. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۷۵۵، ح۸۶۵۵.

فقال علیه السلام:

«الذی یَشتَری الدِّرهَمَ بِأضعافِهِ»(۱).

السؤال: کیف نتعامل مع السفیه؟.

الجواب: هناک مجموعه إرشادات وآداب للتعامل مع السفیه صدرت عن أهل البیت علیهم السلام وهی کالآتی:

۱ قابل السفیه بسعه الصدر وعدم الوقوع فی الغضب کما قال الإمام علی علیه السلام:

«مَن غاظَکَ بِقُبحِ السَّفَهِ عَلَیْکَ، فَغِظهُ بِحُسنِ الحِلمِ عَنهُ»(۲).

۲ ترک الرد علی مخاطبه السفیه وترک العتب معه لما فیه من ضرر کبیر، وهذا ما أشار إلیه الإمام علی علیه السلام:

«مَن عَذَلَ سَفیهاً فقد عَرَّضَ للسَّبِّ نَفسَهُ»(۳).

بحث عقائدی

الغلو

الغلو انحراف عقائدی وزلل أخلاقی یذهب بصاحبه إلی حیث الابتعاد عن الإنصاف ومجانبه الحقیقه، بل یسلک بقلب من ابتلی به فی طریق الدنس والقذاره ویسیر بعقل المتوهم فی طریق الاعوجاج والتعثر، فلذا نجد القرآن الکریم حذر أهل الکتاب من هذا البلاء الفاقر للعقل والدین بقوله تعالی:

(یَا أَهْلَ الْکِتَابِ لَا تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَی اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

۱- تهذیب الأحکام: ج۹، ص۱۸۲، ح۷۳۱. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۷۵۵، ح۸۶۵۶.
۲- غرر الحکم: ۸۶۲۰. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۷۵۵، ح۸۶۵۸.
۳- غرر الحکم: ۹۱۷۱. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۷۵۶، ح۸۶۶۰.

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) (۱).

أي لا تضعوا عيسى بن مريم فوق ما وضعه ربه ولا تصفوه بغير ما وصفه فإن فعلكم هذا خلاف الدين الذى أراده الله تعالى لكم، فجعلكم المسيح عليه السلام إلها يعبد مع الله تعالى هو عين الزيغ لاسيما وأنتم تعلمون أن المسيح عليه السلام بشر محتاج يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق فكيف يرتقى إلى الغنى المطلق وهذا المعنى أكده القرآن الكريم بقوله تعالى:

(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (۷۹) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (۲).

الإمام الحسين عليه السلام يحذر من الغلو

وصف الإمام الحسين عليه السلام الغلو بأنه مشكله عويصه لا حل لها إلا بالتخلص من أسبابه فلذا نجده عليه السلام يقول:

«والغلوّ ورطه».

ولكى يتضح لنا معنى قول الإمام عليه السلام لابد من معرفه مفهوم الغلو لغه واصطلاحا:

۱- سوره النساء، الآيه: ۱۷۱.

۲- سوره آل عمران، الآيتان: ۷۹ و ۸۰.

الغلو لغه: الزیاده والارتفاع ومجاوزه الحد، وغلو المرء فی الدین تشدد وجاوز الحد وأفرط(۱).

الغلو اصطلاحا: تجاوز الحد الذی بینته الشریعه وفرضه العقل فی العقائد والتکالیف الدینیه.

فالغلو یجعل العقیده فاسده ویخیب أمل صاحبه إذ یتوهم أنه ینال القرب الإلهی من خلال اعتقاده بهذه الطریقه، ولأن الاعتقاد أو التخلق بصفه ما لابد أن یکون بعیدا عن الإفراط والتفریط جاءت الأحادیث الشریفه تتری لتبیّن انحراف المرء الذی یغالی فی عقیدته أو فی أخلاقه کما ورد عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«رَجُلانِ لا تَنالُهُما شَفاعَتی: صاحِبُ سُلطانٍ عَسوفٌ غَشومٌ، وغالٍ فی الدِّینِ مارِقٌ»(۲).

ثم رکزت الأحادیث التی صدرت عن النبی وأهل بیته الکرام صلوات الله علیهم علی الغلو کونه خروجاً عن الجاده المستقیمه والرأی الصائب، بل هو ابتعاد عن الإسلام کما صرح بذلک رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«صِنْفَانِ مِن أُمَّتِی لَا نَصِیبَ لَهُمَا فی الإِسْلَامِ: الغُلَاهُ وَالقَدَرِیَّهُ»(۳).

الشیعه براء من الغلو

اتهم الکثیرون الشیعه بأنهم یغالون فی عقیدتهم بإمامه أهل البیت علیهم السلام وبدأوا بإطلاق الأحکام الجائره علیهم فتاره یصفونهم بالکفر وأخری بالیهود وثالثه بالشرک کما جاء ذلک فی بعض کتب القوم کقول:

۱- المعجم الوسیط: ص۶۶.

۲- بحار الأنوار: ج۲۵، ص۲۶۹، ح۱۳. میزان الحکمه: ج۷، ص۳۰۴۲، ح ۱۵۲۵۰.

۳- بحار الأنوار: ج۲۵، ص ۲۷۰، ح۱۴. میزان الحکمه: ج۷، ص۳۰۴۲، ح ۱۵۲۵۱.

الـدكتور الشـعيبى (وأول هـذه الفكره فكره الغلو نـادى بهـا أصـحاب حجر بن عـدى الـذين قتلوا صـبرا بسـبب تكفيرهم للخليفه عثمان، وامتناعهم عن البراءه من الإمام على عليه السلام. ويقول صاحب الملل (والغلاه من الشيعه مذهبهم الحلول)(۱).

إلاـ أن الشـيعه براء من ذلـک، بل أنهم ملتزمون بأوامر أهل البيت عليهم السـلام التى تنهى عن الغلو وتصف المغالين بالكفر كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام:

«الغلاه كفار والمفوضه مشركون...»(۲).

سؤال مهم

السؤال: هنـاک روايـات فى كتب معينه تصوّر أمير المؤمنين عليه السـلام بأنه يمارس دور الإله سـبحانه كالتصوير فى الأرحام أو توزيع الأرزاق أو غير ذلك مما هو معروف بالصفات الأفعاليه، فما هو قولكم؟

الجواب: رد أهل البيت عليهم السلام على من يقول مثل ذلك القول بالأحاديث الآتيه:

۱ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«يَهلِكُ فِيَّ رَجُلانِ: مُحِبٌّ مُفرِطٌ يُقَرِّظُنى بما ليسَ لى، ومُبغِضٌ يَحمِلُهُ شَنَآنى على أن يَبهَتَنى»(۳).

۲ عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«مَن تَجاوَزَ بأميرِ المؤمنينَ عليه السلام العُبوديَّةَ فهُو مِن المَغضوبِ علَيهِم ومِنَ الضالِّينَ»(۴).

۱- الملل والنحل، الشهرستانى: ج ۱، ص۱۰۸.

۲- عيون أخبار الرضا للصدوق: ج ۱، ص۲۱۹، ح۴.

۳- بحار الأنوار: ج۲۵، ص۲۸۵، ح۳۷. ميزان الحكمه: ج۷، ص۳۰۴۳، ح۱۵۲۵۶.

۴- بحار الأنوار: ج۲۵، ح۲۷۴، ح ۲۰. ميزان الحكمه: ج۷، ص۳۰۴۴، ح۱۵۲۶۵.

۳ وعن الإمام الصادق علیه السلام عندما سأله أبو بصیر، قال: عن أبی بصیر قال: قلتُ لأبی عبدِ اللهِ علَیهِ الصَّلاهُ والسلامُ: إنّهم یقولونَ! قال علیه السلام:

«وما یَقولونَ؟».

قلتُ: یقولونَ: یَعلَمُ قَطْرَ المَطَرِ، وعَدَدَ النُّجومِ ووَرَقَ الشَّجَرِ، ووَزنَ ما فی البَحرِ، وعَددَ التُّرابِ، فَرَفَعَ یَدَهُ إلَی السَّماءِ وقالَ علیه السلام:

«سبحانَ اللهِ سبحانَ اللهِ، لا واللهِ ما یَعلمُ هذا إلّا اللهُ»)(۱).

إلا أننا نرى أن فضل أهل البیت علیهم السلام لا یدانیه فضل بعد جدهم المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم فلذلک قالوا بعض الأحادیث التی تخرج الإنسان عن حد الإفراط والتفریط کقول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إیّاکُم والغُلُوَّ فِینا، قُولُوا إنّا عَبِیدٌ مَربُوبُونَ، وقُولوا فی فَضلِنا ما شِئتُم»(۲).

وقوله علیه السلام:

«لا تَتَجاوَزوا بنا العُبودِیَّهَ ثُمّ قُولوا ما شِئتُم ولن تَبلُغُوا، وإیّاکُم والغُلُوَّ کَغُلُوِّ النَّصاری؛ فإنّی بَریءٌ مِن الغالِینَ»(۳).

وقول الإمام المهدی علیه السلام لمحمّد بن هلالٍ الکرخی:

«یا محمّدُ بنَ علیٍّ، تعالَی اللهُ عَزَّ وجلَّ عمّا یَصِفُونَ، سبحانَهُ وبِحَمدِهِ، لیسَ نَحنُ شُرَکاءَهُ فی عِلمِهِ، ولا فی قُدرَتِهِ»(۴).

هذا الحدیث الشریف یؤکد عدم جواز القول بألوهیه أهل البیت علیهم السلام أو أداء أفعال الله تعالی.

۱- بحار الأنوار: ج۲۵، ص۲۹۴، ۵۲. میزان الحکمه: ج۷، ص۳۰۴۵، ح ۱۵۲۷۱.

۲- الخصال: ص۶۱۴، ح ۱۰. میزان الحکمه: ج۷، ص۳۰۴۵، ح۱۵۲۶۷.

۳- بحار الأنوار: ج۲۵، ص۲۷۴، ح ۲۰. میزان الحکمه: ج۷، ص۳۰۴۵، ح۱۵۲۶۸.

۴- بحار الأنوار: ج۲۵، ص۲۶۶، ح۹. میزان الحکمه: ج۷، ص۳۰۴۵، ح۱۵۲۷۳.

بحث أخلاقی

الفِسق

اشاره

ورد ذکر هـذه الدنیه فی الکتاب الکریم بأنها ارتکاب المنکر وفعل المحرمات وتجاوز الحدود وترک حکم الحق سبحانه وظلم العباد وإفساد البلاد وإنکار الکتب السماویه وعدم الإیمان بالأنبیاء والرسل، ولکی نقف علی بعض الآیات الکریمه التی ذکر فیها الفسق وصفا لعمل الحرام وذم الغاسقین لانحرافهم عن الشریعه الحقه فلابد أن نبوّب هذه الآیه الکریمه کالآتی:

۱ ذکر الفسق وصفا لفعل الحرام کما فی قوله تعالی:

(حُرِّمَتْ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَهُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِیرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَیْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَهُ وَالْمَوْقُوذَهُ وَالْمُتَرَدِّیَهُ وَالنَّطِیحَهُ وَمَا أَکَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَکَّیْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِکُمْ فِسْقٌ الْیَوْمَ یَئِسَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ دِینِکُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلَامَ دِینًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِی مَخْمَصَهٍ غَیْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ) (۱).

۲ ذکر الفسق وصفا لآکلی اللحم غیر المذکی کما فی قوله تعالی:

(وَلَا تَأْکُلُوا مِمَّا لَمْ یُذْکَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَیْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّیَاطِینَ لَیُوحُونَ إِلَی أَوْلِیَائِهِمْ لِیُجَادِلُوکُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّکُمْ لَمُشْرِکُونَ) (۲).

۳ ذکر الفسق وصفا للقذارات والنجاسات التی یجب التنزه عنها کما فی قوله تعالی:

(قُلْ لَا أَجِدُ فِی مَا أُوحِیَ إِلَیَّ مُحَرَّمًا عَلَی طَاعِمٍ یَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ یَکُونَ مَیْتَهً أَوْ دَمًا

۱- سوره المائده، الآیه: ۳.

۲- سوره الأنعام، الآیه: ۱۲۱.

مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(۱).

۴ ذکر الفسق وصفا للذین لم یؤمنوا بما جاء به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کما فی قوله تعالی:

(وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)(۲).

۵ ذکر الفسق وصفا للذین لم یحکموا بالشریعه الإسلامیه کما فی قوله تعالی:

(وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(۳).

۶ ذکر الفسق وصفا للمنافقین فی قوله تعالی:

(كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ)(۴).

وقال الله عزّ وجل:

(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(۵).

۷ ذکر الفسق وصفا للذین لم یؤمنوا بالله ورسوله فی قوله تعالی:

۱- سوره الأنعام، الآیه: ۱۴۵.

۲- سوره البقره، الآیه: ۹۹.

۳- سوره المائده، الآیه: ۴۷.

۴- سوره التوبه، الآیه: ۸.

۵- سوره التوبه، الآیه: ۶۷.

(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ)(۱).

وهناک الکثیر من الآیات الکریمه التی یضیق بذکرها المقام ترکناها للاختصار.

الفسق والفاسق فی نظر أهل البیت علیهم السلام

الحدیث عن الفسق والفاسقین فی القرآن الکریم کثیر بعدد الفاسقین فی الأرض إلا أننا نرید أن نطلع علی حدیث العدل الثانی للقرآن ألا وهم أهل بیت العصمه والطهاره علیهم السلام، فلقد جاء عن الإمام الصادق علیه السلام بیانٌ لمفهوم الفسق وتوضیحٌ لصفه الفاسق کما فی قوله علیه السلام:

«ومَعنَی الفِسقِ: فَکُلُّ مَعصیَهٍ مِنَ المَعاصِی الکِبارِ فَعَلَها فاعِلٌ، أو دَخَلَ فیها داخِلٌ بِجِهَهِ اللذَّهِ والشَّهوَهِ والشَّوقِ الغالِبِ، فهُو فِسقٌ وفاعِلُهُ فاسِقٌ خارِجٌ مِنَ الإیمان بجِهَهِ الفِسقِ، فإن دامَ فی ذلکَ حتّی یَدخُلَ فی حَدِّ التّهاوُنِ والاستِخفافِ، فقد وَجَبَ أن یکونَ بِتَهاوُنِهِ واستِخفافِهِ کافِراً»(۲).

وورد عن النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم قول یدل علی الفاسق ویشیر إلیه، فهو الإنسان الذی یلهو بما حرم الله تعالی والذی یتعاطی الکلام المحرم کالغناء أوالخوض فی الباطل، والذی یتجاوز حدود الله تعالی ویعتدی علی عباده ظلما وطغیانا، والذی یکیل التهم الباطله لغیره کما فی قوله صلی الله علیه وآله وسلم:

«أمّا علامَهُ الفاسِقِ فأربَعهٌ: اللهوُ واللغوُ والعُدوانُ والبُهتانُ»(۳).

وحذر أمیر المؤمنین علیه السلام من الانقیاد والامتثال لأوامر المتکبرین وإن کانوا

۱- سوره التوبه، الآیه: ۸۴.

۲- بحار الأنوار: ج۶۸، ص۲۷۸، ح۳۱. میزان الحکمه: ج۸، ص ۳۲۱۰، ح۱۵۹۱۳.

۳- تحف العقول: ص۲۲. میزان الحکمه: ج۸، ص ۳۲۱۱، ح۱۵۹۱۴.

من ساده وقاده القوم لما فی ذلک من أثر سیئ کما فی قوله علیه السلام:

«ألا فالحَـذَرَ الحَـذَرَ مِن طاعَهِ ساداتِکُم وکُبرائکُمُ الذینَ تَکَبَّروا عَن حَسَـبِهِم، وتَرَفَّعُوا فَوقَ نَسَـبِهِم... فإنَّهُم قَواعِدُ أساسِ العَصبیَّهِ، ودَعائمُ أرکانِ الفِتنَهِ... وهُم أساسُ الفُسُوقِ، وأحلاسُ العُقوقِ»(۱).

ووصف الإمام علی علیه السـلام الفاسق بأنه یفعل الحرام برغبه ومحبه دون نفور وتردد بل یبقی ملازما للحرام حتی یصیبه الوهن وتعطله الشیخوخه کما قال علیه السلام:

«آثَرُوا عاجِلًا وأخَّروا آجِلًا، وتَرَکُوا صافِیاً وشَرِبُوا آجِناً، کَأنِّی أنظُرُ إلی فاسِقِهِم وقد صَحِبَ المُنکَرَ فَألِفَهُ، وبَسِئَ بِهِ ووافَقَهُ، حتّی شابَت عَلَیهِ مَفارِقُهُ، وصُبِغَت بِهِ خلائقُهُ»(۲).

آثار الفسق

عند تأمل الآیات الکریمه فی القرآن الکریم نقف علی العواقب السیئه للفسق، وهی کما یلی:

۱ الفسق یوجب هلاک الأمم وعذاب الدنیا قبل الآخره کما فی قوله تعالی:

(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِکَ قَرْیَهً أَمَرْنَا مُتْرَفِیهَا فَفَسَقُوا فِیهَا فَحَقَّ عَلَیْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِیرًا)(۳).

۲ الفسق یوجب الدخول فی جهنم کما فی قوله تعالی:

(وَأَمَّا الَّذِینَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ کُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِیدُوا فِیهَا وَقِیلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ)(۴).

۱- نهج البلاغه: الخطبه ۱۹۲. میزان الحکمه: ج۸، ص ۳۲۱۱، ح۱۵۹۱۵.

۲- نهج البلاغه: الخطبه ۱۴۴. میزان الحکمه: ج۸، ص ۳۲۱۱، ح۱۵۹۱۶.

۳- سوره الإسراء، الآیه: ۱۶.

۴- سوره السجده، الآیه: ۲۰.

۳ الفسق یوجب العذاب الشدید الذی یجعل الطغاه والجبابره أذلاء کما فی قوله تعالی:

(وَیَوْمَ یُعْرَضُ الَّذِینَ کَفَرُوا عَلَی النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَیِّبَاتِکُمْ فِی حَیَاتِکُمُ الدُّنْیَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْیَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا کُنْتُمْ تَسْتَکْبِرُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَبِمَا کُنْتُمْ تَفْسُقُونَ)(۱).

۴ الفسق یوجب سقوط العذاب من السماء علی الفاسقین کما فی قوله تعالی:

(فَبَدَّلَ الَّذِینَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَیْرَ الَّذِی قِیلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا کَانُوا یَفْسُقُونَ)(۲).

۵ الفسق یوجب عدم الثقه بصاحبه کما فی قوله تعالی:

(یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَکُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَیَّنُوا أَنْ تُصِیبُوا قَوْمًا بِجَهَالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلَی مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِینَ)(۳).

۶ الفسق یوجب الضلال وعدم الهدایه والإیمان کما فی قوله تعالی:

(إِنَّ اللَّهَ لَا یَسْتَحْیِی أَنْ یَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِینَ آَمَنُوا فَیَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِینَ کَفَرُوا فَیَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا یُضِلُّ بِهِ کَثِیرًا وَیَهْدِی بِهِ کَثِیرًا وَمَا یُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِینَ)(۴).

وقوله تعالی:

(ذَلِکَ أَدْنَی أَنْ یَأْتُوا بِالشَّهَادَهِ عَلَی وَجْهِهَا أَوْ یَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَیْمَانٌ بَعْدَ أَیْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

۱- سوره الأحقاف، الآیه: ۲۰.

۲- سوره البقره، الآیه: ۵۹.

۳- سوره الحجرات، الآیه: ۶.

۴- سوره البقره، الآیه: ۲۶.

وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِی الْقَوْمَ الْفَاسِقِینَ)(۱).

۷ الفسق یوجب عدم قبول الأعمال کما فی قوله تعالی:

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ کَرْهًا لَنْ یُتَقَبَّلَ مِنْکُمْ إِنَّکُمْ کُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِینَ)(۲).

۸ الفسق یوجب عدم رضی الله تعالی عن الفاسقین:

(یَحْلِفُونَ لَکُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا یَرْضَی عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِینَ)(۳).

۹ یکون الفاسق بمنزله فرعون وقومه کما فی قوله تعالی:

(اسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضَاء مِنْ غَیْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَیْکَ جَنَاحَکَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِکَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّکَ إِلَی فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ کَانُوا قَوْمًا فَاسِقِینَ)(۴).

۱۰ الفسق یوجب الخزی یوم القیامه کما فی قوله تعالی:

(مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِینَهٍ أَوْ تَرَکْتُمُوهَا قَائِمَهً عَلَی أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِیُخْزِیَ الْفَاسِقِینَ)(۵).

۱۱ الفسق یوجب زیغ القلوب وانحرافها عن الحق کما فی قوله تعالی:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَی لِقَوْمِهِ یَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِی وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفَاسِقِینَ)(۶).

۱- سوره المائده، الآیه: ۱۰۸.

۲- سوره التوبه، الآیه: ۵۳.

۳- سوره التوبه، الآیه: ۹۶.

۴- سوره القصص، الآیه: ۳۲.

۵- سوره الحشر، الآیه: ۵.

۶- سوره الصف، الآیه: ۵.

الخطبه الخامسه: وفيها يذمّ الدّنيا ويحذّر منها

اشاره

خطبها غداه اليوم الذى استشهد فيه، حمدَ الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال:

نص الخطبه

اشاره

(يا عِبادَ اللهِ، اتّقُوا اللهَ، وكُونُوا مِن الـدُّنيا عَلى حَـذَرٍ، فإنَّ الـدُّنْيا لو بقِيَتْ عَلى أحَـدٍ أو بَقى عليها أحَـدٌ لَكانَتِ الأنْبياءُ أحَقَّ بالبَقاءِ، وَأوْلَى بالرِّضاء، وَأرْضى بالقَضاءِ؛ غيرَ أنَّ الله تعالى خَلَقَ الدُّنيا للفَناءِ، فَجَديدُها بالٍ، وَنَعِيمُها مُضْمَحِلٌّ، وَسُرُورُها مُكْفَهِرٌّ، والمَنْزِلُ تَلْعَهٌ، والدَّارُ قُلْعَه، فَتَزَوَّدُوا فإنَّ خيرَ الزادِ التَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُون).

المعنى العام

يـا أيهـا الخاضـعون والمنقادون والمملوكون لله تعالى، اخشوا الله تعالى، كونوا من الـدنيا متيقظين ومحترزين، إن الـدنيا لو دامت وثبتت لأحـد أو دام وثبت عليها أحـد لكانت مجموعه الأنبياء أحق من غيرهم بالدوام والخلود، وأجدر بالقبول والاختيار، وأشـد قبولا بالحكم، إلا أن الله تعالى صـنع الـدنيا وأبـدعها للانتهاء والإباده، فالحـديث أو الطرى من الـدنيا يصـبح قديما وعتيقا ويعفى عليه الزمن، وطبب عيشـها ورفاهيتها قليل متلاشٍ، وفرصـها منقبض كالـح لا يرى فيه أثر بشـر ومكان النزول عميق مخيف والدار دار ارتحـال وعـدم اسـتقرار، اتخـذوا زاداً لمعـادكم وأن أفضل الزاد هى خشـيه الله تعالى وطاعته، وبهـذا الزاد تصـلون إلى الفوز والنجاح.

بحث أخلاقی

ذم الدنیا

عنـدما نتأمـل الآیـات الکریمه والأحـادیث الشـریفه نشـعر بـأن لسانها لسان ذم واستصـغار، ونلمس فی کثرتها شـده التحـذیر من الاغترار بها والانتماء فی شـهواتها والافتتان بزبرجـدها، فهذه الدنیا لا تساوی عند الله تعالی جزءً من مخلوق ضـعیف کما فی قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«لو أنّ الدنیا کانَت تَعدِلُ عند اللهِ عَزَّ وجلَّ جَناحَ بَعوضَهٍ ما سَقَی الکافِرَ والفاجرَ مِنها شَربَهً مِن ماءٍ»(۱).

فلـذا یتوجب علی العقلاء أن یحتقروا هـذه الـدنیا الدنیه التی صارت میدانا لمعصـیه المولی المنعم جل ذکره والتی قطع فی حبها رأس نبی الله یحیی بن زکریا علیه السـلام ورأس سـید شـباب أهل الجنه علیه السلام فداروا به فی البلدان، ولهذه الدنیا المذمومه مجموعه خصائص تمیزها عن الدنیا المباحه التی لا ینالها لسان الذم والتحذیر وهی کما یلی:

۱ إذا کانت توجب الاغترار.

۲ إذا کانت توجب الخسران.

۳ إذا کانت توجب الخروج عن سلوک العقلاء.

۴ إذا کانت توجب عدم الصفاء والاستقرار.

۵ إذا کانت توجب الشر والباطل.

۶ إذا کانت توجب الذل والهوان.

۱– أمالی الطوسی: ص۵۳۱، ح۱۱۶۲. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۲۲۴، ح۵۹۵۴.

وهناک الکثیر من الخصائص أو الآثار السلبیه التی تمتاز بها الدنیا المذمومه فلذا جاءت الأحادیث الشریفه تتری لتبین سوء عاقبه من یتعلق بزخارفها وزبرجدها کما ورد عن أهل بیت العصمه علیهم السلام:

عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال:

«حُبُّ الدُّنیا أصلُ کل مَعصِیَه وَأوّلُ کُل ذَنب»(۱).

وعن الإمام علی علیه السلام أنه قال:

«إنّ الدُّنیا لمُفسِدَه الدّینِ ومُسلّبهُ الیَقینِ، وإنّها لَرأسُ الفِتَنِ وأصلُ المِحَنْ»(۲).

وعن الإمام زین العابدین علیه السلام قال:

«ما من عمل بعد معرفه الله عز وجل ومعرفه رسوله صلی الله علیه وآله وسلم أفضل من بغض الدنیا، فإن لذلک لشعبا کثیره، وللمعاصی شعب، فأول ما عُصی الله به الکبر معصیه إبلیس حین:

(أَبَی وَاسْتَکْبَرَ وَکَانَ مِنَ الْکَافِرِینَ)(۳).

ثم الحرص وهی معصیه آدم وحوا علیهما السلام حین قال الله عزّ وجل لهما:

(وَکُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَیْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَکُونَا مِنَ الظَّالِمِینَ)(۴).

فأخذا ما لا حاجه بهما إلیه، فدخل ذلک علی ذریتهما إلی یوم القیامه، وذلک أن أکثر ما یطلب ابن آدم ما لا حاجه به إلیه.

ثم الحسد وهی معصیه ابن آدم حیث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلک حب

۱- تنبیه الخواطر: ج۲، ص۱۲۲. میزان الحکمه: ج۲، ص۸۹۶، برقم ۱۲۲۱، حب الدنیا رأس کل خطیئه.

۲- غرر الحکم: ۴۸۷۰. میزان الحکمه: ج۲، ص۸۹۶ برقم ۱۲۲۱، حب الدنیا رأس کل خطیئه.

۳- سوره البقره، الآیه: ۳۴.

۴- سوره البقره، الآیه: ۳۵.

النساء، وحب الدنیا، وحب الریاسه، وحب الراحه، وحب الکلام، وحب العلو والثروه، فصرن سبع خصال فاجتمعن کلهن فی حب الدنیا فقالت الأنبیاء والعلماء بعد معرفه ذلک: حب الدنیا رأس کل خطیئه، والدنیا دنیاءان دنیا بلاغ ودنیا ملعونه»(۱).

وعن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال:

«إن أول ما عُصی الله به ست: حب الدنیا، وحب الریاسه، وحب الطعام، وحب النساء، وحب النوم، وحب الراحه»(۲).

أسئله مهمه

اشاره

السؤال: هل أن بغض الدنیا یعنی عدم جواز التمتع بلذائذها؟

الجواب: کلا: إن بغض الدنیا یختص بالدنیا التی تکون سببا للوقوع فی الحرام، وکذلک یعنی بغضا للذاتها التی حرمها الله تعالی وهذا ما أشارت إلیه الآیات الکریمه التالیه:

قال الله تبارک وتعالی:

(زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا الْحَیَاهُ الدُّنْیَا وَیَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا وَالَّذِینَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ یَوْمَ الْقِیَامَهِ وَاللَّهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشَاءُ بِغَیْرِ حِسَابٍ)(۳).

وقال سبحانه وتعالی:

(زُیِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِینَ وَالْقَنَاطِیرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ

۱- بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج۷، ص۱۹، ح۹.

۲- المحاسن للبرقی: ج۱، ص۲۹۵، ح۴۵۹.

۳- سوره البقره، الآیه: ۲۱۲.

الذَّهَبِ وَالْفِضَّهِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِکَ مَتَاعُ الْحَيَاهِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)(۱).

وقال عزّ وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاهِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَهٌ كَذَلِکَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)(۲).

وقال تبارک وتعالی:

(وَمَا الْحَيَاهُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَهُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)(۳).

وهناک الکثير من الآيات التی يستشعر منها ذم الدنيا.

السؤال: متی يجوز حب الدنيا؟

الجواب: عندما تکون وسيله للقرب الإلهی، وتکون ميداناً للعمل الصالح، وهذا ما تشير إليه الآيات الکريمه والروايات الآتيه:

قال تعالی:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاهً طَيِّبَهً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (۹۷) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ

۱- سوره آل عمران، الآيه: ۱۴.

۲- سوره النساء، الآيه: ۹۴.

۳- سوره الأنعام، الآيه: ۳۲.

بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (۹۸) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(۱).

۲ وردت أحاديث شريفه تؤكد أن الدنيا مزرعه الآخره كما في قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا مَزرَعهُ الآخِرَهِ»(۲).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«بالدنيا تُحرَزُ الآخِرَهُ»(۳).

إن الـدنيا المبغوضه هي التي تمنع الإنسـان عن بلوغ درجه الكمـال وذلـك من خلال حبها والتعلق بها إلى درجه نسيان الآخره، وهذا ما ورد في الأحاديث الشريفه الآتيه:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّهُ ما سَكَنَ حبُّ الدنيا قلبَ عبدٍ إلّا الْتاطَ فيها بثلاث: شُغلٍ لا يَنفَدُ عَناؤهُ، وفَقرٍ لا يُدرِكُ غِناهُ، وأمَلٍ لا يُنالُ مُنتَهاهُ»(۴).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَن تَعَلَّقَ قلبُهُ بالدنيا تَعَلَّقَ قلبُهُ بثلاثِ خصالٍ: هَمٍّ لا يَفنى، وأمَلٍ لا يُدرَكُ، ورجاءٍ لا يُنالُ»(۵).

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

۱- سوره النحل، الآيات: ۹۷ و۹۸ و۹۹.

۲- عوالي اللآلي: ج۱، ص۲۶۷، ح۶۶. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۱۹۳، ح۵۷۴۷.

۳- نهج البلاغه: الخطبه ۱۵۶. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۱۹۳، ح۵۷۴۶.

۴- بحار الأنوار: ج۷۷، ص۱۸۸، ح۳۸. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۰۳، ح۵۸۳۳.

۵- الكافي: ج۲، ص۳۲۰، ح۱۷. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۰۳، ح۵۸۳۱.

«مَن كانت الدنيا هِمَّتَهُ اشتَدَّتْ حَسرَتُهُ عِند فِراقِها»(۱).

التمتع بلذائذ الدنيا ليس حراما إذا كان مما يصلح شأن العبد بل لا يعد حبا للدنيا بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَيْسَ مِن حُبِّ الدنيا طَلَبُ ما يُصْلِحُكَ»(۲).

ويظهر من الروايات الشريفه أن هناک شروطا تجعل التمتع بلذائذ الدنيا مقبولاً عند أهل البيت علهيم السلام بدليل قول الإمام الكاظم عليه السلام:

«اجعَلوا لِأنفُسِكُم حظّاً مِن الدنيا بِإعطائها ماتَشتَهى مِن الحلالِ وما لا يَثلِمُ المُروّهَ وما لا سَرَفَ فيهِ، واستَعِينوا بذلکَ على أمورِ الدِّينِ، فإنّهُ رُوِیَ: ليسَ مِنّا مَن تَرَکَ دُنياهُ لِدينِه، أو تَرَکَ دِينَهُ لِدُنياهُ»(۳).

۱ أن لا تتجاوز الضروره والحاجه، بدليل قول الإمام الكاظم عليه السلام:

«ليسَ مِنّا مَن تَرَکَ دُنياهُ لِدينِه، أو تَرَکَ دِينَهُ لِدُنياهُ».

۲ أن لا تسبب ضررا لصاحبها أو لغيره، بدليل وصيه لقمان الحكيم لابنه:

(يا بُنَیَّ، لا تَدخُلْ فی الدنيا دُخولاً يَضُرُّ بآخِرَتِکَ، ولا تَترُكْها تَرْكاً تكونُ كَلًّا عَلَى النّاسِ)(۴).

السؤال: لماذا أكد أهل بيت العصمه عليهم السلام على ضروره ترک ما تجاوز الحاجه من الدنيا؟

الجواب: لا يشک عاقل أن لنفسه عليه حقا ينبغی أن يعطيها إياه، فإذا أعطى

۱- بحار الأنوار: ج۷۱، ص۱۸۱، ح۳۴. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۰۳، ح۵۸۳۵.

۲- كنز العمال: ۵۴۳۹. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۰۲، ح۵۸۲۴.

۳- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۳۲۱، ح۱۸. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۳۱، ح۶۰۰۲.

۴- بحار الأنوار: ج۷۳، ص۱۲۴، ح۱۱۲. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۳۱، ح۶۰۰۴.

نفسه حقها سلم من الدخول فی عنوان الظالمین بل دخل فی ربقه المنصفین ونجا من مکائد الشیطان، ولکی یتضح الأمر حلیا نقف علی أحادیث أهل البیت علیهم السلام لیعرفونا أسباب تأکیدهم علی ذلک:

۱ یؤکد أمیر المؤمنین علیه السلام علی أن ما زاد عن الحاجه فی هذه الدنیا لیس من نصیب صاحبه کما فی قوله علیه السلام لرجلٍ شکا إلیه الحاجهَ:

«اِعلَم أنّ کلَّ شیءٍ تُصیبُهُ مِن الدنیا فوقَ قُوتِکَ فإنّما أنتَ فیهِ خازنٌ لِغَیرِکَ»(۱).

۲ إن الاهتمام بتحصیل ما هو فائض عن الحاجه یؤدی إلی خسران العمر ودنو الأجل کما فی قول الإمام علی علیه السلام:

«هَؤلاءِ أنبیاءُ اللهِ وأصفیاؤُهُ تَنَزَّهوا عنِ الدنیا... ثُمَّ اقتَصَّ الصالحونَ آثارَهُم... وأنزَلُوا الدنیا مِن أنفسِهِم کالمِیتَهِ التی لا یَحِلُّ لِأحَدٍ أن یَشبَعَ منها إلاّ فی حال الضروره إلَیها، وأکَلُوا مِنها بقَدرِ ما أبقَی لَهُم النَّفسَ وأمسَکَ الرُّوحَ، وجَعَلُوها بمنزلهِ الجِیفهِ التی اشتَدَّ نَتنُها، فَکُلُّ مَن مَرَّ بها أمسَکَ علی فِیهِ، فَهُم یَتَبَلَّغُونَ بأدنَی البلاغِ...»(۲).

۳ الاکتفاء بالضروره مما ینجی من شده العذاب کما صرح بذلک رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«فِرُّوا مِن فُضولِ الدنیا کما تَفِرُّونَ مِن الحرامِ، وهَوِّنوا علی أنفسِکُم الدنیا کما تُهَوِّنُونَ الجیفهَ، وتُوبُوا إلی اللهِ مِن فُضولِ الدنیا وسیّئاتِ أعمالِکُم، تَنجُوا مِن شِدَّهِ العذابِ»(۳).

۱- بحار الأنوار: ج۷۳، ص۹۰، ح۶۱. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۱۹۵، ح ۵۷۶۰.

۲- بحار الأنوار: ج۷۳، ص۱۱۰، ح۱۰۹، میزان الحکمه: ج۳، ص۱۱۹۶، ح۵۷۶۹.

۳- مستدرک الوسائل: ج۱۲، ص۵۴، ح۱۳۴۹۶. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۱۹۷، ح۵۷۷۵.

السؤال: ما هو المراد من الزهد فی الدنیا؟

الجواب: قبل الخوض فی جواب هذا السؤال الذی یصلح أن یکون کتابا خاصا بالزهد، لابد أن أوضح أمراً فی غایه الأهمیه فأقول:

لا شک أننا نحب درجه الزاهدین ونتمنی منزلتهم فی الآخره، وقد یبادر بعضنا للإتصاف بالزهد ولکن دون جدوی، لأن مجرد حب درجه الزاهدین وتمنیها لا یفی بالغرض بل لابد من مجاهده النفس وتخلیصها من علائق الدنیا وحبائلها قولا وفعلا، وأود أن أضیف أیضا أن التکلم عن الزهد والزاهدین دون التلبس به عملیا أمر مخجل جدا إلا إذا قصدنا تحصیل الثواب من تذکیر المؤمنین به وحثهم علیه من باب حب لغیرک ما تحب لنفسک.

بعد هذه المقدمه البسیطه والصادقه والصریحه نعطف البحث إلی معنی الزهد فی نظر أهل بیت العصمه والطهاره علیه السلام فأقول:

۱ الزهد هو الثقه بالله تعالی والرغبه فی عطایاه کما ورد ذلک فی حدیث رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«الزَّهادَهُ فی الـدُّنیا لَیسَت بِتَحریمِ الحَلالِ ولا إضاعَهِ المالِ، ولکنَّ الزَّهادَهَ فی الدنیا أن لا تکونَ بما فی یَدَیکَ أوثَقَ مِنکَ بما فی یَدِ اللهِ، وأن تکونَ فی ثَوابِ المُصیبَهِ إذا أنتَ أصِبتَ بها أرغَب مِنکَ فیها لو أنَّها أُبقِیَتْ لَکَ»(۱).

۲ الزهد هو أن لا نتعامل مع مفردات الحیاه الدنیا کما یتعامل معها أهل الدنیا فلا تفرح إلی درجه البطر بما نناله منها ولا نحزن إلی درجه الجزع لما فقدناه منها وهذا ما أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«الزُّهدُ کُلُّهُ فی کَلِمَتَینِ مِنَ القُرآنِ، قالَ اللهُ تعالی:

۱- کنز العمال: ۶۰۵۹. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۵۶۷، ح۷۷۰۳.

(لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)(۱).

فَمَن لم يَأسَ عَلَى الماضِی ولم يَفرَحْ بالآتی فهُو الزاهِدُ»(۲).

۳ الزهد هو أن نعيش ذكر الموت دائما، ولا نغرق فی الأمانی والطموحات التی تنسينا زياره ملك الموت المفاجئه لنا، وأن نؤدی حقوق الله تعالی من خلال الابتعاد عن المعاصی وأداء الواجبات أما خوفا أو طمعا أو شكراً وهذا ما صرح به الرسول الأكرم صلی الله عليه وآله وسلم:

«الزُّهدُ فی الدنيا قَصرُ الأمَلِ، وشُكرُ كُلِّ نِعمَهٍ، والوَرَعُ عن كُلِّ ما حَرَّمَ اللهُ»(۳).

۴ الزهد هو التنزه عن حب الظهور والمدح، وعدم الانشغال عن الكمال وتزكيه النفس من أوساخ الدنيا وهجر كل ما هو لعب ولهو وزينه وتفاخر وتكاثر، وترفع عن الشهوات المحرمه وهذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«الزُّهدُ مِفتاحُ بابِ الآخِرَهِ، والبَراءَهِ مِنَ النّارِ، وهُو تَركُكَ كُلَّ شیءٍ يَشغَلُكَ عنِ اللهِ، مِن غَيرِ تَأسُّفٍ على فَوتِها، ولا إعجابٍ فی تَركِها، ولا انتِظارِ فَرَجٍ مِنها، ولا طَلَبِ مَحمَدَهٍ علَيها، ولا عِوَضٍ مِنها، بل تَرى فَوتَها راحَهً وكَونَها آفَهً، وتكونُ أبداً هارِباً مِنَ الآفَهِ، مُعتَصِماً بِالرّاحَهِ»(۴).

السؤال: ما هو مراد القرآن الكريم (اعلموا إنما الحياه الدنيا لهو ولعب وزينه وتفاخر بينكم)؟

۱- سوره الحديد، الآيه: ۲۳.

۲- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۷۰، ح۲۷. ميزان الحكمه: ج۴، ص۱۵۶۶، ح۷۶۹۵.

۳- تحف العقول: ص۵۸. ميزان الحكمه: ج۴، ص۱۵۶۷، ح۷۷۰۰.

۴- بحار الأنوار: ج۷۰، ص۳۱۵، ح۲۰.

الجواب: لا نرید أن نفسر هذه الآیه الکریمه ولکن لنا أن نقول ما یلی:

إن الله تعالی حکیم خلق الخلق لغرض وهدف سام کما فی قوله تعالی:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ)(۱).

فیعلم من هذه الآیه الکریمه سر وجود الإنسان علی هذه الأرض، إذ وجد الإنسان لکی یصل إلی کماله وقربه الإلهی وهذا لا یتم إلا من خلال ما شرعه الله تعالی من شرائع،، ونهجه من مناهج، وسنه من سنن، فالالتزام بهذا کله یؤدی إلی الغایه السامیه ویحقق الغرض الحکیم، فإذا اتضح هذا یتضح أن الابتعاد عن الشرائع والسنن والاشتغال بغیرها هو عین اللهو واللعب لخلوه من الغرض والنفع الحقیقی فیکون مثل المنشغل بأمور الدنیا کمثل الطفل الذی یلعب مع أقرانه لمجرد التسلیه واللعب ثم یرجع بعدها إلی بیته یبحث عمّا ینفعه من طعام وشراب ومأوی، فإذن یمکن أن نُسمی الأفعال الخالیه من الأغراض السامیه والأهداف النبیله لعبا، ونطلق علی کل ما یشغلنا عما خلقنا لأجله بأنه لهو، ونعدّ ما نتظاهر به من صلاح وحب للخیر دون أن یکون له وجود فی باطننا زینه، ویلزم من تباهینا فی الأحساب والأنساب والثروه والمناصب دون التقوی تفاخر لا قیمه له عند الله تعالی.

فلذا ینبغی للعقلاء أن یجعلوا لأفعالهم أغراضا نبیله ترضی الله تعالی وتقربهم إلیه لکی لا ینطبق علیهم عنوان اللاعبین، وأن ینتبهوا إلی ذکر الله تعالی فلا یشغلهم تجاره ولا بیع ولا أولاد عن ذلک فیخرجوا عن مصداق أهل اللهو، وأن یطابق ظاهرهم باطنهم فی الصلاح فتکون زینتهم أخرویه ولیست زینه دنیویه، وأن یبتعدوا عن التعالی بالقشور کالأحساب والشهره والمال والمناصب ویتحلوا بالتقوی فینالوا الکرامه الإلهیه.

۱- سوره الذاریات، الآیه: ۵۶.

السؤال: كيف نفسر عباده الناس للدنيا وما هی صفات عبيد الدنيا؟

الجواب: الإنسان مفطور على الإسلام والتسليم والانقياد لله تعالى، فإذا صان فطرته وحفظها من الانحراف دامت سلامتها وظل عبداً صالحا، وإذا تغيرت هذه الفطره بالأفكار السقيمه وعصفت بها وساوس الشيطان وغلبه الهوى صار صاحبها عبداً للدنيا دون الله تعالى ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«مَن أحَبَّ الدِّينارَ والدِّرهَمَ فهو عَبدُ الدُّنيا»(۱).

وورد عنه أيضا قوله عليه السلام:

«قد خَرقَتِ الشَّهَواتُ عقلَهُ، وأماتَتِ الدنيا قَلبَهُ، ووَلَهَتْ علَيها نَفسُهُ فهو عَبدٌ لها ولِمَنْ فی يَدَيهِ شیءٌ مِنها، حيثُما زالَتْ زالَ إلَيها، وحيثُما أقبَلَتْ أقبَلَ عَلَيها»(۲).

وأمّا صفات عبيد الدنيا فقد جاء فی حديث المعراج بيان ذلک:

(أهلُ الدنيا مَن كَثُرَ أكلُهُ وضِحكُهُ ونَومُهُ وغَضَبُهُ، قليلُ الرِّضا، لا يَعتَذِرُ إلى مَن أساءَ إلَيهِ، ولا يَقبَلُ مَعذِرَةَ مَنِ اعتَذَرَ إلَيهِ، كَسلانُ عِندَ الطاعَهِ، شُجاعٌ عِندَ المَعصِيَهِ، أمَلُهُ بعيدٌ، وأجلُهُ قريبٌ، لا يُحاسِبُ نفسَهُ، قليلُ المَنفَعَهِ، كثيرُ الكلامِ، قليلُ الخَوفِ، كثيرُ الفَرَحِ عِندَ الطَّعامِ.

وإنَّ أهلَ الدنيا لا يَشكُرُونَ عِندَ الرَّخاءِ، ولا يَصبِرُونَ عِندَ البلاءِ، كثيرُ الناسِ عِندَهُم قليلٌ، يَحمَدُونَ أنفسَهُم بما لا يَفعَلونَ، ويَدَّعونَ بما لَيس لَهُم، ويَتَكَلَّمونَ بما يَتَمَنَّونَ، ويَذكُرونَ مَساویَ الناسِ ويُخفُونَ حَسَناتِهِم.

قالَ: يا ربِّ هَل يكونُ سِوَى هذا العَيبِ فی أهلِ الدنيا؟ قالَ: يا أحمدُ، إنَّ عَيبَ أهلِ الدنيا كثيرٌ، فيهِمُ الجَهلُ والحُمقُ، لا يَتواضَعونَ لِمَن يَتَعَلَّمونَ مِنهُ، وهُم عِندَ

۱- الخصال: ص۱۱۳، ح۹۱. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۲۰، ح۵۹۲۶.

۲- نهج البلاغه: الخطبه ۱۰۹. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۲۰، ح۵۹۲۹.

أنفُسِهِم عُقَلاءُ وعِندَ العارِفينَ حُمَقاءُ)(۱).

السؤال: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا سجن المؤمن وجنه الكافر»(۲).

كيف صارت كذلك؟

الجواب: ذكر العلماء عده أوجه لتفسير هذا الحديث الشريف وهى كما يلى:

عن المحدث الحر العاملى (عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«الدنيا سجن المؤمن وجنه الكافر».

وهذا الحديث مستفيض من طرق العامه والخاصه، والإشكال فيه: أن كثيراً من المؤمنين حالهم فى الدنيا فى نهايه الاستقامه والسعه؛ وكثيرتً من الكفار حالهم فى الدنيا فى نهايه الضيق والعسر؛ ويمكن دفع هذا الإشكال بوجوه.

الأول: إن المؤمن وإن كان حاله فى الدنيا فى سعه ويسر إلا أنه بالنسبه إلى حاله فى الآخره ومحله فيها سجن فى الدنيا والكافر بعكس ذلك، وهذا الجواب مروى عن أبى محمد الحسن عليه السلام حين اعترض عليه اليهودى فأجابه بهذا الجواب.

الثانى: أن يكون محمولا على الأغلبيه بالنسبه إلى جميع المؤمنين وجميع الكفار والبناء على الغالب جائز فى سائر المقامات.

الثالث: إن المؤمن فى الدنيا لما كان لم يزل فى ملاحظه الطاعات والاتيان بالواجبات والمستحبات فى جميع الأوقات وفى اجتناب المحرمات والمكروهات ولم يزل يتأمل فى العواقب، ويتذكر النار والحساب والعقاب، فهو من حيث ملاحظه هذه الأمور وعدم مفارقته لها فى سجن.

۱- بحار الأنوار: ج۷۷، ص۲۳، ح۶. ميزان الحكمه: ج۳، ص ۱۲۲۰ ۱۲۲۱، ح ۵۹۳۰.
۲- دعائم الإسلام، القاضى النعمان المغربى: ج۱، ص۴۷.

والکافر لما کان دائماً فی الانهماک فی المعاصی واللذات ولا یخطر بباله جنه ولا نار ولا حساب ولا عقاب فالدنیا جنّه له.

الرابع: أن یکون المراد الدنیا سجن للمؤمن الکامل فی الإیمان وجنه للکافر الکامل فی الکفر، کما روی أن أشد الناس بلاء فی الدنیا الأنبیاء ثم الأوصیاء ثم الأمثل فالأمثل.

الخامس: أن یکون خبراً بمعنی الأمر أی ینبغی للمؤمن أن یجعل الدنیا علی نفسه بمنزله السجن کما أن المحبوس فی السجن لا یرید تناول ما زاد علی أقل الکفایه کسد الرمق وفکره مصروف إلی أسباب الخروج، وهذا المعنی فی بقیه الحدیث لا یخلو عن بُعد، ویمکن أن یوجه بأنه بالنسبه إلی الکافر علی وجه التهدید والوعید کقوله تعالی:

(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)(۱).

أو المعنی: یحق للکافر أن یتخذ الدنیا جنه له فإنه لیس له فی الآخره نصیب إلا العذاب والعقاب.

السادس: أن یکون المعنی أن المؤمن یعدّ الدنیا علی نفسه سجنا فلا یرغب إلیها ولا یمیل إلی لذاتها ویخشی من غوائلها وإن کان متنعما فیها ظاهراً والکافر بعکس ذلک)(۲).

ویمکن لنا أن نضیف وجها آخر بلحاظ الزمان إذ إن السجن یتصف بفتره زمنیه معینه ثم تنتهی فیتحرر صاحبه من قیوده فکذلک الدنیا لابد لها من نهایه فیتحرر صاحبها مِن وطأه شهواتها ولذائذها الفانیه فیذهب إلی دار لا لغو فیها ولا تأثیم، وإن کان کافرا فلا یغتر بجنته فهو خارج منها إلی الآخره حیث العذاب والألم الشدید.

۱- سوره فصلت، الآیه: ۴۰.

۲- مصابیح الأنوار، السید عبد الله شبر: ج۲، ص۲۳ ۲۴.

نصیحه معصومیه

وردت الکثیر من الأحـادیث الشـریفه التی تبیّن أن الـدنیا ملعونه وذو عاقبه وخیمه إذا اتخـذها الإنسان هماً دون الآخره وهی کما یلی:

۱ عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال:

«مَن أصبَحَ والدنیا أکبَرُ همِّه فَلَیسَ مِنَ اللهِ فی شیءٍ وألزَمَ قلبَهُ أربَعَ خِصالٍ: هَمّاً لا یَنقَطِعُ عَنهُ أبداً، وشُغلاً لا یَنفَرِجُ مِنهُ أبداً، وفَقراً لا یَبلُغُ غِناهُ أبداً، وأملاً لا یبلُغُ مُنتَهاهُ أبداً».(۱)

وعن الإمام الصادق علیه السلام قال:

«مَن أصبَحَ وأمسی والدنیا أکبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللهُ تعالی الفَقرَ بینَ عَینَیهِ وشـتّتَ أمرَهُ ولم یَنَلْ مِن الدنیا إلّا ما قَسَمَ اللهُ له، ومَن أصبَحَ وأمسی والآخرهُ أکبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللهُ تعالی الغِنی فی قلبِهِ وجَمَعَ لَهُ أمرَهُ».(۲)

۲ قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«الدنیا ملعونهٌ وملعونٌ ما فیها، إلّا ما ابتُغِیَ به وَجه اللهِ عَزَّ وجلَّ».(۳)

وعن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«ألا إنَّ الـدنیا دارُ لا یُسلَمُ منها إلّا فیها (بالزُّهـدِ)، ولا یُنْجی بشـیءٍ کانَ لها، ابتُلِیَ الناسُ بِها فِتنهً فما أخَذُوهُ منها لها أُخِرجوا مِنه وحوسِبوا علَیهِ، وما أخَذُوهُ مِنها لِغَیرِها قَدِموا علَیهِ وأقاموا فیهِ».(۴)

وعن الإمام الصادق علیه السلام فی زیاره الحسین علیه السلام عند الوَداع قال:

۱- تنبیه الخواطر: ج۱، ص ۱۳۰. میزان الحکمه: ج۳، ص ۱۲۲۲، ح ۵۹۴۲.

۲- الکافی: ج۲، ص۳۱۹، ح۱۵. میزان الحکمه: ج۳، ص ۱۲۲۲، ح ۵۹۳۹.

۳- کنز العمال: ۶۰۸۸. میزان الحکمه: ج۳، ص ۱۱۹۴، ح ۵۷۵۵.

۴- نهج البلاغه: الخطبه ۶۳. میزان الحکمه: ج۳، ص ۱۱۹۴، ۵۷۵۸.

«ولا تَشغَلْنی عن ذِکرِکَ بِإکثارٍ عَلَیَّ مِن الدنیا تُلهِینِی عجائبُ بَهجَتِها وتَفْتِنِّی زهراتُ زینتِها، ولا بِإقلالٍ یُضِرُّ بعَمَلِی کَدُّهُ ویَملأُ صَدری هَمُّهُ، أعطِنی مِن ذلکَ غِنیً عن أشرارِ خلقِکَ، وبَلاغاً أنالُ بِهِ رِضاکَ»(۱).

وعن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال:

«فَارفِضِ الدنیا، فإنّ حُبَّ الدنیا یُعمِی ویُصِمُّ ویُبکِمُ ویُذِلُّ الرِّقابَ»(۲).

وعنه علیه السلام قال:

«حُبُّ الدنیا یُفسِدُ العقلَ، ویُصِمُّ(۳) القلبَ عن سَماعِ الحکمهِ، ویوجِبُ ألیمَ العِقابِ»(۴).

۳ حبها یورث البعد عن الله تعالی ویحرم القلب اللذات المعنویه کما جاء فی حدیث المعراج:

(قال الله تبارک وتعالی: یا أحمدُ، لو صَلَّی العبدُ صلاهَ أهلِ السماءِ والأرضِ، ویصومُ صیامَ أهلِ السماءِ والأرضِ، ویَطوِی عنِ الطَّعامِ مِثلَ الملائکهِ، ولَبِسَ لباسَ العابِدینَ، ثُمَّ أری فی قلبِهِ مِن حُبِّ الدنیا ذَرَّهً، أو سُمْعَتِها، أو رئاسَتِها، أو صِیتِها، أو زِینَتِها، لا یُجاوِرُنی فی دَارِی، ولأَنزِعَنَّ مِن قلبِهِ مَحَبَّتی (ولأُظلِمَنَّ قلبَهُ حتّی یَنسانِی، ولا اُذِقُهُ حَلاوَهَ مَحَبَّتی))(۵).

۴ یحذر أهل البیت علیهم السلام العقلاء من الاغترار بالدنیا لما فی ذلک من آثار وعواقب وخیمه کما فی قوله علیه السلام:

۱- بحار الأنوار: ج۱۰۱، ص۲۸۱، ح۱. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۱۹۴، ح۵۷۵۹.

۲- الکافی: ج۲، ص۱۳۶، ح۲۳. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۲۰۲، ح۵۸۲۶.

۳- فی المصدر (ویُهِمُّ) والصحیح ما أثبتناه کما فی طبعه النجف وبیروت.

۴- غرر الحکم: ۴۸۷۸. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۲۰۲، ح۵۸۲۷.

۵- مستدرک الوسائل: ج۱۲، ص۳۶، ح۱۳۴۴۶. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۲۰۴، ح۵۸۴۵.

«أُحَذِّرَكُمُ الدنيا، فإنّها دارُ شُخُوصٍ، ومَحَلَّهُ تَنغِيصٍ، ساكِنُها ظاعِنٌ، وقاطِنُها بائنٌ»(۱).

وعنه عليه السلام قال:

«احذَرُوا الدنيا فإنَّ فى حلالِها حِساب(اً)، وفى حَرامِها عقاب(اً)، وأوّلُها عَناءٌ، وآخِرُها فَناءٌ»(۲).

وعن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام أيضا:

«احـذَروا الـدنيا الحَذَرَ كُلَّهُ، وضَعُوا عَنكُم ثِقْلَ هُمُومِها لِما تَيَقَّنتُم لِوَشْكِ زَوالِها، وكونوا أسَرَّ ما تَكونونَ فيها، أحذَرَ ما تَكونُونَ لَها»(۳).

وهناک الکثیر من الأحادیث فی هذا الباب فراجع.

۵ للجهل آثار وخیمه تفسد الدنیا وتوجب عذاب الآخره ومن هذه الآثار الاغترار بالدنیا کما ورد عن أمیر المؤمنین علیه السلام:

«الرُّكونُ إلى الدنيا مَع ما يُعايَنُ مِن سُوءِ تَقَلُّبِها جَهلٌ»(۴).

۶ یبرئ الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام الدنیا من مسؤولیه الاغترار بها ویلقی اللوم علی المغرور فیها بقوله:

«حَقّاً أقولُ: ما الـدنيا غَرَّتک، ولكنْ بها اغتَرَرتَ، ولقَـد كاشَـفَتک العِظاتِ وآذَنَتک عَلى سَواءٍ، ولَهِیَ بما تَعِدُک مِن نُزولِ البلاءِ بِجسمِک والنَّقضِ (النَقص) فى قُوَّتِک أصدَقُ وأوفَى مِن أن تَكْذِبَک أو تَغُرَّک»(۵).

۱- نهج البلاغه: الخطبه ۱۹۶. میزان الحکمه: ج۳، ص ۱۲۱۰، ح۵۸۶۷.

۲- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۲۳، ح۸۸. میزان الحکمه: ج۳، ص ۱۲۱۰، ح ۵۸۶۹.

۳- بحار الأنوار: ج۷۳، ص۱۰۹، ح۱۰۹. میزان الحکمه: ج۳، ص ۱۲۱۰، ح ۵۸۷۲.

۴- غرر الحکم: ۲۰۳۷. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۲۱۴، ح۵۸۹۵.

۵- نهج البلاغه: الخطبه ۲۲۳. میزان الحکمه: ج۳، ص۱۲۱۵، ح۵۹۰۲.

۷ يرشـد الإمـام على عليه السـلام أهل النظر الثاقب والنباهه والكياسه إلى ضـروره التحلى بصـفات الزاهـدين عنـدما ينظرون إلى الدنيا فيقول:

«أُوصِيكُم بالرَّفضِ لهـذِهِ الـدنيا التارِكَهِ لَكُم، وإن لَم تُحِبُّوا تَرْكَها... فلا تَنافَسُوا فى عِزِّ الدنيا وفَخرِها، ولا تَعجَبُوا بزِينَتِها ونعيمِها، ولا تَجزَعوا مِن ضَرّائها وبُؤسِها، فإنّ عِزَّها وفَخرَها إلى انقِطاعٍ، وإنَّ زينَتَها ونعيمَها إلى زوالٍ، وضَرّاءَها وبُؤسَها إلى نَفادٍ (نفاذٍ)»(۱).

۸ حقّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا فينبغى الاقتداء به فى رؤيته الحكيمه لنده القذاره لاسيما بعد الاطلاع على قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا بنَ جُندَبٍ، إن أحبَبتَ أن تُجاوِرَ الجليلَ فى دارِهِ وتَسكُنَ الفِردَوسَ فى جِوارِهِ فلتَهُنْ عَلَيكَ الدنيا»(۲).

۹ نهى النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن تعظيم الآخرين لما لـديهم من مال أو جاه أو منصب طمعا فيما لا يهم بل لابد أن يكون التوقير والتعظيم للتقوى والأخوه فى الله تعالى فلذا ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَن عَظَّمَ صاحِبَ دنيا وأحَبَّهُ لِطَمَعِ دُنياهُ سَخِطَ اللهُ علَيهِ»(۳).

۱۰ أكـد أهل البيت عليهم السـلام على الصبر عندما يصاب المرء بما يلاقيه من ألم الدنيا فإنه قد خور له فى الآخره وهذا ما يدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«مَرارَةُ الدنيا حَلاوَةُ الآخِرَةِ»(۴).

۱- نهج البلاغه: الخطبه ۹۹. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۱۷، ح۵۹۱۵.

۲- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۲۸۲، ح۱. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۲۵، ح۵۹۶۴.

۳- بحار الأنوار: ج۷۶، ص۳۶۰، ح۳۰. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۲۶، ح۵۹۶۵.

۴- غرر الحكم: ۹۷۹۳. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۲۷، ح۵۹۸۳.

صور حواريه ومواعظ

خلق الله تعالى الخلق وهو غنى عن طاعتهم ومنيع عن ضرر معصيتهم لما يتصف به من صفات الألوهيه إلا أنه سبحانه لم يدع خلقه هملاً دون إرشاد وشريعه ومنهاج بل سن لهم السنن ونهج لهم المناهج ليصلوا إلى كمالهم، ومما أرشد إليه مدبر الأمور وخالق الخلق سبحانه أن نزهد فى هذه الدنيا الدنيه ونرفض زخرفها ونبتعد عن زبرجها وهذا ما التزم به ساده الخلق وقاده العباد محمد وآله الأطهار صلوات الله عليهم وسلم تسليما كثيرا الصوره الأولى فعندما نتأمل هذه الصوره الرائعه التى نقلها عمر بن الخطاب بقوله:

(استَأذَنتُ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَدَخَلتُ عَليهِ فى مَشرَبهِ أُمِّ إبراهيمَ، وإنّهُ لَمُضطَجِعٌ على خَصْفَهٍ وإنّ بَعضَهُ على التُّرابِ وتَحتَ رأسِهِ وِسادهٌ مَحشُوَّهٌ لِيفاً، فسَلَّمتُ عَلَيهِ ثُمَّ جَلَستُ فقُلتُ: يا رسولَ اللهِ، أنتَ نبيُّ اللهِ وصَفوتُهُ وخِيرَتُهُ من خَلقِهِ، وكِسرى وقيصرُ على سُرُرِ الذَّهبِ وفُرُشِ الدِّيباجِ والحريرِ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم:

«أولئكَ قومٌ عُجِّلَت طَيِّباتُهُم وهِى وَشيكَهُ الانقِطاعِ، وإنّما أُخِّرَت لنا طَيِّباتُنا»)(۱).

نجد عبرا ومواعظ تسر القلوب وتقر بها الأعين وهى كالآتى:

۱ إن اضطجاع النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم (على خصفه) أى فراش من سعف النخيل دون أن يكون عليها شىء يحمى جسده الشريف من غظلتها دليل على تجسد التواضع فى هذا الوجود المقدس، وبرهان على افتخار الزهد إذ صار لباسا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

۲ وقول عمر (وإن بعضه على التراب...) يشير إلى علاقه المقدسين بأصلهم إذ

۱- مجمع البيان: ج۹، ص۱۳۳. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۲۸، ح ۵۹۹۰.

یرون أن أجسادهم من التراب وعلى التراب وإلى التراب رغم أن أرواحهم فی علیین، فلا یرون ترفعا عن التراب ولا یشعرون بالتقذر منه کما یفعل المتکبرون الجهله ذلک.

۳ وقوله (وتحت رأسه وساده محشوه لیفا) ألا یدل ذلک على عدم استخدام النبی الأکرم صلى الله علیه وآله وسلم لولایته التکوینیه فی مثل هذه الأمور التافهه؟ وإلا لو شاء لتصرف بهذه الوساده وجعلها من حریر ودیباج دون تعب أو نصب إلا أنه آثر أن یعیش وفق الأسباب والمسببات، ولعله أراد أن یعطی رساله لعمر أو لغیره بأن الدنیا لا تستحق أن تکون هما نعیشه کل یوم، ولا تستحق أن یعصى الله تعالى لأجلها.

۴ وردّ النبی الأکرم صلى الله علیه وآله وسلم على عمر بقوله (أولئک قوم عجلت طیباتهم وهی وشیکه الانقطاع، وإنما أخرت لنا طیباتنا) فیه الکثیر من الحکم والمواعظ:

منها: أن من أخذ نصیبه فی الدنیا لیس له نصیب فی الآخره.

منها: أن العباد الصالحین لا یتأملوا من الدنیا راحه وسعاده لخلانهم معها ولأنهم لم یتخذوها أماً لهم کما أنها لم تعتبرهم أولادا لها.

منها: أن الدنیا بما فیها من اللذائذ والحلاوه لابد أن تنتهی فی یوم ما فیلاقی أولادها ما ینغصم ویذیقهم المراره بدل الحلاوه التی یتلذذون بها.

منها: أن الطیبات الفانیه لیست لذیذه وإنما اللذه فی الطیبات الباقیه.

الصوره الثانیه

فاطمه الزهراء علیها السلام وما أدراک ما فاطمه هی بضعه النبی المصطفى وروحه التی بین جنبیه وهی لحمه ودمه وجزء لا یتجزأ منه فلذا نجدها لا تختلف عن أبیها بصفه من صفاته، فلقد جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاری رضی الله عنه أنه قال:

(رَأى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فاطمةَ عليها الصلاه والسلام وعلَيها كِساءٌ مِن أجلّهِ الإبلِ وهى تَطحَنُ بِيدَيها وتُرضِعُ ولدَها، فَدَمَعَتْ عَينا رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فقالَ:

«يا بِنتاهُ، تَعجَّلى مَرارَهَ الدنيا بحَلاوَهِ الآخرهِ».

فقالت:

«يا رسولَ اللهِ، الحَمدُ للهِ على نَعمائِه والشكرُ للهِ على آلائهِ».

فأنزَلَ اللهُ:

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)(۱))(۲).

أرجو إعاده القراءه لهذه الروايه وأرجو أن تتصورها فى خيالك لتدمع عيناك كما دمعت عين الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبعد تأمل هذه الصوره تخرج بالمواعظ التاليه:

منها: فاطمه سيده نساء العالمين تلبس كساءً من أحلّه الإبل لتعطى رساله لكل النساء الواعيات أن لا يلهثن وراء الأزياء والموديلات، وأن لا يكلفن أزواجهن فوق طاقتهم لكى يلبسن ما غلا ثمنه، فالبساطه فى العيش لا تعد نقصا كما لا يحق لأحد أن يسخر من صاحبه لاسيما فى مجتمع النساء.

منها: أن هذه السيده الكبرى والصديقه الطاهره هى بنت سيد الكائنات وزوجه سيد الأوصياء وأم سيدى شباب أهل الجنه ومع ذلك تطحن بيديها لأسرتها وتعين بعلها على شظف العيش، وتقول لنا لابد من التكافل بين الرجل والمرأه لتسير الحياه الزوجيه بهدوء وطمأنينه وسعاده، وتقول للنساء لا تبحثن عن الشأنيه مع أزواجكن

۱- سوره الضحى، الآيه: ۵.

۲- نور الثقلين: ج۵، ص۵۹۴، ح۱۰، أنظر أيضا: ص۵۹۵، ح۱۱. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۲۸، ح۵۹۹۱.

طالما رضيتن بهم أزواجا، فأنا بنت سيد الكائنات وخاتم الأنبياء والرسل ولا أستنكف من العمل فى بيتى وخدمه أسرتى.

منها: عنـد رضاعتها ولـدها ترشـدنا إلى ضـروره رضاعه الأم لولـدها لما فى ذلك من فائـده صـحيه لهذا الوليد إذ إن حليب الأم يغذى الولد ماديا ومعنويا، وتبيّن بأن هذه الرضاعه لهذا الطفل الصغير عمل صالح تنال الأم به ثواب الله عز وجل.

منهـا: قول رسول الله لا بـنته (يابنتـاه تعجلى مراره الـدنيا بحلاـوه الآخره) لا يختلف عما بينه فى الصوره الأولى من أن الـدنيا فانيه ومرارتها منتهيه والآخره باقيه وحلاوتها ولذتها دائمه.

منهـا: وقولهـا عليهـا السـلام (يا رسول الله الحمـد لله على نعمائه، والشـكر لله على آلائه....) دليل على الرضا التام بعطاء الله تعالى، وتصـريح بأن هـذه البساطه من العيش هى نعمه إلهيه تحتاج إلى شـكر المنعم عليها، كما أنها أكـدت على عـدم جواز التبرم من هذه الحياه البسيطه.

الصوره الثالثه

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (عندما سأله يزيد بن سلام: لما سُمّيَت الدنيا دُنيا؟ قال:

«لأنّ الدنيا دَنِيَّهٌ خُلِقَت مِن دُونِ الآخِرهِ، ولو خُلِقَت مع الآخِرَهِ لم يَفنَ أهلُها كما لا يَفنى أهلُ الآخرهِ».

قال: فأخبِرنى لِمَ سُمّيَتِ الآخرهُ آخره؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لأنّها متأخِّرهٌ تَجِىءُ من بعدِ الدنيا، لا توصَفُ سِنينُها، ولا تُحصى أيّامُها، ولا يموتُ سُكّانُها»(۱).

۱- بحار الأنوار: ج۵۷، ص۳۵۶، ح۲. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۱۹۲، ح ۵۷۴۰.

هـذه الصوره تبين مرتبه الـدنيا وكونها فانيه بحلوها أو بمرها فإذا كانت حلوه بحسب الظاهر فلا تبطر فيها فتكون سـببا لـدخولك النار، وإن كانت مره فاغتنم مرارتها لتكون سببا فى دخولك الجنه.

الصوره الرابعه

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (عندما رأى جابر بن عبد الله، وقد تنفّسَ الصُعَداء فقال:

«يا جابرُ، عَلاَمَ تَنفُّسُكَ؟ أعَلَى الدنيا؟!».

فقال جابرُ: نعم، فقالَ له الإمام عليه السلام:

«يا جابرُ، مَلاَذُّ الدنيا سَبعةٌ: المأكولُ، والمَشروبُ، والمَلبوسُ، والمَنكوحُ والمَركوبُ، والمَشمومُ، والمَسمُوعُ.

فَألَذُّ المَأكولاتِ العَسَلُ وهو بَصقٌ من ذُبابِهِ، وأحْلَى المَشروباتِ الماءُ وكَفَى بإباحَتِهِ وسِباحَتِهِ عَلَى وَجهِ الأرضِ، وأعلَى المَلبوساتِ الدِّيباجُ وهُوَ مِن لُعابُ دُودَهٍ، وأعلَى المَنكوحاتِ النِّساءُ وهو مَبالٌ فى مَبالٍ ومِثالٌ لِمثالٍ، وإنَّما يُرادُ أحسَنُ ما فى المرأهِ لِأقبَحَ ما فيها، وأعلَى المَركوباتِ الخَيلُ وهُو قواتِلُ، وأجَلُّ المَشموماتِ المِسْكُ وهو دَمٌ مِن سُرَّهِ دابّهٍ، وأجَلُّ المَسموعاتِ الغِناءُ والتَّرنُّمُ وهو إثمٌ، فما هذِهِ صِفَتهُ لَم يَتَنَفَّس عَلَيهِ عاقِلٌ».

قال جابر بن عبد الله: فو الله ما خطرت الدنيا بعدها على قلبى)(۱).

أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يوصل لنا رساله واضحه عن أصل لذائذ هذه الدنيا التى يتنافس بل يتقاتل عليها أهلها، فأكد أن هذه اللذائذ التى ترونها جميله فهى كخضراء الدمن فى منبت السوء فلا يغتر أحد بها ولا يتهافت عاقل على نيلها.

۱- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۱۱، ح۶۹. ميزان الحكمه: ج۳، ص۱۲۰۹، ح۵۸۶۳.

الصوره الخامسه

عن سُوَيـد بن غفله قـال: (دخلت على أمير المؤمنين عليه السـلام بعـدَما بُويعَ بالخلافـهِ وهو جالسٌ على حَصيـرٍ صـغيرٍ ولَيس فى البيتِ غَيرُهُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، بيدِكَ بيتُ المالِ ولَستُ أرى فى بيتِكَ شيئاً ممّا يَحتاجُ إلَيهِ البيتُ؟! فقالَ عليه السلام:

«يا بنَ غَفلهَ، إنّ اللَّبيبَ لا يَتَأثَّثُ فى دارِ النُّقلَهِ، ولَنا دارُ أمْنٍ قد نَقَلْنا إليها خيرَ مَتاعِنا، وإنّا عن قليلٍ إلَيها صائرونَ»)(۱).

يا لها من صوره مليئه بالعبر والمواعظ، فإذا تأملها العاقل لابد أن يرى ما يلى:

۱ إن المنصب هو خدمه للناس وليس وسيله للثراء والرفاه والاستحواذ.

۲ الإمام عليه السلام لم يضع فى البيت ما هو ضرورى فضلا عن الكماليات.

۳ يتعامل الإمام عليه السلام مع الدنيا تحت عنوان (نجا المخفون) فلم يثقل نفسه بحطام الدنيا ولم يملأ بيته من زبرجدها.

۴ يشير بقوله (وإنا عن قليل إليها صائرون) إلى فناء الدنيا وقله مدتها.

بحث عقائدى

الرضا بقضاء الله تعالى

مـن نعم الله تعـالى أن منحنـا عقلاـ نزن به الأشـياء ونميّز به بين الحـق والباطـل ونسـتدل من خلاـله على الخير فنفعله وعلى الشـر فتجتنبه، وبهـذه النعمه الإلـهيه التى لاـ تضاهيهـا نعمه إلاـ الإيمان نعرف أن الله تعالى هو خالقنا ومـدبر أمرنا ورحيم بنا أرحم من أمهاتنا بل أرحم من أنفسـنا بأنفسنا، وهو الحكيم الذى لا خطأ ولا خلل فى فعله، وهو العادل الذى لا يجورد فى قضائه، المعصوم الذى لا يخطأ فى تقديره، والعالم المحيط

۱– بحار الأنوار: ج ۷۰، ص ۳۲۱، ح ۳۸. ميزان الحكمه: ج ۳، ص ۱۲۱۹، ح ۵۹۲۴.س

بكل شـىء فلا يفوته شـىء، يعلم بما ينفعنا وما يضـرنا وما يصـلحنا وما يفسدنا، والقادر المطلق الذى يفعل ما يشاء وهو على كل شىء قـدير، فإذا عرفنا ذلك وأيقنت به أنفسـنا وأقرت به عقولنا لابـد لنا من التسـليم والانقياد له والتوكل عليه فى جميع ما يهمنا والرضا والقبول بكل ما يقضى ويقدر، إذ إن عدم الرضا بقضائه وقدره يدل على جهلنا وعدم معرفتنا به ونقصان توحيدنا.

أسئله مهمه

اشاره

السؤال: ما هو الرضا الذى ينبغى أن نعيشه فى حياتنا؟

الجواب: الرضا: هو القبول بل التسليم والانقياد وعدم الاعتراض على ما يقضى سبحانه ويقدر.

السؤال: ما هى فوائد وثمرات الرضا؟

الجواب: للرضا مجموعه من الآثار والفوائد والثمرات وهى كما يلى:

۱ يوجب القرب الإلهى كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا أَحَبَّ اللهُ عَبداً ابتَلاهُ، فإن صَبَرَ اجتَباهُ، وإن رَضِىَ اصطَفاهُ»(۱).

۲ يوجب الأجر العظيم فى يوم لا ينفع فيه مال لا بنون وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَعْطُوا اللهَ الرِّضا مِن قُلوبِكُم تَظفَرُوا بثَوابِ اللهِ تعالى يومَ فَقرِكُم والإفلاسِ»(۲).

۳ يوجب القناعه والشعور بالكفايه كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

۱- بحار الأنوار: ج۸۲، ص۱۴۲، ح۲۶. ميزان الحكمه: ج۴، ص۱۴۷۶، ح۷۳۰۶.

۲- مستدرك الوسائل: ج۲، ص۴۱۲، ح۲۳۳۱. ميزان الحكمه: ج۴، ص۱۴۷۶ ۱۴۷۷، ۷۳۰۷.

«مَن رَضِیَ مِن الدنیا بما یَکفِیهِ کانَ أیسَرُ ما فیها یَکفِیهِ»(۱).

۴ یوجب استجابه الدعاء وتحقیق ما نتمنی کما ورد ذلک عن الإمام الحسن علیه السلام:

«أنا الضّامِنُ لِمَن لا یَهجِسُ فی قَلبِهِ إلاّ الرِّضا أن یَدعُوَ اللهَ فَیُستَجابَ لَهُ»(۲).

۵ یوجب الشعور بالغنی والتنزه عما فی أیدی الناس کما قال الإمام الصادق علیه السلام:

«ارْضَ بِما قَسَمَ اللهُ لکَ تَکُنْ غَنیّاً »(۳).

۶ یوجب الشعور بالاطمئنان والراحه کما ورد فی الحدیث الشریف عن الإمام جعفر بن محمد الصادق علیهما السلام:

«الرَّوحُ والرّاحَهُ فی الرِّضا والیَقینِ، والهَمُّ والحُزْنُ فی الشَّکِّ والسّخَطِ»(۴).

۷ یمنع وقوع الحزن ویرفعه عن صاحبه کما ورد عن الإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام:

«مَن رَضِیَ برِزقِ اللهِ، لَم یَحزَن علی ما فاتَهُ»(۵).

وعنه علیه السلام أنه قال:

«الرِّضا یَنفِی الحُزْنَ»(۶).

السؤال: ما هی الآثار السلبیه والنتائج الوخیمه لعدم الرضا؟

۱- بحار الأنوار: ج۷۷، ص۱۶۹، ح۶. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۴۷۷، ح ۷۳۱۱.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص۱۵۹، ح۷۵. میزان الحکمه: ج ۴، ص۱۴۷۷، ح۷۳۰۸.

۳- بحار الأنوار: ج۶۹، ص۳۶۸، ح۴. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۴۷۷، ح ۷۳۱۲.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص۱۵۹، ح۷۵. میزان الحکمه: ج ۴، ص۱۴۷۷، ح۷۳۱۶.

۵- نهج البلاغه: الحکمه ۳۴۹. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۴۷۸، ح ۷۳۱۹.

۶- غرر الحکم: ۴۱۰. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۴۷۸، ح ۷۳۲۰.

الجواب:

۱ من لم یرض بما أعطاه الله تعالی وقع فی فخ الشک ونسب الظلم إلی الله تعالی کما أکد ذلک الإمام الصادق علیه السلام بقوله:

«مَن لم یَرضَ بما قَسَمَ اللهُ عَزَّ وجلَّ، اتّهَمَ اللهَ تعالی فی قَضائِهِ»(۱).

۲ یؤدی عدم الرضا إلی صیروره الأعمال هباء منثورا کما جاء عن الإمام الصادق علیه السلام فی قوله:

«مَن رَضِیَ القَضاءَ أتی علَیهِ القَضاءُ وهُو مَأجُورٌ ومَن سَخِطَ القَضاءَ أتی علَیهِ القَضاءُ وأحبَطَ اللهُ أجرَهُ»(۲).

السؤال: هل أن الرضا یعنی ترک السعی فی الأسباب؟

الجواب: لا ـ یقول بذلک أحد بل أن القول علی خلاف ذلک، إذ یحثنا الشرع علی السعی والسبب فی الأسباب کما فی قوله تعالی:

(هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِی مَنَاکِبِهَا وَکُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَیْهِ النُّشُورُ)(۳).

وقوله عزّ وجل:

(إِنَّا مَکَّنَّا لَهُ فِی الْأَرْضِ وَآتَیْنَاهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَبًا)(۴).

وما ورد عن الإمام الصادق علیه السلام صریح فی التسبب کما فی قوله علیه السلام:

۱- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۲۰۲، ح۳۳. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۴۷۸، ح۷۳۲۴.

۲- بحار الأنوار: ج۷۱، ص۱۳۹، ح۲۶. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۴۷۸، ح۷۳۲۵.

۳- سوره الملک، الآیه: ۱۵.

۴- سوره الکهف، الآیه: ۸۴.

«أبَى اللهُ أن يُجرِیَ الأشیاءَ إلّا بِأسبابٍ، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَیءٍ سَبَباً وجَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحاً، وجَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْماً، وجَعَلَ لِكُلِّ عِلمٍ باباً ناطِقاً، عَرَفَهُ مَن عَرَفَهُ، وجَهِلَهُ مَن جَهِلَهُ، ذاكَ رسولُ اللهِ صلی الله علیه وآله وسلم ونَحنُ»(۱).

فإذا عرفنا هـذا یتبین لنا أن الرضا هو التسلیم والقبول بكل ما یصیبنا بعد أن نؤدی تكلیفنا الشرعی ألا وهو السعی فی الأسباب الشرعیه المقبوله عند الله تعالی دون أسباب الشیطان، ولا شك فی الفرق بین سبل وأسباب الله تعالی وبین سبل وأسباب غیره المعوّجه المفضیه إلی عاقبه سیئه.

السؤال: كیف نمیّز بین سبل الله تعالی وأسبابه وبین سبل وأسباب غیره؟

الجواب: هذا أمر بدیهی لا لبس فیه، فكل ما هو موافق للشرع فهو سبب وسبیل إلهی وكل ما هو مخالف للشرع فهو غیر ذلك.

السؤال: كیف نمیّز أن المكروه الذی أصابنا من الله تعالی أو من غیره؟

الجواب: فی مقام الجواب عن هذا السؤال لابد من الوقوف علی ما یأتی:

۱ إذا أصابنـا مكروه دون أن نتسبب به، كوقوع زلزال أو غیره من الكوارث فهو من الله تعالی ولا یریـد به إلا نفعنا فلـذا لا یحمد علی مكروه سواه.

۲ إذا أصابنا مكروه بسبب جئناه، فهو منّا والله تعالی بریء منه كما فی كثیر من الأسباب التی تؤدی إلی عواقب وخیمه فلـذا قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

«سَبَبُ فَسَادِ الیَقِینِ الطَّمَعُ»(۲).

وقال علیه السلام:

۱- الكافی: ج ۱، ص۱۸۳، ۷. میزان الحكمه: ج۴، ص۱۶۵۲، ح۸۱۶۶.

۲- غرر الحكم: ۵۵۱۳. میزان الحكمه: ج۴، ص۱۶۵۲، ح۸۱۷۲.

«سَبَبُ فَسَادِ العَقْلِ الهَوى»(۱).

وعنه علیه السلام:

«سَبَبُ الفِتَنِ الحِقْدُ»(۲).

وقال علیه السلام:

«سَبَبُ الشَّحْنَاءِ كَثْرَةُ المِرَاءِ»(۳).

وعنه علیه السلام أیضا:

«سَبَبُ الفَقْرِ الإِسْرَافُ»(۴).

وقال علیه السلام:

«سَبَبُ الفِرْقَهِ الإِخْتِلَافُ»(۵).

وقال علیه السلام أیضا:

«سَبَبُ الفُجُورِ الخَلْوهُ»(۶).

وعنه علیه السلام:

«سَبَبُ زَوَالِ النِّعَمِ الكُفْرانُ»(۷).

وقال علیه السلام:

«سَبَبُ الهَلَاكِ الشِّركُ»(۸).

۱- غرر الحكم: ۵۵۱۵. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۶۵۳، ح۸۱۷۴.
۲- غرر الحكم: ۵۵۲۲. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۶۵۳، ح۸۱۸۱.
۳- غرر الحكم: ۵۵۲۴. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۶۵۳، ح۸۱۸۳.
۴- غرر الحكم: ۵۵۲۹. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۶۵۳، ح۸۱۸۸.
۵- غرر الحكم: ۵۵۳۰. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۶۵۳، ح۸۱۸۹.
۶- غرر الحكم: ۵۵۳۲. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۶۵۳، ح۸۱۹۲.

۷- غرر الحکم: ۵۵۱۷. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۶۵۳، ح۸۱۷۶.

۸- غرر الحکم: ۵۵۴۱. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۶۵۳، ح۸۱۹۸.

نصیحه یجب أن تسمعها

إذا ادعی أحد أنه عبد لله تعالی یجب أن یصدق المدعی بالتلبس بثوب العبودیه وألا یلزم من دعواه الکذب والنفاق، ولیعلم العبد أن المولی لا یرید له إلا الخیر ولا راد لما یرید، وعلیه أن یعرف أن السبل غیر سبیل الله تعالی تؤدی إلی الفشل والتبع وعدم الاطمئنان بل قد تؤدی إلی ذل فی الدنیا، وحبط الأعمال وحرمان الثواب ووقوع الخزی والعذاب فی الآخره، وهذا ما یمکن استنباطه من حدیث الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام إذ یقول:

«أوحی الله تعالی إلی داود علیه السلام: یا داود تُرِیدُ وأُرِیدُ، ولا یکونُ إلاّ مَا أُرِیدُ، فإن أسلَمتَ بِما أرید أعطَیْتُکَ ما تُرِید، وإن لَم تُسلِمْ لِما أرِیدُ أتعَبتُکَ فیما تُرِیدُ، ثُمَّ لا یکونُ إلاّ ما أُرِیدُ»(۱).

التزود بالأعمال الصالحه

قرن الإیمان بالله تعالی وبأنبیائه ورسله وملائکته والیوم الآخر بالعمل الصالح ولولا هذا العمل الصالح لما صح أن یقال للإیمان إیمان لأن الإیمان هو العمل قبل کل شیء وهذا ما أکدته المحاوره بین الإمام الصادق علیه السلام والزبیری إذ سأله (عن أفضَل الأعمال عند الله: ما لا یقبل الله شیئا إلا به، قلت: وما هو؟ قال علیه السلام:

«الإیمانُ بِاللهِ الّذی لا إلهَ إلاّ هُوَ، أعلَی الأعمالِ دَرَجَهً وأشرَفُها مَنزِلَهً وأسناها حَظّاً».

قال، قلت: ألا تُخبِرُنی عن الإیمان، أقولٌ هوَ وعملٌ، أم قولٌ بلا عمل؟ فقال علیه السلام:

۱- التوحید للصدوق: ص۳۳۷. میزان الحکمه: ج۴، ص۱۴۷۸، ح۷۳۲۷.

«الإيمانُ عَمَلٌ كُلُّهُ، والقَولُ بَعضُ ذلِكَ العَمَلِ»(۱).

فمن هذا اتضح أن الإيمان والعمل متحدان لا ينفك أحدهما عن الآخر وإلا لفسدا وفقدا عنوانهما الحقيقى، وعند إحصاء وتأمل الآيات الكريمه التى ورد فيها الإيمان مقروناً بالعمل الصالح يظهر لنا مدى أهميه العمل الصالح ونتيقن أن الإيمان لا فائده فيه بل لا يتقوم إلا بالعمل الصالح، فلذا جاءت موعظه الإمام الحسين عليه السلام فى خطبه:

«فتزودوا فإن خير الزاد التقوى».

وتتالت الأحاديث الشريفه التى تؤكد على أهميه القول الصالح وعلى دوره فى حياه الإنسان وآخرته، إذ إن الإيمان والعمل الصالح بمثابه الجناحين اللذين يعرج بهما المؤمن إلى لقاء الله تعالى.

العمل مفتاح السعاده

كلنا ينشد السعاده ويعمل لنيلها، وكلنا يتمنى الحياه الطيبه الخاليه من الهم والغم والحزن، إلا أن ذلك لا ينال إلا بالعمل الصالح المقرون بالإيمان التام المبنى على العلم والمعرفه، فمن رام الدرجات الرفيعه وحلم بالسعاده الدنيويه فليؤمن ويعمل صالحا، ومن رغب بما عند الله تعالى من الرضا والرضوان والفوز بالجنان فليؤمن ويعمل صالحا، وهذا ما أشارت إليه الآيه الكريمه فى قوله تعالى:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(۲).

۱- الكافى: ج۲، ص۳۳، ح۱. ميزان الحكمه: ج۷، ص۲۸۲۶، ح۱۴۳۲۸.
۲- سوره النحل، الآيه: ۹۷.

وصرحت به الآیه الأخری فی قوله تعالی:

(وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِکَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا)(۱).

ولکی یتضح لنا کیف یکون العمل الصالح مفتاحا للسعاده لابد من الوقوف علی آثاره الدنیویه والأخرویه.

آثار وثمرات العمل الصالح فی الدنیا

اشاره

۱ العمل الصالح یوجب الرفعه والدرجه الراقیه التی تجعل صاحبها سیداً فی الدنیا والآخره، کما أکد ذلک أمیر المؤمنین بقوله:

«الشَّرَفُ عِندَ اللهِ سُبحانَهُ بِحُسنِ الأعمالِ، لا بحُسنِ الأقوالِ»(۲).

۲ یصل بک العمل الصالح إلی هدفک السامی کما فی قول الإمام علی علیه السلام:

«العِلْمُ یُرْشِدُکَ، وَالعَمَلُ یَبْلُغُ بِکَ الغایَهَ»(۳).

۳ یوجب مدح الناس وثناءهم کما صرح بذلک سید المتقین وأمیر المؤمنین بقوله:

«إنَّما یُسْتَدَلُّ عَلَی الصّالِحینَ بِما یُجْرِی اللهُ لَهُم عَلی ألسُنِ عِبادِهِ، فَلْیَکُنْ أحَبَّ الذَّخائِرَ إلَیکَ ذَخِیرَهُ العَمَلِ الصّالِحِ»(۴).

۴ للعمل الصالح أثر صالح علی عامله وعلی ذریته، وحفظ له ولمن حوله من الناس کما بیّن ذلک الإمام الصادق علیه السلام بقوله:

۱- سوره طه، الآیه: ۷۵.

۲- غرر الحکم: ۱۹۲۴. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۱۶، ح ۱۴۲۶۰.

۳- غرر الحکم: ۲۰۶۰. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۱۶، ح ۱۴۲۶۱.

۴- نهج البلاغه: الکتاب ۵۳. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۱۷، ح۱۴۲۷۷.

«إِنَّ اللهَ لَيُصْلِحُ بِصَلَاحِ الرَّجُلِ المُؤْمِنِ وُلْدَهُ، وَوُلْدَ وُلْدِهِ، وَيَحْفَظُهُ فى دُوَيْرَتِهِ، ودُوَيْراتٍ حَوْلَهُ، فَلَا يَزالونَ فى حِفْظِ اللهِ لِكَرامَتِهِ عَلَى اللهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الغُلَامَيْنِ، فَقالَ:

(وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا)(۱).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ شَكَرَ صَلَاحَ أَبَوَيْهِما لَهُما؟!»(۲).

۵ العمل الصالح يوجب القوه فى البدن والنفس كما فى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ يَعْمَلْ يَزْدَدْ قُوَّةً، مَنْ يُقَصِّرْ فى العَمَلِ يَزْدَدْ فَتْرَةً»(۳).

۶ العمل الصالح يؤدى أن يصلح الله دين العبد كما فى قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفاهُ الله أَمْرَ دُنْياهُ»(۴).

آثار العمل الصالح فى الآخره

۱ به ينال ما عند الله تعالى من الأجر كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«بِالْعَمَلِ يَحْصُلُ الثَّوَابُ لَا بِالْكَسَلِ»(۵).

۲ من خلال العمل الصالح نشعر بقيمه العلم ونلمس فائدته وهذا ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

۱- سوره الكهف، الآيه: ۸۲.

۲- تفسير العيّاشى: ج۲، ص۳۳۷، ح۶۳. ميزان الحكمه: ج۷، ص۲۸۳۳، ح ۱۴۳۷۰.

۳- غرر الحكم: ۷۹۹۰ ۷۹۹۱. ميزان الحكمه: ج۷، ص۲۷۱۶، ح۱۴۲۵۹.

۴- نهج البلاغه: الحكمه ۴۲۳. ميزان الحكمه: ج۷، ص۲۸۳۴، ح ۱۴۳۸۰.

۵- غرر الحكم: ۴۲۹۵. ميزان الحكمه: ج۷، ص۲۸۱۶، ح۱۴۲۶۲.

«بِحُسْنِ الْعَمَلِ تُجْنى ثَمَرَهُ الْعِلْمِ لَا بِحُسْنِ الْقَوْلِ»(۱).

۳ یرفد صاحبه بالنعم الوفیره کما فی قول الإمام الصادق علیه السلام:

«اعمَلوا قَلیلاً تنعَمُوا کَثیراً»(۲).

۴ یوجب حب الله تعالی ومن أحب الله فلا خوف علیه ولا یحزن من شیء وهو ما ذکره الإمام زین العابدین بقوله:

«إنَّ أَحَبَّکُمْ إلی اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أحْسَنُکُم عَمَلاً، وإنَّ أعظَمَکُمْ عِنْدَ اللهِ عَمَلاً أعْظَمُکُمْ فیما عِنْدَ اللهِ رَغْبَهً».

۵ العمل الصالح یهیئ لصاحبه المکان المریح والحیاه الهنیئه کما ذکر ذلک الإمام الباقر علیه السلام بقوله:

«إنَّ العَمَلَ الصّالِحَ یَذْهَبُ إلی الجَنَّهِ فَیُمَهِّدُ لِصاحِبِهِ کَما یَبْعَثُ الرَّجُلُ غُلَامَهُ فَیَفْرُشُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ:

(مَن کَفَرَ فَعَلَیْهِ کُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ یَمْهَدُونَ)(۳)»(۴).

۶ یرفد صاحبه بالثواب بعد وفاته وهذا ما أکدته الأحادیث الکثیره کقول النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم:

«سَبْعَهُ أسْباب یُکْتَبُ لِلْعَبْدِ ثَوابُها بَعْدَ وَفاتِهِ: رَجُلٌ غَرَسَ نَخْلاً، أو حَفَرَ بِئْراً، أو أجْری نَهْراً، أو بَنی مَسْجِداً، أو کَتَبَ مُصْحَفاً، أو وَرَّثَ عِلْماً، أو خَلَّفَ وَلَداً صالِحاً یَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ وَفاتِهِ»(۵).

۱- غرر الحکم: ۴۲۹۶. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۱۷، ح۱۴۲۶۸.

۲- تنبیه الخواطر: ج۲، ص۱۸۳. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۱۷، ح۱۴۲۷۲.

۳- سوره الروم، الآیه: ۴۴.

۴- بحار الأنوار: ج۷۱، ص۱۸۵، ۴۶. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۱، ح۱۴۲۸۶.

۵- تنبیه الخواطر: ج۲، ص۱۱۰. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۱ ۲۸۲۲، ح۱۴۲۸۸.

نصائح

۱ لا تنال الآخره ولا ینجو العبد إلا بالعمل الصالح وإن کان ذا مال ومنصب کما فی قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنّ لِأحَدِکُم ثَلاثَهَ أخِلّاءَ: مِنْهُمْ مَنْ یُمَتِّعُهُ بِما سَألَهُ فَذلِکَ مالُهُ، ومِنْهُم خَلیلٌ یَنطَلِقُ مَعَهُ حَتّی یَلِجَ القَبْرَ ولاَ یُعْطِیَهُ شَیْئاً ولاَ یَصْحَبُهُ بَعْدَ ذلِکَ فأولئِکَ قَریبُهُ، ومِنْهُمْ خَلیلٌ یَقولُ: وَاللهِ أنا ذاهِبٌ مَعَکَ حَیثُ ذَهَبْتَ ولَسْتُ مُفارِقَکَ! فذلِکَ عَمَلُهُ، إنْ کانَ خَیراً وإنْ کانَ شَرّاً»(۱).

أو کان ذا نسب وحسب وهذا بعینه ما ذکره الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«مَنْ أبْطأ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ یُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ (حَسَبُه)»(۲).

۲ ضروره الاستمرار علی عمل الخیر وإن کان قلیلا لما فی ذلک من أجر عظیم وفائده کبری، هذا ما ذکرته الأحادیث الشریفه عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«المُداوَمَهُ عَلَی العَمَلِ فی اتِّباعِ الآثارِ والسُّنَنِ وإنْ قَلَّ، أرْضی للهِ وأنفَعُ عِنْدَهُ فی العاقِبَهِ مِنَ الاجْتِهادِ فی البِدَعِ واتِّباعِ الأهْواءِ»(۳).

وعن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال:

«المُداوَمَهُ المُداوَمَه! فإنَّ اللهَ لَمْ یَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنینَ غایَهً إلاّ الْمَوْتَ»(۴).

۱- کنز العمال: ۴۲۷۵۹. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۱، ح۱۴۲۸۴.

۲- نهج البلاغه: الحکمه ۲۳، ۳۸۹. شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی: ج۱۸، ص۱۳۴. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۱۶، ح۱۴۲۶۳.

۳- الکافی: ج۸، ص۸، ح۱. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۲، ح۱۴۲۹۳.

۴- مستدرک الوسائل: ج۱، ص۱۳۰، ح۱۷۷. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۲، ح۱۴۲۹۲.

وعن الإمام الباقر علیه السلام بقوله:

«أحَبُّ الأعْمالِ إلی اللهِ عَزَّ وَجلَّ ما داوَمَ عَلَیْهِ العَبْدُ، وَإنْ قَلَّ»(۱).

۳ للمداومه علی فعل الخیر آثار حسنه یحتاجها الفرد والمجتمع هذا ما أکده رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«أمّا المُداوَمَهُ عَلی الخَیْرِ فَیَتَشَعَّبُ مِنْهُ: تَرْکُ الفَواحِشِ، والبُعْدُ مِنَ الطَّیْشِ، والتَّحَرُّجُ، وَالیَقینُ، وَحُبُّ النَّجاهِ، وطاعَهُ الرَّحْمنِ، وتَعْظیمُ البُرْهانِ، وَاجْتِنابُ الشَّیْطانِ، وَالإجابَهُ لِلْعَدْلِ، وَقَوْلُ الحَقِّ، فَهذا ما أصابَ العاقِلَ بِمُداوَمَهِ الخَیْرِ»(۲).

۴ العمل الصالح القلیل أفضل من العمل الکثیر الذی لا تطیقه النفس وتمل منه القلوب فلذا أرشدنا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلی ذلک بقوله:

«إنَّ النَّفْسَ مَلوله، وإنَّ أحَدَکُم لا یَدری ما قَدْرُ المُدَّهِ، فَلْیَنظُرْ مِنَ العِبادَهِ ما یُطیقُ، ثُمَّ لِیُداوِمْ عَلَیْهِ، فإنَّ أحَبَّ الأعْمالِ إلَی اللهِ ما دیمَ عَلَیْهِ وإنْ قَلَّ»(۳).

۵ انتبه إلی عملک وأحرص أن تکون له عاقبه حسنه ولذه دائمه، وهذا ما نبهنا إلیه أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«شَتّانَ ما بَیْنَ عَمَلَیْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقی تَبِعَتُهُ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤونَتُهُ وَیَبْقی أجْرُهُ»(۴).

۱- بحار الأنوار: ج۷۱، ص۲۱۹، ح۲۵. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۲، ح۱۴۲۹۵.

۲- تحف العقول: ص۱۷. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۴، ح۱۴۳۰۶.

۳- کنز العمال: ۵۳۱۲. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۴، ح۱۴۳۰۷.

۴- نهج البلاغه: الحکمه ۱۲۱. شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج۱۸، ص۳۱۰. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۳۴، ح۱۴۳۷۵.

أسئله مهمه

السؤال: لمَ نرى أن الجزاء على العمل أكبر وأضخم من العمل؟

الجواب: هناك بحث في بيان مدى الترابط بين العمل والجزاء وملخصه:

قبل بيان هذا الترابط لابد من توضيح السؤال أو الإشكال الوارد على العدل الإلهي ثم يتسنى لنا الجواب عنه.

الإشكال: إن الجزاء الأخروي في مقام العقاب لا يتناسب مع ا لذنب الذي يصدر عن العبد وهذا يدل على عدم عدل الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، فمثلا:

لو عبث إنسان في طريق العامه وأحدث فيه ما يعيبه لابد له من عقوبه جزاءً لما فعل، إلا أن هذه العقوبه خروج عن العداله ومخالفه لها.

وهكذا لو صدرت عن الإنسان غيبه مثلا فمات دون أن يتوب عنها لابد أن تكون لها عقوبه ولكن هذه العقوبه لابد أن تتناسب مع الفعل الحرام، إلا أننا نرى أن عقوبه فاعل الغيبه هي أن يكون طعاما لكلاب النار، أليس هذه العقوبه قاسيه وشديده، ومن هذا المنطلق نرى أن العقوبه لا تناسب الذنب وهذا ما يخالف العدل الإلهي؟

الجواب: ورد الجواب عند أهل الاختصاص من خلال هذه المقدمات وهي كما يلي:

۱ إن الآخره عالم لا يشبه عالم الدنيا في كثير من قوانينه، وعلى سبيل المثال:

ألف: في عالم الدنيا يحصل التغيير والانتقال من مرحله إلى أخرى كالإنسان يبدأ طفلًا رضيعا ثم يكون صبيا ثم يصبح شابا ثم يعرّج على الكهوله فالشيخوخه، أمّا في عالم الآخره لا طفوله ولا كهوله ولا شيخوخه بل لا موت ولا فناء.

بـاء: هـذا العالم هو عالم الزراعه والآخره عالم الحصاد وتحصـيل الثمار، أی أن العمل هنا دون حساب، وهناک الحساب والجزاء فقط، کما ورد عن أمیر المؤمنین علیه السلام:

«فَإِنَّ الیَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسابٌ، وإِنَّ غَداً حِسابٌ وَلاَ عَملٌ»(۱).

جیم: فی هذا العالم تستطیع أن تصحح الخطأ وتتوب عن الذنوب أمّا فی الآخره لیس لک الحق فی ذلک.

۲ إننا نؤمن أن ما یفعله الإنسان هنا هو الـذی یحـدد نوع المصـیر هناک وهـذا ما أکده رسولنا الکریم صـلی الله علیه وآله وسـلم بهذه الأحادیث الشریفه التی لو تأملها المنصف یجد الجواب علی سؤاله والحل لإشکاله وهی کما یلی:

جاء فی حدیث عن الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال:

«لَمّـا دَخَلْتُ الجَنَّهَ فی لَیْلَهِ المِعْراجِ شاهَـدْتُ مَلاَـئِکَهً یَبْنُونَ بُیوتـاً: بَعْضٌ مِنْ ذَهَبٍ وَآخَرٌ مِنْ فِضَّهٍ، وَأحْیانـاً یَتَوَقَّفـونَ عَنِ العَمَـلِ، فَسألْتُهُمْ لِماذا تَعْمَلونَ أحْیاناً وَتَقِفونَ عَنِ العَمَلِ أحْیاناً؟ فأجابوا، حَتّی تَصِلَنا إمْداداتُ صاحِبِ البِناءِ.

فسألتُ وَما تَقْصُدونَ بالإمْدادات؟ قالوا: ذِکْرُ المُؤمِنِ فی الدُنْیا قولُ سُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ ولاَ إلهَ إلاّ اللهُ وَاللهُ أکبرْ.

فَفی کُلِّ وَقْتٍ یَقولُ نَحْنُ نَبنی وفی کُلِّ وَقْتٍ یَتَوَقَّفُ نَحْنُ أیْضاً نَتَوَقَّفُ»(۲).

وجاء فی حدیث آخر عن الرسول الکریم صلی الله علیه وآله وسلم:

«کُلُّ مَنْ یَقُولُ سُبْحانَ اللهِ یُغْرِسُ اللهُ لَهُ فی الجَنَّهِ شَجَرَهً، وکُلُّ مَنْ یَقولُ الحَمْدُ

۱- موسوعه الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام فی الکتاب والسنه والتاریخ، محمد الریشهری: ج۴، ص۱۲۲، ح۱۳۵۱.

۲- وسائل الشیعه: ج۴، ص۱۲۰۸. العدل الإلهی، الشهید مرتضی المطهری: ص۲۵۴.

لِله يُغْرِسُ اللهُ لَهُ فی الجَنَّهِ شَجَرَهُ، وكُلُّ مَن يَقولُ لَا إلهَ إلّا اللهُ يُغْرِسُ لَهُ اللهُ شَجَرَهً فی الجَنَّهِ، وكُلُّ مَنْ يَقولُ اللهُ أكْبَرُ يُغْرِسُ اللهُ لَهُ شَجَرَهً فی الجَنَّهِ.

فقال لَهُ رَجُلٌ مِن قُرَيْشٍ: إذَنْ أشْجارُنا فی الجَنَّهِ كَثيرَه، فأجابَ النَّبی صلى الله عليه وآله وسلم:

نَعَمْ، وَلكِنْ حاذِروا أن تَبْعَثوا إلَيها ناراً تُحْرِقُها عَنْ بَكْرَهِ أبيها، وكَما قالَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالی:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)(۱))(۲).

مما تقدم نخلص إلى جواب وهو أن الأعمال تتجسم فی الآخره وكما يدل على ذلك قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَهً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

وقوله تعالى:

(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَهً وَلَا كَبِيرَهً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)(۳).

وهناك إضافه إلى ما تقدم من الجزاء هو أثر للعمل فلا يقال لماذا لا يتناسب الأثر مع العمل القبيح فمثلا: لو شرب رجل سما فی خمس دقائق وبسهوله ودون أن يؤذی أحدا فإنه يموت فلا يقال لماذا مات؟

۱- سوره محمد، الآيه: ۳۳.

۲- العدل الإلهی للشهيد مرتضى المطهری: ص۲۵۴.

۳- سوره الكهف، الآيه: ۴۹.

وإذا زنی أحد وأصیب بمرض زهری مدی حیاته فلا یقال لماذا لا یوجد تناسب بین الفعل الذی لم یستغرق إلا ساعه وبین نتیجه الفعل التی امتدت طوال عمر الفاعل، فإن هذه آثار لتلک الأعمال وهکذا فی الآخره فإن للأفعال آثارا لا تناسب الفعل.

السؤال: ما هی العوامل التی تساعد علی قبول الأعمال؟

الجواب: ذکرت الأحادیث الشریفه خصالاً کثیره ینبغی أن یتصف بها العامل لکی یقبل عمله وهی کما یلی:

۱ التقوی: ینبغی أن یتصف العامل بالتقوی والتلبس بالطاعات لأن الله تعالی لا یتقبل إلا من المتقین کما فی قوله تعالی:

(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)(۱).

وأکد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی وصیته للصحابی الجلیل أبی ذر رضی الله عنه علی أن التقوی سبب فی قبول العمل وإن کان قلیلا:

«یا أبا ذرٍّ، کُنْ بِالعَمَلِ بِالتَّقْوی أشَدَّ اهتِماماً مِنْکَ بِالعَمَلِ؛ فَإنَّهُ لَا یَقِلُّ عَمَلٌ بِالتَّقْوی، وکَیفَ یَقِلُّ عَمَلٌ یُتَقَبَّلُ؟! یَقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ))(۲).

۲ العقل: هو الملاک الذی یمتاز به المکلف عن غیره والمیزان الذی توزن به الأمور، والقوه التی تدرک بها العلوم والأشیاء فلذا ورد عن الإمام الکاظم علیه السلام:

«قَلیلُ العَمَلِ مِنَ العاقِلِ مَقْبولٌ مُضاعَفٌ، وَکَثیرُ العَمَلِ مِنْ أهلِ الهَوی وَالجَهْلِ مَردودٌ»(۳).

۱- سوره المائده، الآیه: ۲۷.

۲- مکارم الأخلاق: ج۲، ص۳۷۵، ح۲۶۶۱. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۷، ح۱۴۳۳۳.

۳- تحف العقول: ص۳۸۷. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۷، ح۱۴۳۳۴.

۳ الإخلاص: کل عمل لا یتصف بالإخلاص فهو ریاء ومردود علی صاحبه لأنه لم یرد به وجه الله تعالی یکله إلی من عمل له فإذا کان عمله لسمعه بین الناس أو تحصیل فائده منهم فلیأخذ أجره ممن عمل له وهذا ما أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«إنَّکَ لَنْ یُتَقَبَّلَ مِنْ عَمَلِکَ إلاّ ما أَخْلَصْتَ فیهِ»(۱).

السؤال: ما هی الموانع التی تمنع قبول الأعمال؟

الجواب: تقدم ذکر العوامل التی تساعد علی قبول الأعمال والآن لابد أن نحذر المؤمنین من موانع قبول الأعمال وهی کما یلی:

۱ عدم الاتصاف بالورع عن المعاصی وافتقاد العامل للخلق الحسن الذی یعاشر به الناس وسرعه الانفعال والغضب هی ما تمنع قبول الأعمال کما فی قول الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم:

«ثَلاثٌ مَنْ لَم تَکُنْ فیهِ لَمْ یَقُمْ لَهُ عَمَلٌ: وَرَعٌ یَحْجُزُهُ عَنِ مَعاصی اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وخُلْقٌ یُداری بِهِ النّاسَ، وَحِلْمٌ یَرُدُّ بِهِ جهلَ الجاهِلِ»(۲).

۲ الاختلال فی العقائد وانکار أصول الدین سبب مهم فی منع قبول العمل، سوء الخلق مع الوالدین والتقصیر معهما حاجبا لمنع العمل، والخیانه والهروب عند الجهاد مانع ثالث بمنع قبول الأعمال کما فی قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«ثَلاثَهٌ لاَ یَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ: الشِّرکُ بِاللهِ، وعُقوقُ الوالِدَینِ، والفِرارُ مِنَ الزَّحفِ»(۳).

۱- غرر الحکم: ۳۷۸۷. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۸، ح۱۴۳۳۵.

۲- الخصال: ص۱۲۵، ح۱۲۱. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۸، ح۱۴۳۳۷.

۳- کنز العمال: ۴۳۸۲۴، ۴۳۹۳۷. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۸، ح۱۴۳۴۱.

۳ إطلاق اللسان فيما حرم الله تعالى من الغيبه والنميمه والفحش بالقول والبذاءه والغناء وقذف المؤمنين وهجائهم والسخريه والاستهزاء بهم وغير ذلك من زلات اللسان لهو من أكبر الموانع لقبول العمل بل هو ينسف العمل نسفا كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما عَمِلَ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسانَهُ»(۱).

وكما فى قول الإمام الصادق عليه السلام لعَبّاد بن كثير البصرى الصوفى:

«وَيْحَكَ يا عَبّادُ! غَرَّكَ أنْ عَفَّ بَطْنُكَ وَفَرْجُكَ؟! إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ فى كِتابِهِ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (۷۰) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)(۲).

اعْلَمْ أنَّهُ لَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنْكَ شَيْئاً حَتّى تَقولَ قَولاً عَدْلاً»(۳).

۴ إخفاء الحقد والضغائن فى القلب على المؤمنين سبب آخر يمنع قبول الأعمال كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُؤْمِنٍ عَمَلاً وَهُوَ مُضْمِرٌ عَلى أخِيْهِ المُؤْمِنِ سُوءاً»(۴).

۵ الاستمرار على المعصيه بإصرار يعد من الكبائر التى لا يقبل معها أى طاعه كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

(لَا وَاللهِ لَا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئاً مِنْ طَاعَتِهِ عَلى الإصْرارِ عَلى شَيْءٍ مِنْ مَعاصيهِ»(۵).

السؤال: كيف نشخص العمل السيئ عند إلتباس الحق بالباطل؟

۱– بحار الأنوار: ج۷۷، ص۸۵. ميزان الحكمه: ج۷، ص۲۸۲۸، ح۱۴۳۴۲.

۲– سوره الأحزاب، الآيتان: ۷۰ و۷۱.

۳– الكافى: ج۸، ص۱۰۷، ح۸۱. ميزان الحكمه: ج۷، ص۲۸۲۹، ح۱۴۳۴۳.

۴– الكافى: ج۲، ص۳۶۱، ح۸. ميزان الحكمه: ج۷، ص۲۸۲۹، ح۱۴۳۴۷.

۵– الكافى: ج۲، ص۲۸۸، ح۳. ميزان الحكمه: ج۷، ص۲۸۲۹، ح۱۴۳۴۶.

الجواب:

لاشک أن الأعمال الصالحه معروفه واضحه وکذلک الأعمال السیئه إلاّ أن هناک میزانا نوزن به العمل نعرف من خلاله قبح العمل أو حسنه، ویمکن تلخیص ذلک من خلال هذه النقاط المهمه:

۱ إذا کان العمل مخجلا یستحی منه فهو قبیح، کما هو فی قول الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«احْذَرْ کُلَّ عَمَلٍ یُعْمَلُ بِهِ فی السِّرِّ، ویُسْتَحی مِنْهُ فی العَلَانِیَّهِ»(۱).

۲ إذا کان العمل یدعو للاعتذار فهو قبیح، کما ورد فی قول الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«احْذَرْ کُلَّ عَمَلٍ إذا سُئِلَ عَنْهُ صاحِبُهُ أنْکَرَهُ أوِ اعْتَذَرَ مِنْهُ»(۲).

۳ إذا کان العمل مما ینکره صاحبه فهو قبیح، حیث قال الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إیّاکَ وَکُلَّ عَمَلٍ إذا ذُکِرَ لِصاحِبِهِ أنْکَرَهُ»(۳).

۴ إذا کان العمل سببا فی تفرق الناس عنک أو یحط من مقامک، أو یوقع علیک ضرراً فی الدنیا وإثما فی الآخره، حیث ورد فی قول الإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام:

«إیّاکَ وَکُلَّ عَمَلٍ یُنَفِّرُ عَنْکَ حُرّاً، أو یُذِلَّ لَکَ قَدْراً، یَجْلِبُ عَلَیْکَ شَرّاً، أو تَحْمِلُ بِهِ إلَی القِیامَهِ وِزْراً»(۴).

۱- نهج البلاغه: الکتاب ۶۹. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۹، ح۱۴۳۵۶.

۲- میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۹، ح۱۴۳۵۷.

۳- بحار الأنوار: ج۷۱، ص۳۶۹، ح۱۹. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۲۹، ح۱۴۳۵۸.

۴- غرر الحکم: ۲۷۲۷. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۳۱، ح۱۴۳۵۹.

نصائح ضروریه

دأب الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم وأهل بیته الأطهار علیهم السلام علی إسداء النصائح إلی المؤمنین وإرشاد الأمه إلی طریق السعاده الدنیویه والأخرویه، ومما یدخل تحت هذا العنوان ما ورد عنهم (صلوات الله وسلامه علیهم أجمعین) من أحادیث تعد من نعم الله تعالی علینا وهی کما یلی:

۱ أوصی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أصحابه بالتمسک بالعلم واتخاذه فی کل عمل یریدون عمله کما فی قوله صلی الله علیه وآله وسلم فی وصیته لابن مسعود:

«یا بْنَ مَسْعودٍ، إذا عَمِلْتَ عَمَلاً فاعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ، وإیّاکَ وأن تَعْمَلَ عَمَلاً بِغَیْرِ تَدَ بُّرٍ وعِلْمٍ؛ فإنَّهُ جَلَّ جَلاَلُهُ یَقولُ:

(وَلَا تَکُونُوا کَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّهٍ أَنْکَاثًا)(۱)»(۲).

۲ علی کل من یعمل عملا لابد أن یضع نصب عینیه الثواب والعقاب لکی تستقیم أعماله وتکون عند الله تعالی مرضیه مقبوله کما أکد ذلک أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«اعْمَلْ عَمَلَ مَنْ یَعْلَمُ أنَّ اللهَ مَجازیهِ بِإساءَتِهِ وإحْسانِهِ»(۳).

۱- سوره النحل، الآیه: ۹۲.

۲- مکارم الأخلاق: ج۳، ص۳۶۱، ح۲۶۶۰. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۳۱، ح۱۴۳۶۰.

۳- غرر الحکم: ۲۳۵۲. میزان الحکمه: ج۷، ص۲۸۳۱، ح۱۴۳۶۱.

الخطبه السادسه: وفیها یُذکّر بفضائل أهل البیت علیهم السلام ویأمر باتّباعهم

اشاره

حمدَ الله وأثنی علیه، وصلّی علی النّبی فقال:

نص الخطبه

اشاره

(نَحْنُ حِزْبُ الله الْغـالِبُونَ، وَعِـتْرَهُ رَسُـولِ الله صَـلّی اللهُ عَلَیهِ وَآلهِ وَسَـلّم الأَـقْرَبُونَ، وَأهْـلُ بَیْتِهِ الطَّیِّبونَ، وَأحَـدُ الثَّقَلَینِ الَّذَیْنِ جَعَلْنا رَسُولُ اللهِ صَـلّی اللهُ عَلَیهِ وَآلهِ وَسَـلّم ثانِیَ کِتابِ اللهِ تَبارَکَ وَتَعالی، الّذی فیهِ تَفْصِـیلُ کُلِّ شَیءٍ، لا یَأتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنَ یَدَیْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ، وَالْمُعَوَّلُ عَلَیْنـا فی تَفْسـیرِهِ، لاـ یُبْطِئُنـا تَأْویلُهُ، بَلْ نَتَّبعُ حَقائِقَهُ، فَأَطیعُونا فَإِنَّ طاعَتَنا مَفْرُوضَهٌ، أنْ کانَتْ بطاعَهِ اللهِ وَرَسُولِهِ مَقْرُونَهٌ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ:

(یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللَّهِ وَالرَّسُولِ)(۱).

وَقَالَ عَزَّ وَجلَّ:

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَإِلَی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّیْطَانَ إِلَّا قَلِیلًا)(۲).

وَأحَذِّرُکُمْ الْإِصْغَاءَ إِلی هَتُوفِ الشَّیْطانِ بِکُمْ فَإِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبینٌ، فَتَکُونُوا

۱- سوره النساء، الآیه: ۵۹.

۲- سوره النساء، الآیه: ۸۳.

كَأَوْلِيائِهِ الَّذينَ قالَ لَهُمْ:

(لَا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّی جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلی عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْكُمْ)(۱).

فَتُلْقَوْنَ لِلسُّيُوفِ ضَرْباً، وَلِلرِّماحِ وِرْداً، وَلِلْعُمُدِ حَطْماً، وَلِلسِّهامِ غَرَضاً، ثُمّ لا يُقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فی إيمانِها خَيْراً).

(نَحْنُ حِزْبُ الله الْغالِبُونَ، وَعِتْرَهُ رَسُولِ الله صَلّی اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلّم الأَقْرَبُونَ، وَأهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبونَ، وَأحَدُ الثَّقَلَينِ الَّذيْنِ جَعَلْنا رَسُولُ اللهِ صَلّی اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلّم ثانِیَ كِتابِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالی، الّذی فيهِ تَفْصيلُ كُلِّ شَیءٍ، لا يَأتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ، وَالْمُعَوَّلُ عَلَيْنا فی تَفْسيرِهِ، لا يُبْطِئُنا تَأْوِيلُهُ، بَلْ نَتَّبعُ حَقائِقَهُ، فَأَطيعُونا فَإِنَّ طاعَتَنا مَفْرُوضَهٌ، أنْ كانَتْ بطاعَهِ اللهِ وَرَسُولِهِ مَقْرُونَهٌ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللَّهِ وَالرَّسُولِ).

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَإِلَی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...).

يشير بضمير الجمع إلی أهل بيت النبی صلی الله عليه وآله وسلم ويعرفهم بأنهم الجماعه القويه الصلبه القاهره والفائزه التی ترتبط بالله تعالی، ونسل رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وعشيرته الأقربون، وأهل بيته الأزكياء الطاهرون أو أحد الشيئين

۱- سوره الأنفال، الآيه: ۴۸.

العظيمين النفيسين الّذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الجهه المقابله للقرآن الكريم، هذا الكتاب الذى فيه بيان أجزاء كل شىء، لا يأتيه الباطل أى لا يقع منه ما يخالف الحق أو ما يخالف الصحيح من أمامه أو من وراء ظهره، والمعتمد علينا فى توضيح وشرح القرآن الكريم، ولا يتأخر علينا إرجاعه إلى أصله وحقيقته وباطنه، بل نطلب خالصه وكنهه، فانقادوا لنا فإن الانقياد لنا أمر واجب من الله تعالى، لأن طاعتنا ملازمه ومصاحبه لطاعه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (۱).

(وَأحَذِّرُكُمْ الْإِصْغَاءَ إِلى هَتُوفِ الشَّيْطانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبينٌ، فَتَكُونُوا كَأوْلِيائِهِ الَّذينَ قالَ لَهُمْ:

(لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ) (۲).

فَتُلْقُوْنَ لِلسُّيُوفِ ضَرْباً، وَلِلرِّماحِ وِرْداً، وَلِلْعُمُدِ حَطْماً، وَلِلسِّهامِ غَرَضاً، ثُمَ لا يَقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فى إيمانِها خَيْراً).

وأخوفكم من الاستماع إلى صياح الشيطان بكم فإنه لكم عدو ظاهر، فإذا استمعتم إلى هتوفه ستكونوا كأتباعه فتطرحون للسيوف الصوارم لتصيبكم، وتكونون مكانا لدخول الرماح، مكانا لتحطم وتكسر الأعمده، وهدفا لرمى السهام، ثم بعد ذلك لا يرضى عنكم إذا لم تكونوا مؤمنين قبل هذا اليوم أو أنكم مؤمنون غير عاملين بالخير والمعروف.

۱- سوره النساء، الآيه: ۵۹.

۲- سوره الأنفال، الآيه: ۴۸.

فضل أهل البيت عليهم السلام

تختلف مقامات البشر ورتبهم تبعا لاختلاف ذواتهم من حيث الخصائص والصفات الذاتيه والمؤهلات النفسيه، وحيث إن بعض هذه الصفات والمؤهلات ما هو ظاهر فيعرف بها صاحبها، وبعضا منها يبقى باطنا فلا يحيط بها إلّا خالقها سبحانه، ولذا صار المدح دليلا على مقام الممدوح وعلو رتبته، والذم دليلا على دنو رتبته وتسافله، إلّا أننا نواجه سؤالا مهما فى طرحنا هذا وهو: مَنْ له الحق فى تقييم البشر وإعطائهم الرتبه التى تناسب خصائصهم ومؤهلاتهم؟ ومن البديهى أن يكون الجواب كالآتى:

أن من له القدره على معرفه الخصائص والمؤهلات معرفه تامه دون الوقوع فى الاشتباه أو الالتباس هو صاحب الحق فى تقييم هؤلاء، وهذا لا ينطبق إلّا على المعصوم فى الرؤيا والتقييم، وهذا لا يكون إلا ممن له إحاطه تامه بهؤلاء البشر وهو ليس إلّا خالقهم سبحانه بناء على أن العلّه عالمه بمعلولها.

فإذا تبين أن الله تعالى هو من له الحق فى تقييم خلقه يلزم منه أن ما صدر من مدح إلهى فى حق فرد أو مجموعه هو المعيار فى تقديم وتفضيل هذا الفرد أو هذه المجموعه على غيرهم وهذا ما صرح به القرآن الكريم فى قوله تعالى:

(وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ)(۱).

فهو مدح إلهى صريح لفرد من أفراد البشر وهو الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم كما مدح غيره من الأنبياء فى آيات كثيره، وقوله تعالى:

(إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیرًا)(۲).

۱- سوره القلم، الآيه: ۴.

۲- سوره الأحزاب، الآيه: ۳۳.

هو أيضا مدح صريح لمجموعه من الأفراد وهم أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا صار لأهل بيت العصمه عليهم السلام فضل على غيرهم فضلهم الله تعالى به، وهناك أحاديث كثيره وردت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فنقف عليها ليتضح فضلهم وحقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الناس.

فضلهم فى القرآن الكريم

وردت الآيات الكريمه الكثيره التى تبين فضل أهل البيت عليهم السلام عن طريق مصادر أهل السنه وهى كما يلى:

۱ آیه تبين طهاره وعصمه أهل البيت عليهم السلام كما فى قوله تعالى:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

ورد فى صحيح مسلم (فى كتاب فضائل الصحابه، فى باب فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بسنده عن صفيه بنت شيبه قالت:

قالت عائشه: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداه وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمه فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال:

«إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً»)(۱).

۱- فضائل الخمسه: ج۱، ص۲۷۰. (أقول) ورواه الحاكم أيضا فى مستدرك الصحيحين: ج۳، ص۱۴۷، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه البيهقى أيضا فى سننه: ج۲، ص۱۴۹. ورواه ابن جرير أيضاً فى تفسيره: ج۲۲، ص۵، عن عائشه. وذكره السيوطى أيضا فى الدر المنثور فى تفسير آيه التطهير فى سوره الأحزاب وقال: أخرجه ابن أبى شيبه وأحمد وابن أبى حاتم، وذكره الزمخشرى فى الكشاف فى تفسير آيه المباهله بمناسبه وهكذا الفخر الرازى، وقال: واعلم أن هذه الروايه كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث (انتهى).

وجاء فی سنن الترمذی (روی بسنده عن عمرو بن أبی سلمه ربیب النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: لمّا نزلت هذه الآیه علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (۱).

فی بیت أم سلمه فدعا فاطمه وحسناً وحسیناً فجللهم بکساء وعلی علیه السلام خلف ظهره فجللهم بکساء ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا».

قالت أم سلمه: وأنا معهم یا نبی الله؟ قال:

«أنت علی مکانک وأنت علی خیر»)(۲).

۲ آیه المباهله التی تبین عصمه أهل البیت علیهم السلام علی النصاری فضلا عن الأمه الإسلامیه کما فی قوله تعالی:

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(۳).

ورد فی سنن الترمذی (روی بسنده عن عامر بن سعد بن أبی وقاص، عن أبیه، قال: لمّا أنزل الله هذه الآیه (ندع أبناءنا وأبناءکم) دعا رسول الله صلی الله علیه وآله

۱- سوره الأحزاب، الآیه: ۳۳.

۲- فضائل الخمسه: ج۱، ص۲۷۱. سنن الترمذی: ج۲، ص۲۰۹. (أقول) ورواه أیضا فی: ج۲، ص۳۰۸، ثم قال: وفی الباب عن أم سلمه ومعقل بن یسار وأبی الحمراء وأنس. ورواه الطحاوی أیضا فی مشکل الآثار: ج۱، ص۳۳۵. ورواه ابن الأثیر الجزری أیضاً فی أسد الغابه: ج۲، ص۱۲. ورواه ابن جریر الطبری أیضاً فی تفسیره: ج۲۲، ص۶ ۷، وقال عم أم سلمه.

۳- سوره آل عمران، الآیه: ۶۱.

وسلم علیاً وفاطمه وحسناً وحسیناً فقال:

«اللهم هؤلاء أهلی»(۱).

وروی الزمخشری فی الکشاف والفخر الرازی فی تفسیره الکبیر، فی ذیل تفسیر آیه المباهله فی سوره آل عمران، والشبلنجی فی نور الأبصار واللفظ للأخیر قال:

قال المفسرون: لمّا قرأ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم هذه الآیه علی وفد نجران ودعاهم إلی المباهله قالوا: حتی نرجع وننظر فی أمرنا ثم نأتیک غداً فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وکان کبیرهم وصاحب رأیهم ما تری یا عبد المسیح؟ قال: لقد عرفتم یا معشر النصاری أن محمداً نبی مرسل ولئن فعلتم ذلک لنهلکن (وفی روایه) قال لهم: والله ما لاعن قوم قط نبیاً إلا هلکوا عن آخرهم، فإن أبیتم إلا الإقامه علی ما أنتم علیه من القول فی صاحبکم فودعوا الرجل وانصرفوا إلی بلادکم، فأتوا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقد احتضن الحسن علیه السلام وأخذ بید الحسین علیه السلام وفاطمه علیها السلام تمشی خلفه، وعلی علیه السلام یمشی خلفها، والنبی صلی الله علیه وأله وسلم یقول لهم:

«إذا دعوت فأمنوا».

فلما رآهم أسقف نجران قال: یا معشر النصاری إنی لأری وجوهاً لو سألوا الله أن یزیل جبلا من مکانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلکوا ولا یبقی علی وجه الأرض نصرانی إلی یوم القیامه، فقالوا: یا أبا القاسم قد رأینا أن لا نباهلک وأن نترکک علی دینک وتترکنا علی دیننا، فقال لهم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«فإن أبیتم المباهله فأسلموا یکن لکم ما للمسلم وعلیکم ما علیهم»

۱- فضائل الخمسه: ج۱، ص۲۹۱. سنن الترمذی: ج۲، ص۱۶۶. (أقول) ورواه الحاکم أیضا فی مستدرک الصحیحین: ج۳، ص۱۵۰، وقال: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین. ورواه البیهقی أیضا فی سننه: ج۷، ص۶۳.

فأبوا ذلک فقال:

«إنی أنابذکم».

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقه ولکنا نصالحک علی أن لا تغزونا ولا تخیفنا ولا تردنا عن دیننا، وأن نؤدی إلیک فی کل سنه ألفی حله، ألفاً فی صفر وألفاً فی رجب (قال: وزاد فی روایه) وثلاثاً وثلاثین درعاً عادیه وثلاثةً وثلاثین بعیراً وأربعةً وثلاثین فرساً غازیه فصالحهم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی ذلک، وقال:

«والذی نفسی بیده إن العذاب تدلی علی أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قرده وخنازیر ولاضطرم علیهم الوادی ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتی الطیر علی الشجر، وما حال الحول علی النصاری کلهم حتی هلکوا».

(قال) أخرجه الخازن وغیره)(۱).

۳ سوره هل أتی تبین مقام ورتبه أهل البیت علیهم السلام عند ربهم کما فی:

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)(۲).

ورد فی أسد الغابه لابن الأثیر الجزری (فی ترجمه فضه النوبیه، روی بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس قال: فی قوله تعالی:

(يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)(۳).

قال: مرض الحسن والحسین علیهما السلام فعادهما جدهما رسول الله صلی الله

۱- فضائل الخمسه: ج۱، ص۲۹۱ ۲۹۲. نور الأبصار، الشبلنجی: ص۱۰۰.
۲- سوره الإنسان، الآیتان: ۸ و۹.
۳- سوره الإنسان، الآیتان: ۷ و۸.

علیه وآله وسلم وعادهما عامه العرب، فقالوا: یا أبا الحسن لو نذرت علی ولدک نذراً، فقال علی علیه السلام:

«إن برئا مما بهما صمت لله عزّ وجل ثلاثه أیام شکراً».

وقالت فاطمه علیها السلام کذلک، وقالت جاریه یقال لها فضه نوبیه إن برئا سیدای صمت لله عزّ وجل شکراً فألب الغلامان العافیه ولیس عند آل محمد قلیل ولا کثیر.

فانطلق علی علیه السلام إلی شمعون الخیبری فاستقرض منه ثلاثه أصوع من شعیر فجاء بها فوضعها فقامت فاطمه علیها السلام إلی صاع فطحنته واختبزته وصلی علی علیه السلام مع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ثم أتی المنزل فوضع الطعام بین یدیه إذ أتاهم مسکین فوقف بالباب فقال: السلام علیکم أهل بیت محمد، مسکین من أولاد المسلمین أطعمونی أطعمکم الله عزّ وجل علی موائد الجنه، فسمعه علی علیه السلام فأمرهم فأعطوه الطعام ومکثوا یومهم ولیلتهم لم یذوقوا إلاّ الماء.

فلما کان الیوم الثانی قامت فاطمه علیها السلام إلی صاع وخبزته وصلی علی علیه السلام مع النبی صلی الله علیه وآله وسلم ووضع الطعام بین یدیه إذ أتاهم یتیم فوقف بالباب وقال: السلام علیکم أهل بیت محمد یتیم بالباب من أولاد المهاجرین استشهد والدی أطعمونی فأعطوه الطعام فمکثوا یومین لم یذوقوا إلا الماء.

فلما کان الیوم الثالث قامت فاطمه علیها السلام إلی الصاع الباقی فطحنته واختبزته فصلی علی علیه السلام مع النبی صلی الله علیه وآله وسلم ووضع الطعام بین یدیه إذ أتاهم أسیر فوقف بالباب وقال: السلام علیکم أهل بیت النبوه تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا، أطعمونی فإنی أسیر فأعطوه الطعام ومکثوا ثلاثه أیام ولیالیها لم یذوقوا إلا الماء، فأتاهم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فرأی ما

بهم من الجوع فأنزل الله تعالی:

(هَلْ أَتَی عَلَی الْإِنْسَانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئًا مَذْکُورًا (۱) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِیعًا بَصِیرًا (۲) إِنَّا هَدَیْنَاهُ السَّبِیلَ إِمَّا شَاکِرًا وَإِمَّا کَفُورًا (۳) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْکَافِرِینَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِیرًا (۴) إِنَّ الْأَبْرَارَ یَشْرَبُونَ مِنْ کَأْسٍ کَانَ مِزَاجُهَا کَافُورًا (۵) عَیْنًا یَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ یُفَجِّرُونَهَا تَفْجِیرًا (۶) یُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَیَخَافُونَ یَوْمًا کَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِیرًا (۷) وَیُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَی حُبِّهِ مِسْکِینًا وَیَتِیمًا وَأَسِیرًا (۸) إِنَّمَا نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِیدُ مِنْکُمْ جَزَاءً وَلَا شُکُورًا)(۱).

ثم قال: أخرجها أبو موسی)(۲).

وذکر الواحدی فی أسباب النزول (فی بیان نزول قوله تعالی:

(وَیُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَی حُبِّهِ مِسْکِینًا وَیَتِیمًا وَأَسِیرًا).

فی سوره هل أتی قال: قال عطاء عن ابن عباس، وذلک أن علی بن أبی طالب علیه السلام نوبه آجر نفسه یسقی نخلاً بشیء من شعیر لیله حتی أصبح وقبض الشعیر وطحن ثلثه فجعلوا منه شیئا لیأکلوه یقال له الحریره فلما تم إنضاجه أتی مسکین فأخرجوا إلیه الطعام، ثم عمل الثلث الثانی فلما تم إنضاجه أتی یتیم فسأله فأطعموه إیاه، ثم عمل الثلث الباقی فلما تم إنضاجه أتی أسیر من المشرکین فأطعموه وطووا، یومهم ذلک، فأنزلت فیه هذه الآیه)(۳).

۱- سوره الإنسان، الآیات: ۱ إلی ۹.

۲- فضائل الخمسه للسید مرتضی الفیروز آبادی: ص۳۰۱ ۳۰۲. أسد الغابه لابن أثیر: ج۵، ص۵۳۰.

۳- فضائل الخمسه للسید مرتضی الفیروز آبادی: ج۱، ص۳۰۲ ۳۰۳. أسباب النزول، الواحدی: ص۳۳۱. (أقول) وذکره المحب الطبری أیضاً فی الریاض النضره: ج۲، ص۲۲۷، وقال فیه: یقال له الحریره دقیق بلا دهن وقال: هذا قول الحسن وقتاده إن الأسیر کان من المشرکین، وقال سعید ابن جبیر: الأسیر المحبوس من أهل القبله. وذکره أیضا فی ذخائره: ص۱۰۲.

۴ آیه الموده التی دعا الله تعالی فیها الأمه الإسلامیه إلی محبه واحترام أهل البیت علیهم السلام، یفهم من هذه الآیه الکریمه ما لهؤلاء الأطهار علیهم السلام من منزله عند الله تعالی وعند رسوله صلی الله علیه وآله وسلم:

(قُلْ لَا أَسْأَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبَی وَمَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَهً نَزِدْ لَهُ فِیهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَکُورٌ)(۱).

ورد فی تفسیر ابن جریر الطبری:

(روی بسنده عن أبی إسحاق قال: سألت عمره بن شعیب عن قول الله عزّ وجل:

(قُلْ لَا أَسْأَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبَی).

قال: قربی النبی صلی الله علیه وآله وسلم)(۲).

ورد عن السیوطی فی الدر المنثور (وأخرج ابن مردویه من طریق ابن المبارک عن ابن عباس فی قوله: (إلا الموده فی القربی) قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم :

«تحفظونی فی قرابتی»)(۳).

ورد أیضا عن السیوطی فی الدر المنثور (وأخرج أبو نعیم والدیلمی عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«(لا أسألکم علیه أجراً إلا الموده فی القربی) أن تحفظونی فی أهل بیتی وتودوهم بی)»(۴).

۱- سوره الشوری، الآیه: ۲۳.

۲- فضائل الخمسه، السید مرتضی الفیروز آبادی: ج۱، ص۳۰۶. تفسیر الطبری: ج۲۵، ص۱۷.

۳- فضائل الخمسه، السید مرتضی الفیروز آبادی: ج۱، ص۳۰۷. الدر المنثور للسیوطی.

۴- المصدر السابق.

فضلهم علیهم السلام فی السنه النبویه

بعد أن بیّنا فضلهم علیهم السلام فی القرآن الکریم عن طریق مصادر أهل السنه صار من المناسب أن نقرن ذلک الذی بینا ببیان ما جاء فی فضلهم علیهم السلام علی لسان النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم وعن ذات الطریق لیکون حجه لنا علی غیرنا وهو کالآتی:

۱ حدیث الثقلین الذی یصرح بفضل أهل البیت علیهم السلام ودورهم فی قیاده الأمه ویبین حاجتها لهم کحاجتها لکتاب الله تعالی کما ورد ذلک فی سنن الترمذی:

(حَدَّثَنَا عَلِیُّ بْنُ الْمُنْذِرِ کُوفِیٌّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَیْلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ عَطِیَّهَ عَنْ أَبِی سَعِیدٍ وَالأَعْمَشُ عَنْ حَبِیبِ بْنِ أَبِی ثَابِتٍ عَنْ زَیْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالاَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وآله وسلم :

«إِنِّی تَارِکٌ فِیکُمْ مَا إِنْ تَمَسَّکْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِی أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ کِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَی الأَرْضِ وَعِتْرَتِی أَهْلُ بَیْتِی وَلَنْ یَتَفَرَّقَا حَتَّی یَرِدَا عَلَیَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُوا کَیْفَ تَخْلُفُونِی فِیهِمَا».

قَالَ هَذَا حَدِیثٌ حَسَنٌ غَرِیبٌ)(۱).

۲ وما ذکره صاحب مستدرک الصحیحین فیه بیان أن أهل البیت علیهم السلام هم المراجع الذی ترجع إلیه الأمه بعد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: وهم الذین یرفعون الاختلاف الذی یقع فیها:

(عن سلیمان الأعمش قال: ثنا حبیب بن أبی ثابت، عن أبی الطفیل، عن زید بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من حجه الوداع ونزل

۱- سنن الترمذی: ج۱۳، ص۴۰۹، ح۴۱۵۷.

غدیر خم أمر بدوحات فقمن، فقال:

«کأنی قد دعیت فأجبت، إنی قد ترکت فیکم الثقلین: أحدهما أکبر من الآخر، کتاب الله تعالی، وعترتی، فانظروا کیف تخلفونی فیهما، فإنهما لن یتفرقا حتی یردا علی الحوض»(۱).

۳ الروایات التی تذکر أن نسب أهل البیت علیهم السلام وحسبهم فوق کل نسب وحسب وأفضل من کل نسب وحسب فی الدنیا والآخره کثیره نذکر منها:

جاس فی الجامع الصغیر للسیوطی:

«کل نسب وصهر ینقطع یوم القیامه إلا نسبی وصهری»(۲).

وجاء فی مسند أحمد: (عَنْ عُبَیْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِی رَافِعٍ عَنِ الْمِسْوَرِ قَالَ: بَعَثَ حَسَنُ بْنُ حَسَنٍ إِلَی الْمِسْوَرِ یَخْطُبُ بِنْتًا لَهُ قَالَ لَهُ تُوَافِینِی فِی الْعَتَمَهِ فَلَقِیَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ الْمِسْوَرُ فَقَالَ مَا مِنْ سَبَبٍ وَلا نَسَبٍ وَلاَ صِهْرٍ أَحَبُّ إِلَیَّ مِنْ نَسَبِکُمْ وَصِهْرِکُمْ وَلَکِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ:

«فَاطِمَهُ شُجْنَهٌ مِنِّی یَبْسُطُنِی مَا بَسَطَهَا وَیَقْبِضُنِی مَا قَبَضَهَا وَإِنَّهُ یَنْقَطِعُ یَوْمَ الْقِیَامَهِ الأَنْسَابُ وَالأَسْبَابُ إِلاّ نَسَبِی وَسَبَبِی».

وَتَحْتَکَ ابْنَتُهَا وَلَوْ زَوَّجْتُکَ قَبَضَهَا ذَلِکَ فَذَهَبَ عَاذِرًا لَهُ)(۳).

۴ هناک روایات متفرقه تشیر إلی فضائل متعدده یقف المرء مذهولا أمامها وهی کالآتی:

۱- المستدرک علی الصحیحین للنیسابوری: ج۱۰، ص۳۷۷، ح۴۵۵۳، وج۱۱، ص۱۸، ح۴۶۹۴، باختلاف بسیط (إنی تارک فیکم الثقلین، کتاب الله، وأهل بیتی، وإنما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض).

۲- الجامع الصغیر لجلال الدین السیوطی: ج۲، ص۲۸۸، ح۶۳۶۱.

۳- مسند أحمد بن حنبل: ج۳۸، ص۳۹۲، ح۱۸۱۶۷.

عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

«یا أیها الناس إنی فرط لکم وإنکم واردون علیَّ الحوضَ حوض أعرض ما بین صنعاء وبصری فیه عدد النجوم قدحان من فضه وإنی سائلکم حین تردون علی عن الثقلین فانظروا کیف تخلفونی فیهما الثقل الأکبر کتاب الله سبب طرفه بید الله وطرفه بأیدیکم فاستمسکوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا عترتی أهل بیتی فإنه قد نبأنی اللطیف الخبیر أنهما لن یفترقا حتی یردا علیَّ الحوضَ».

الطبرانی ، وأبو نعیم فی الحلیه ، والخطیب عن أبی الطفیل عن حذیفه بن أسید)(۱).

وجاء فی مسند أحمد بن حنبل: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ قَالَ حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِیُّ عَنْ شَدَّادٍ أَبِی عَمَّارٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَی وَاثِلَهَ بْنِ الأَسْقَعِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَذَکَرُوا عَلِیًّا فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِی أَلا أُخْبِرُکَ بِمَا رَأَیْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآله وَسَلَّمَ قُلْتُ بَلَی قَالَ أَتَیْتُ فَاطِمَهَ رَضِیَ اللَّهُ تَعَالَی عَنْهَا أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِیٍّ قَالَتْ:

«تَوَجَّهَ إِلَی رَسُولِ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآله وَسَلَّمَ».

فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّی جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ وآله وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَلِیٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَیْنٌ رَضِیَ اللَّهُ تَعَالَی عَنْهُمْ آخِذٌ کُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِیَدِهِ حَتَّی دَخَلَ فَأَدْنَی عَلِیًّا وَفَاطِمَهَ فَأَجْلَسَهُمَا بَیْنَ یَدَیْهِ وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَیْنًا کُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَی فَخِذِهِ ثُمَّ لَفَّ عَلَیْهِمْ ثَوْبَهُ أَوْ قَالَ کِسَاءً ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآیَهَ:

(إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیرًا)(۲).

وَقَالَ:

۱- الجامع الکبیر للسیوطی: ج۱، ص۲۶۷۸۸، ح۶۷۷.

۲- سوره الأحزاب، الآیه: ۳۳.

«اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِى وَأَهْلُ بَيْتِى أَحَقُّ»[(١)]().

نكتفى بهذا المقدار لعلمنا أنه كاف لكل ذى لب، علما أن هناك فضائل لا يحيط بها أحد من الناس إلا الراسخون فى العلم.

بحث عقائدى

العدل الثانى

الحديث عن القرآن والوقوف على حقائقه وبواطنه لا يتسنى إلا للمعصوم الذى سدده الله تعالى ليكون حجه على الناس، وهذا أمر لا جدال فيه كما فى القرآن الكريم من غرائب وعجائب وعلوم وحكم عبر وأمثال محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وبلاغه وبيان وفصاحه وتحدى وانتصار وغيب وشهود وأدب وأخلاق وعقائد وسنن، ولخص كل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه للقرآن عندما قال:

«ترد على أحدهم القضيه فى حكم من الأحكام، فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضيه بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاه بذلك عند الإمام الذى استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعا وإلههم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد. أفأمرهم الله بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصا فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول:

(مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ)[(٢)]().

١- مسند أحمد بن حنبل: ج۳۴، ص ۳۵۰، ح ۱۶۳۷۴.

٢- سوره الأنعام، الآيه: ۳۸.

وفیه تبیان کل شیء، وذکر أن الکتاب یصدق بعضه بعضا، وأنه لا اختلاف فیه، فقال سبحانه وتعالی:

(وَلَوْ کَانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلَافًا کَثِیرًا)(۱).

وإن القرآن ظاهره أنیق وباطنه عمیق»(۲).

ولابد أن یکون القرآن الکریم هکذا لکی یصلح أن یکون منهاجاً البشر إلی الکمال والفوز والسعاده فی الدنیا والآخره.

ولکی نسلط الضوء علی وصف القرآن الکریم لابـد أن نطّلع علی أقوال محمد وآل محمد صلوات الله علیهم فی وصف کتاب الله العظیم:

۱ عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لمّا قیل له: أمَّتُکَ سَتُفتَنُ: ما المَخرَجُ مِن ذلک، قال:

«کِتابُ اللهِ العَزیزُ، الذی لَا یَأتیهِ الباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزیلٌ مِنْ حَکیمٍ حَمیدٍ، مَنِ ابْتَغی العِلْمَ فی غَیْرِهِ أضَلَّهُ اللهُ»(۳).

۲ عن أمیر المؤمنین علیه السلام فی صفه القرآن قال:

«جَعَلَهُ اللهُ ریّاً لِعَطَشِ العُلَماءِ، وَرَبیعاً لِقُلوبِ الفُقَهاءِ، وَمَحاجّ لِطُرُقِ الصُّلَحاءِ، وَدَواءً لیسَ بَعْدَهُ داءٌ، ونوراً لیسَ مَعَهُ ظَلمَهٌ»(۴).

وعنه علیه السلام أیضا:

«اعْلَموا أنَّ هذا القرآنَ هُوَ النّاصِحُ الذی لَا یَغُشُّ، والهادی الذی لَا یَضِلُّ،

۱- سوره النساء، الآیه: ۸۲.

۲- نهج البلاغه، الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: ج۱، ص۵۴ ۵۵، ح۱۸.

۳- تفسیر العیاشی: ج۱، ص۶، ح۱۱. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۲۵، ح۱۶۴۱۱.

۴- نهج البلاغه: الخطبه ۱۹۸. شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج۱۰، ص۱۹۹. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۲۵، ح۱۶۴۱۲.

والمُحَدِّثُ الذی لَا یَکْذِبُ، وما جالَسَ هذا القرآنَ أحَدٌ إلّا قامَ عَنْهُ بزِیادَهٍ أو نُقْصانٍ، زیادَهٍ فی هُدًی، أو نُقْصانٍ مِن عَمًی»(۱).

۳ عن الإمام الحسن علیه السلام قال:

«إنّ هـذا القرآنَ فیِهِ مَصابیـحُ النُّورِ وشِـفاءُ الصُّدورِ، فَلْیَجلُ جـالٍ بِضَوئِهِ، ولیُلجمِ الصِّفَهَ قَلبَهُ فـإنَّ التَّفکیرَ حَیاهُ القَلبِ البَصیرِ کما یَمشی المُستَنیرُ فی الظُّلُماتِ بالنّورِ»(۲).

۴ عن الإمام الصادق علیه السلام لمّا سُئل: ما بالُ القرآن لا یَزدادُ عَلی النَّشرِ والدَّرس إلّا غَضاضَهً؟، قال:

«لأنَّ الله تَبارَکَ وَتَعالی لَمْ یَجْعَلْهُ لِزَمانٍ دونَ زَمانٍ، ولاَ لِناسٍ دونَ ناسٍ، فَهُوَ فی کُلِّ زَمانٍ جَدیدٌ، وعِنْدَ کُلِّ قَوْمٍ غَضٌّ إلی یَومِ القِیامَهِ»(۳).

۵ عن الإمام الرضا علیه السلام فی صفه القرآن قال:

«هُوَ حَبْلُ اللهِ المَتینُ، وَعُرْوَتُهُ الوُثْقی، وَطَریقَتُهُ المُثلی، المُؤَدّی إلَی الجَنَّهِ، والمُنجی مِنَ النّارِ، لَا یَخْلُقُ عَلی الأزْمِنَهِ، ولاَ یَغِثّ علی الألْسِنَهِ، لأنَّهُ لَمْ یُجْعَلْ لِزَمانٍ دونَ زَمانٍ، بَلْ جُعِلَ دَلیلَ البُرْهانِ، والحُجَّهَ عَلی کُلِّ إنسانٍ، لَا یَأتیهِ الباطِلُ مِنْ بَیْنَ یَدَیْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزیلٌ مِنْ حَکیمٍ حَمیدٍ»(۴).

بعد أن عرفنا وصف القرآن عن أهله صار تأکید النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم علی التمسک به هادیاً ولازما للأمه التی تبغی النجاه فی الدنیا والسعاده فی الآخره.

۱- نهج البلاغه: الخطبه ۱۷۶. شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج ۱۰، ص۱۸. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۲۵ ۳۳۲۶، ح۱۶۴۱۳.

۲- کشف الغمّه: ج ۲، ص۱۹۹. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۲۹ ۳۳۳۰، ح۱۶۴۳۸.

۳- بحار الأنوار: ج ۹۲، ص۱۵، ح۸ وح۹. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۲۸، ح۱۶۴۳۵.س

۴- عیون أخبار الرضا علیه السلام: ج ۲، ص ۱۳۰، ح۹. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۲۹، ح۱۶۴۳۶.

ولکی نصل إلی معرفه من له القدره علی فهم القرآن الکریم لابد أن نقف علی حقیقتهم:

۱ عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال:

«ما أنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آیَهً إلاّ لَها ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وکُلُّ حَرْفٍ حَدٌّ، وکُلُّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ»(۱).

۲ عن الإمام زینُ العابدین علیه السلام قال:

«کِتابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ علی أرْبَعَهِ أشْیاءَ: عَلی العِبارَهِ، وَالإشارَهِ، واللَّطائِفِ، وَالحَقائِقِ، فَالعِبارَهُ لِلْعَوامِّ، وَالإشارَهُ لِلْخَواصِّ، واللَّطائِفُ لِلأَوْلِیاءِ، وَالحَقائِقُ لِلأَنْبیاءِ»(۲).

۳ عن الإمام الباقر علیه السلام قال:

«إنَّ لِلْقُرآنِ بَطْناً، ولِلْبَطْنِ بَطْناً، ولَهُ ظَهْرٌ، ولِلظَّهْرِ ظَهْرٌ... وَلَیْسَ شیءٌ أبْعَدَ مِنْ عُقولِ الرِّجالِ مِنْ تَفْسیرِ القرآنِ، إنَّ الآیَهَ لَتَکُونُ أوَّلُها فی شَیء وَآخِرُها فی شیءٍ، وهُوَ کَلامٌ مُتَّصِلٌ یَتَصرَّفُ عَلی وُجوهٍ»(۳).

وبعد معرفه حقیقته اتضح لنا نهی رسول الله صلی الله علیه وسلم وآله الطاهرین علیهم السلام عن تفسیر القرآن الکریم بالفهم الخاص والرأی والجهل کما فی قولهم (صلوات الله علیهم).

۱ قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«قالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: ما آمَنَ بی مَنْ فَسَّرَ بِرَأیِهِ کَلامی»(۴).

۱- کنز العمال: ۲۴۶۱. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۴۹، ح ۱۶۵۷۰.

۲- بحار الأنوار: ج۹۲، ص۲۰، ح۱۸. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۴۹، ح ۱۶۵۷۱.

۳- بحار الأنوار: ج۹۲، ص۹۵، ص۴۸. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۴۹، ح ۱۶۵۷۲.

۴- بحار الأنوار: ج۹۲، ص۱۰۷، ح۱. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۴۹، ح۱۶۵۷۵.

۲ عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال:

«مَنْ قالَ فی القرآنِ بِغَیْرِ عِلْمٍ فَلْیَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ»(۱).

۳ عن النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال:

«مَنْ تَکَلَّمَ فی القُرآنِ بِرَأیْهِ فَأَصابَ فَقَدْ أخْطَأَ»(۲).

۴ قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«أکْثَرُ ما أخافُ علی أُمَّتِی مِنْ بَعْدی رَجُلٌ یَتَأَوَّلُ القُرْآنَ یَضَعُهُ عَلی غَیْرِ مَواضِعِهِ»(۳).

۵ عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال:

«مَنْ فَسَّر القُرآنَ بِرَأْیِهِ فَأَصابَ لَمْ یُؤْجَرْ، وَإنْ أخْطَأَ کانَ إثْمُهُ عَلَیْهِ»(۴).

۶ قال الإمام الباقر علیه السلام لِقَتادهَ بنِ دِعامه:

«یا قَتادَهُ، أنْتَ فَقیهُ أهْلِ البَصْرَهِ؟».

فقالَ: هکَذا یَزْعُمونَ، فقالَ أبو جَعْفَرٍ علیه السلام:

«بَلَغَنی أنَّکَ تُفَسِّرُ القُرآنَ».

قالَ لَهُ قَتادهُ: نَعَمْ، فقالَ أبو جَعْفَرٍ علیه السلام:

بِعِلْمٍ تُفَسِّرُهُ أمْ بِجَهْلٍ؟».

قال: لا، بِعِلْمٍ إلی أن قالَ :

«یا قَتادَهُ إنّما یَعْرِفُ القُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ»(۵).

۱- کنز العمال: ۲۹۵۸. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۴۹، ح۱۶۵۷۷.

۲- بحار الأنوار: ج۹۲، ص۱۱۱، ح۲۰. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۵۰، ح۱۶۵۷۸.

۳- منیه المرید: ص۳۶۹. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۵۰، ح ۱۶۵۸۰.

۴- بحار الأنوار: ج۹۲، ص۱۱۰، ح۱۱. میزان الحکمه: ج۸، ص۳۳۴۹، ح۱۶۵۷۶.

۵- الکافی: ج۸، ص ۳۱۱، ح ۴۸۵. میزان الحکه: ج۸، ص ۳۳۵۰، ح ۱۶۵۸۲.

وبما تقدم من هذه الروايات الشريفه نصل إلى أن القرآن الكريم أهلاً يبينونه كما أمرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس أولئك إلاّ عتره النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يتقدمهم أبوهم أمير المؤمنين عليه السلام، وبمجرد الوقوف على قول أمير المؤمنين عليه السلام فى حق القرآن الكريم يتضح صدق دعوانا أن عليا وأولاده هم القادرون على حمل القرآن الكريم وفهمه ومعرفته فيقول أمير المؤمنين:

«إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى أَنْزَلَ القُرْآنَ عَلى سَبْعَهِ أَقْسامٍ، كُلٌّ مِنْها شافٍ كافٍ، وَهى: أَمْرٌ، وَزَجْرٌ، وَتَرْغيبٌ، وَتَرْهيبٌ، وَجَدَلٌ، وَمَثَلٌ، وَقُصَصٌ.

وَفى القُرْآنِ ناسِخٌ ومَنْسُوخٌ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشابِهٌ، وَخاصٌّ وَعامٌ، وَمُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ، وَعَزائِمُ وَرُخَصٌ، وَحَلَالٌ وَحرامٌ، وَفَرائِضُ وَأَحْكامٌ، وَمُنْقَطِعٌ وَمَعْطوفٌ، وَمُنْقَطِعٌ غَيْرُ مَعْطوفٍ، وَحَرْفٌ مَكانَ حَرْفٍ.

وَمِنْهُ ما لَفْظُهُ خاصٌّ، وَمِنْهُ ما لَفْظُهُ عامٌ مُحْتَمِلُ العُمُومِ، وَمِنْهُ ما لَفْظُهُ واحِدٌ وَمَعْناهُ جَمْعٌ، وَمِنْهُ ما لَفْظُهُ جَمْعٌ وَمَعْناهُ واحِدٌ، وَمِنْهُ ما لَفْظُهُ ماضٍ وَمَعْناهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَمِنْهُ ما لَفْظُهُ عَلى الخَبَرِ وَمَعْناهُ حِكايَهٌ عَنْ قَوْمٍ آخَرَ، وَمِنْهُ ما هُوَ باقٍ مُحَرَّفٌ عَنْ جِهَتِهِ، وَمِنْهُ ما هُوَ عَلى خِلَافِ تَنزيلِهِ، وَمِنْهُ ما تَأويلُهُ فى تَنْزيلِهِ، وَمِنْهُ ما تَأويلُهُ قَبْلَ تَنْزيلِهِ، وَمِنْهُ ما تَأويلُهُ بَعْدَ تَنْزيلِهِ.

وَمِنْهُ آياتٌ بَعْضُها فى سُورَهٍ وَتَمامُها فى سُورَهٍ أخرى، وَمِنْهُ آياتٌ نِصْفُها مَنْسُوخٌ وَنِصْفُها مَتْروكٌ عَلى حالِهِ، وَمِنْهُ آياتٌ مُخْتَلِفَهُ اللَّفْظِ مُتَّفِقَهُ المَعْنى، وَمِنْهُ آياتٌ مُتَّفِقَهُ اللَّفْظِ مُخْتَلِفَهُ المَعْنى، وَمِنْهُ آياتٌ فيها رُخْصَهٌ وَإطْلَاقٌ بَعْدَ العَزيمَهِ، لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخَصِهِ كَما يُؤْخَذُ بِعَزائِمِهِ.

وَمِنْهُ رُخْصَهُ صاحِبِها فيها بِالْخِيارِ إنْ شاءَ أَخَذَ وَإِنْ شاءَ تَرَكَها، وَمِنْهُ رُخْصَهٌ

ظاهِرُهـا خِلاَفُ باطِنِها يُعْمَلُ بِظاهِرِهـا عِنْدَ التَّقيَّهِ وَلاَ يُعْمَلُ بباطِنِها مَعَ التَّقِيَّهِ، وَمِنْهُ مُخاطَبَهٌ لِقَوم وَالمَعْنى لِآخَرينَ، وَمِنْهُ مُخاطَبَهٌ لِلنَّبى (صلى الله عليه وآله) وَمَعْناهُ واقِعٌ عَلى أُمَّتِهِ، وَمِنْهُ لاَ يُعْرَفُ تحريمُهُ إلاَّ بِتَحْليلِهِ، وَمِنْهُ ما تأليفُهُ وَتَنْزيلُهُ عَلى غَيْرِ مَعنى ما أُنْزِلَ فيه.

وَمِنْهُ رَدٌّ مِنَ اللهِ تَعالى وَاحْتِجاجٌ عَلى جَميعِ المُلْحِدينَ وَالزَّنادِقَهِ وَالدَّهْريَّهِ وَالثَّنَوِيَّهِ وَالقَدَرِيَّهِ وَالمُجَبِّرَهِ وَعَبَدَهِ الأَوْثانِ وَعَبدِهِ النِّيرانِ، وَمِنْهُ احْتِجاجٌ عَلى النَّصارى فى المَسيحِ (عليه السلام)، وَمِنْهُ الرَّدُ عَلى اليَهُودِ، وَمِنْهُ الرَّدُ عَلى مَنْ زعَمَ أنَّ الإِيمانَ لاَ يَزيدُ وَلاَ يَنْقُصُ وَأَنَّ الكُفْرَ كَذلِكَ، وَمِنْهُ رَدٌّ عَلى مَنْ زعَمَ أَنَّ لَيْسَ بَعْدَ المَوْتِ وَقَبْلَ القِيامَهِ ثَوابٌ وَعِقابٌ»(۱).

فالابتعاد عن أمير المؤمنين عليه السلام وعتره النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى فهم القرآن الكريم يقود إلى الهلاك وهذا ما صرح به الإمام على عليه السلام لمّا سئل عن تفسير المحكم والمتشابه من كتاب الله عز وجل:

«أمّا المُحْكَمُ الذى لَمْ يَنْسَخْهُ شَىءٌ مِنَ القُرْآنِ فَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:

(هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)(۲).

وإنَّما هَلَكَ النّاسُ فى المُتَشابِهِ لأَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا عَلى مَعْناهُ وَلَمْ يَعْرِفوا حَقيقَتَهُ، فَوَضَعوا لَهُ تَأويلاَتٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ بِآرائِهِم واسْتَغْنَوا بِذلِكَ عَنْ مَسْأَلَهِ الأَوْصِياءِ.... .

وَأمّا المُتَشابِهِ مِنَ القُرْآنِ فَهُوَ الّذى انْحَرَفَ مِنْهُ، مُتَّفِقُ اللَّفْظِ مُخْتَلِفُ المَعْنى، مِثلُ قَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

۱- بحار الأنوار: ج۹۳، ص۴. ميزان الحكمه: ج۸، ص۳۳۵۱ ۳۳۵۲، ح۱۶۵۸۸

۲- سوره آل عمران، الآيه: ۷.

(يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ)(۱).

فَنَسَبَ الضَّلَالَهَ إلى نَفْسِهِ فى هَذا المَوْضِعِ، وَهَذا ضَلالُهُمْ عَنْ طَرِيقِ الجَنَّهِ بِفِعْلِهِمْ، وَنَسَبَهُ إلى الكُفّارِ فى مَوْضِعٍ آخَرَ وَنَسَبَهُ إلى الأصْنامِ فى آيَهٍ أخْرى»(۲).

ولكى نخلص إلى وجوب الابتعاد عن الضلال والهلاك علينا التمسك بعتره النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم العدل الثانى للقرآن الكريم كما جاء ذلك فى حديث الثقلين الذى رواه جمع كبير من الصحابه.

وتأكيدا لصحه الحديث عند شيعه أهل البيت عليهم السلام نذكر الحديث من مصادر أهل السنه وهى كما يلى:

۱ صحيح الترمذى

۲۹۸۰ عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى ولن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما»(۳).

۲ القاموس المحيط

ومنه الحديث:

«إنّى تاركُ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كتابَ اللهِ وعِتْرَتى»(۴).

۱- سوره المدثر، الآيه: ۳۱.

۲- بحار الأنوار: ج۹۳، ص۱۱، أنظر تمام الكلام. ميزان الحكمه: ج۸، ص۳۳۵۲ ۳۳۵۳، ح۱۶۵۸۹.

۳- صحيح الترمذى: ج۳، ص۲۲۷، ح ۲۹۸۰.

۴- القاموس المحيط للفيروز آبادى: ج۳، ص۶۳.

٣ مسند أحمد

١٠٧٠٧ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِى ابْنَ طَلْحَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ:

إِنِّى أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَإِنِّى تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِتْرَتِى كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِى أَهْلُ بَيْتِى وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِى أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُونِى بِمَ تَخْلُفُونِى فِيهِمَا»(١).

۴ الطبقات الكبرى لابن سعد

أخبرنا هاشم بن القاسم الكنانى، أخبرنا محمد بن طلحه عن الأعمش عن عطيه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى، صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«إنى أوشك أن أدعى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما»(٢).

۵ المعجم الكبير للطبرانى

۴۹۶۹ حدثنا محمد بن حيان المازنى حدثنا كثير بن يحيى ثنا أبو كثير بن يحيى ثنا أبو عوانه وسعيد بن عبد الكريم بن سليط الحنفى عن الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن عمرو بن واثله عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجه الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمت ثم قال فقال:

١- مسند أحمد بن حنبل: ج٢٢، ص٢٥٢، ح١٠٧٠٧.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٢، ص١٩۴.

«کأنی قد دعیت فأجبت إنی تارک فیکم الثقلین أحدهما أکبر من الآخر کتاب الله وعترتی أهل بیتی فانظروا کیف تحلفونی فیهما؟ فانهما لن یتفرعا حتی یردا علی علی الحوض».

ثم قال:

«إن الله مولای وأنا ولی کل مؤمن».

ثم أخذ بید علی فقال:

«من کنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقلت لزید: أنت سمعته من رسول الله؟ فقال: ما کان فی الدوحات أحد إلا قد راه بعینیه وسمعه بأذنیه(۱).

۶ جامع الأصول

۶۷۰۸ یزید بن حیان، قال: انطلقْتُ أنا وحُصینُ بنُ سَبْرةَ وعمرُ بنُ مسلم إلی زید بن أرقم، فلما جلسنا إلیه قال له حُصین: لقد لقیتَ یا زیدُ خیرا کثیرا رأیتَ رسولَ الله صلی الله علیه (وآله) وسلم ، وسمعتَ حدیثَه، حدِّثْنا یا زیدُ ما سمعتَ من رسولِ الله صلی الله علیه (وآله) وسلم ، قال: یا ابنَ أخی، فما حدَّثْتُکم فاقْبلوا، ومالا فلا تُکلِّفونیه، ثم قال:

قام رسولُ الله صلی الله علیه (وآله) وسلم یوما فینا خطیبا بماء یُدعی: خُمّا، بین مکةَ والمدینهِ، فَحمِد الله وأثنی علیه، ووعظ وذکَّر، ثم قال:

«أما بعدُ، ألا أیُّها الناس، إنما أنا بشر، یُوشِکُ أن یأتیَ رسولُ ربی فأُجیبَ، وإنی تارِک فیکم ثَقَلَیْن، أولُهما: کتابُ الله، فیه الهدی والنور، فخذوا بکتاب الله، واستمسکوا به».

۱- المعجم الکبیر للطبرانی: ج۵، ص۱۶۶، ح۴۹۶۹.

فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال:

«وأهلُ بيتى، أُذَكِّرُكُم الله فى أهل بيتى، أُذَكِّركم الله فى أهل بيتى، (أذكِّركم الله فى أهل بيتى)».

فقال له حصين: ومَن أهلُ بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهلُ بيته مَن حُرِمَ الصدقةَ بعدَه، قال: ومَن هم؟ قال: هم آلُ عليّ، وآلُ عقيل، وآلُ جعفر، وآلُ عباس، قال: كلُّ هؤلاء حُرِمَ الصدقه؟ قال: نعم).

زاد فى روايه «كتابُ الله، فيه الهدى والنور، مَن استمسک به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلّ»(۱).

۷ مسند عبد بن حميد

۲۶۷ عن يزيـد بن حيان، قال: سـمعت زيـد بن أرقم، يقول: قام فينا رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أمـا بعـد أيهـا النـاس فإنمـا أنا بشـر يوشک أن يأتينى رسول ربى فأجيبه، وإنى تارک فيکم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهـدى والنور فتمسکوا بكتاب الله وخذوا به».

فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال:

«وأهل بيتى؛ أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاث مرات».

فقال حصين: يا زيد، ومن أهل بيته؟ أليست نساؤه من أهل بيته؟.

قال: بلى، إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقه بعده.

قال: ومن هم؟ قال: آل على، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس.

۱- جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير: ج۹، ص۶۷۰۸، ح۶۷۰۸.

قال: کل هؤلاء حرم الصدقه؟ قال: نعم(۱).

۸ الدر المنثور

وأخرج أحمد عن زید بن ثابت قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنی تارک فیکم خلیفتین: کتاب الله عز وجل حبل ممدود ما بین السماء والأرض، وعترتی وأهل بیتی، وإنهما لن یتفرقا حتی یردا علیّ الحوض»(۲).

۹ الجامع الصغیر

قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

«أما بعد ألاـ أیها الناس! فإنما أنا بشر یوشک أن یأتینی رسول ربی فأجیب وأنا تارک فیکم ثقلین أولهما کتاب الله فیه الهدی والنور من استمسک به وأخذ به کان علی الهدی ومن أخطأه ضل فخذوا بکتاب الله تعالی واستمسکوا به وأهل بیتی أذکرکم الله فی أهل بیتی أذکرکم الله فی أهل بیتی».

۱۰ مصنف ابن أبی شیبه

۳۰۰۸۱ حدثنا زکریا قال حدثنا عطیه عن أبی سعید الخدری أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال:

«إنی تارک فیکم الثقلین أحدهما أکبر من الآخر کتاب الله حبل ممدود من السماء إلی الأرض»(۳).

۱- مسند عبد بن حمید: ج۱، ص۲۸۶، ح۲۶۷.

۲- الدر المنثور للسیوطی: ج۲، ص۴۰۱.

۳- مصنف ابن أبی شیبه: ج۶، ص۱۳۳، ح۳۰۰۸۱.

۱۱ المستدرک علی الصحیحین

۴۵۵۳ حدثنا أبو الحسین محمد بن أحمد بن تمیم الحنظلی، ثنا أبو قلابه عبد الملک بن محمد الرقاشی، ثنا یحیی بن حماد، وحدثنی أبو بکر محمد بن بالویه، وأبو بکر أحمد بن جعفر البزار قالا: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا یحیی بن حماد، ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادی، ثنا خلف بن سالم المخرمی، ثنا یحیی بن حماد، ثنا أبو عوانه، عن سلیمان الأعمش قال: ثنا حبیب بن أبی ثابت، عن أبی الطفیل، عن زید بن أرقم قال:

لما رجع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من حجه الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقمن، فقال:

«کأنی قد دعیت فأجبت، إنی قد ترکت فیکم الثقلین: أحدهما أکبر من الآخر، کتاب الله تعالی، وعترتی، فانظروا کیف تخلفونی فیهما، فإنهما لن یتفرقا حتی یردا علی الحوض(۱)»(۲).

۱۲ کتاب السنه

۱۳۳۵ (حدثنا أبو مسعود الرازی، حدثنا زید بن عوف، حدثنا أبو عوانه، عن الأعمش، عن حبیب بن أبی ثابت، عن أبی الطفیل، عن زید بن أرقم، قال:

لما رجع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من حجه الوداع کان بغدیر خم، قال:

«کأنی قد دعیت فأجبت، وإنی تارک فیکم الثقلین، أحدهما أکبر من الآخر: کتاب الله، وعترتی، فانظروا کیف تخلفونی فیهما، ولن یتفرقا حتی یردا علی الحوض، وإن الله مولای، وأنا ولی المؤمنین».

۱- الحوض: نهر الکوثر.

۲- المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج ۱۰، ص۳۷۷، ح۴۵۵۳.

ثم أخذ بيد على رضى الله عنهما، فقال:

«من كنت وليه فعلى وليه(۱)».

فقال: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: ما كان فى الركاب إلا قد سمعه بأذنيه ورآه بعينيه.

قال الأعمش: فحدثنا عطيه، عن أبى سعيد، بمثل ذلک)(۲).

۱۳ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

۱۴۹۶۲ (عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنى تارک فيکم الثقلين أحدهما أکبر من الآخر: کتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض».

رواه الطبرانى فى الأوسط وفى إسناده رجال مختلف فيهم)(۳).

الجامع الصغير بشرح المناوى

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنى تارک فيکم».

بعد موتى.

«خليفتين».

۱- الولى والمولى: من المشترک اللفظى الذى يطلق على عده معان منها الرّبّ، والسيد والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتق، والمنعم عليه وکل من ولى أمرا أو قام به فهو وليه ومولاه.

۲- السنه لابن أبى عاصم: ج۴، ص۷۲، ح۱۳۳۵.

۳- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى: ج۹، ص۲۵۷، ح۱۴۹۶۲.

زاد فی روایه، أحدهما أکبر من الآخر.

«کتاب الله».

القرآن.

«حبل».

أی هو حبل.

«ممدود ما».

زائده.

«بین السماء والأرض».

قیل أراد به عهده وقیل أراد به السبب الموصل لرضاه.

«وعترتی».

بمثناه فوقیه.

«أهل بیتی».

تفصیل بعد إجمال بدلاً أو بیاناً وهم أصحاب الکساء یعنی أن علمتم بالقرآن واهتدیتم بهدی عترتی العلماء لم تضلوا.

«وإنهما لن یفترقا».

أی الکتاب والعتره.

«حتی یردا علیّ الحوض».

الکوثر یوم القیامه وقیل أراد به بعترته العلماء العاملین لأنهم الـذین لا یفارقون القرآن أما نحو جاهل وعالم مخلط فلا وإنما ینظر للأصل والعنصر عنـد التحلی بالفضائل والتخلی عن الرذائل فکما أن کتاب الله فیه الناسـخ والمنسوخ المرتفع الحکم فکذا ترتفع القدوه بالمخذولین منهم.

فيض القدير

۲۶۳۱ قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنی تارک فیکم».

بعد وفاتی.

«خلیفتین».

زاد فی روایه أحدهما أکبر من الآخر وفی روایه بدل خلیفتین ثقلین سماهما به لعظم شأنهما.

«کتاب الله».

القرآن.

«حبل».

أی هو حبل.

«ممدود ما بین السماء والأرض».

قیل أراد به عهده وقیل السبب الموصل إلی رضاه.

«وعترتی».

بمثناه فوقیه.

«أهل بیتی».

تفصیل بعد إجمال بدلا أو بیانا وهم أصحاب الکساء الذین أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا.

وقیل من حرمت علیه الزکاه ورجحه القرطبی یعنی إن ائتمرتم بأوامر کتابه وانتهیتم بنواهیه واهتدیتم بهدی عترتی واقتدیتم بسیرتهم اهتدیتم فلم تضلوا.

قال القرطبی: وهذه الوصیه وهذا التأکید العظیم یقتضی وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقیرهم ومحبتهم وجوب الفروض المؤکده التی لا عذر لأحد فی التخلف

عنها هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبأنهم جزء منه فإنهم أصوله التى نشأ عنها وفروعه التى نشأوا عنه كما قال:

«فاطمه بضعه منى».

ومع ذلک فقابل بنو أميه عظيم هذه الحقوق بالمخالفه والعقوق فسفکوا من أهل البيت دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا سبهم ولعنهم فخالفوا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فى وصيته وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته فوا خجلهم إذا وقفوا بين يديه ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه:

«وإنهما».

أى والحال أنهما وفى روايه أن اللطيف أخبرنى أنهما.

«لن يفترقا».

أى الکتاب والعتره أى يستمرا متلازمين.

«حتى يردا علىّ الحوض».

أى الکوثر يوم القيامه.

زاد فى روايه کهاتين وأشار بأصبعيه وفى هذا مع قوله أولا إنى تارک فيکم تلويح بل تصريح بأنهما کتوأمين خلفهما ووصى أمته بحسن معاملتهما وإيثار حقهما على أنفسهما واستمساک بهما فى الدين أما الکتاب فلأنه معدن العلوم الدينيه والأسرار والحکم الشرعيه وکنوز الحقائق وخفايا الدقائق وأما العتره فلأن العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين فطيب العنصر يؤدى إلى حسن الأخلاق ومحاسنها تؤدى إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته)(١).

١- فيض القدير للمناوى: ج٣، ص١٤، ح٢٦٣١.

رواه حدیث الثقلین (الصحابه)

۱ أمیر المؤمنین علیه السلام.

۲ الحسن السبط علیه السلام.

۳ أبو ذر الغفاری.

۴ سلمان الفارسی.

۵ جابر بن عبد الله الأنصاری.

۶ أبو الهیثم بن التیهان.

۷ حذیفه بن الیمان.

۸ حذیفه بن أسید.

۹ أبو سعید الخدری.

۱۰ خزیمه بن ثابت.

۱۱ عبد الرحمن بن عون.

۱۲ طلحه.

۱۳ أبو هریره.

۱۴ سعد بن أبی وقاص.

۱۵ أبو أیوب الأنصاری.

۱۶ عمرو بن العاص.

۱۷ فاطمه الزهراء علیها السلام.

۱۸ أم سلمه أم المؤمنین.

١٩ زيد بن ثابت.

٢٠ أم هانئ بنت أبی طالب.

رواه حدیث الثقلین (التابعین)

۱ سعید بن مسروق الثوری.

۲ سلیمان بن مهران الأعمش.

۳ محمد بن إسحاق، صاحب السیره.

۴ محمد بن سعد، صاحب الطبقات.

۵ أبو بکر بن أبی شیبه، صاحب المصنف.

۶ ابن راهویه، صاحب المسند.

۷ أحمد بن حنبل، صاحب المسند.

۸ عبد بن حمید، صاحب المسند.

۹ مسلم بن الحجاج، صاحب الصحیح.

۱۰ ابن ماجه القزوینی، صاحب السنن.

۱۱ أبو داود السجستانی، صاحب السنن.

۱۲ الترمذی، صاحب السنن.

۱۳ ابن أبی عاصم، صاحب کتاب السنه.

۱۴ أبو بکر البزاز، صاحب المسند.

۱۵ النسائی، صاحب السنن.

۱۶ أبو یعلی الموصلی، صاحب المسند.

۱۷ محمد بن جریر الطبری، صاحب التاریخ والتفسیر.

۱۸ أبو القاسم الطبرانی، صاحب المعاجم.

۱۹ أبو الحسن الدارقطنی البغدادی.

۲۰ الحاکم النیسابوری، صاحب المستدرک.

۲۱ أبو نعیم الإصفهانی.

۲۲ أبو بکر البیهقی، صاحب السنن.

۲۳ ابن عبد البر، صاحب الاستیعاب.

۲۴ الخطیب البغدادی، تاریخ بغداد.

۲۵ محیی السنه البغوی، مصابیح السنه.

۲۶ رزین العبدری، الجمع بین الصحاح السته.

۲۷ القاضی عیاض، کتاب الشفاء.

۲۸ ابن عساکر الدمشقی، تاریخ دمشق.

۲۹ ابن الأثیر الجزری، أسد الغابه.

۳۰ الفخر الرازی، التفسیر الکبیر.

۳۱ الضیاء المقدسی، کتاب المختاره.

۳۲ أبو بکر زکریا النووی، صاحب شرح صحیح مسلم.

۳۳ أبو الحجاج المزی، تهذیب الکمال.

۳۴ شمس الدین الذهبی، صاحب تاریخ الإسلام میزان الاعتدال.

۳۵ ابن کثیر الدمشقی، التاریخ والتفسیر.

۳۶ نور الدین الهیثمی، مجمع الزوائد.

۳۷ جلال الدین السیوطی، صاحب الدر المنثور.

۳۸ شهاب الدین القسطلانی، رثا البخاری.

۳۹ شمس الدین الصالحی الدمشقی.

۴۰ ابن حجر العسقلانی.

۴۱ ابن طولوان الدمشقی.

۴۲ ابن حجر المکی، صاحب الصواعق.

۴۳ صاحب کنز العمال.

۴۴ علی القاری الهروی، الأوقات فی شرح المکان.

۴۵ المناوی، الجامع.

۴۶ا لحلبی، السیره.

۴۷ دحلان، صاحب السیره.

۴۸ منصور علی ناصف، صاحب التاج.

۴۹ النبهانی.

۵۰ المبارک، شارح صحیح الترمذی.

طاعه الشیطان

اشاره

قوله علیه السلام:

(وَأحَذِّرُکُمْ الإِصْغَاءَ إِلی هَتُوفِ الشَّیْطانِ بِکُمْ فَإِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبینٌ، فَتَکُونُوا کَأوْلِیائِهِ الَّذینَ قالَ لَهُمْ).

(لَا غَالِبَ لَکُمُ الْیَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّی جَارٌ لَکُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَکَصَ عَلَی عَقِبَیْهِ وَقَالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ)(۱).

۱- سوره الأنفال، الآیه: ۴۸.

فَتُلْقُوْنَ لِلسُّيُوفِ ضَـرْباً، وَلِلرِّمـاحِ وِرْداً، وَلِلْعُمُـدِ حَطْمـاً، وَلِلسِّهـامِ غَرَضـاً، ثُمَمَ لاـ يَقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فی إیمانِها خَیْراً).

لا یحتاج المؤمن إلی بیان عـداوه الشـیطان ولا یحتاج إلی معرفه طرق النجاه منه بعـد أن صـرح القرآن الکریـم بذلک ما فی قوله تعالی:

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)(۱).

وقوله تعالی:

(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاکَ عَلَى إِخْوَتِکَ فَيَكِيدُوا لَکَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)(۲).

وقوله تعالی:

(وَقُلْ لِعِبَادِی يَقُولُوا الَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا)(۳).

ولکن لاـ بأس فی التـذکیر بعـداوه الشـیطان والتحـذیر من حبائله لاسـیما إذا عرفنا أن لإبلیس طرقا خفیه ومکائـداً کثیره وأفخاخا متعدده یصـطاد بها من یغفل عنه، ولکی نقف علی تحذیرات أهل البیت علیهم السـلام ونواهیهم عن اتباع الشیطان لابد من ذکر ما ورد عنهم (صلوات الله علیهم أجمعین):

۱ ورد عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ما یبین أن الشیطان عدو لا صلح معه ولا هدنه حینما یعظ ابن مسعود یقول:

۱- سوره فاطر، الآیه: ۶.

۲- سوره یوسف، الآیه: ۵.

۳- سوره الإسراء، الآیه: ۵۳.

«یا بنَ مَسْعودٍ، اتَخِذِ الشَّیْطانَ عَدُوّاً؛ فَإنَّ اللهَ تَعالی یَقولُ:

(إِنَّ الشَّیْطَانَ لَکُمْ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ)(۱)»(۲).

۲ وحذر أمیر المؤمنین علیه السلام من الشیطان لما له من قدره علی اقتحام قلوب المؤمنین:

«احْذَرُوا عَدُوّاً نَفَذَ فی الصُّدورِ خَفِیّاً، ونَفَثَ فی الآذانِ نَجِیّاً»(۳).

۳ جاء عن الإمام الصادق علیه السلام ما یؤکد أن للشیطان أفخاخاً ومکائدَ کما فی قوله صلی الله علیه وآله وسلم:

«لَقَدْ نَصَبَ إبْلیسُ حَبائِلَهُ فی دارِ الغُرورِ، فَما یَقْصِدُ فیها إلاّ أوْلِیاءَنا»(۴).

۴ حذر أمیر المؤمنین علیه السلام من فتن الشیطان دونک من خلال بیان هذه الفتن:

«الفِتَنُ ثَلاثٌ: حُبُّ النِّساءِ وَهُوَ سَیْفُ الشَّیْطانِ، وشُرْبُ الخَمْرِ وَهُوَ فَخُّ الشَّیْطانِ، وحُبُّ الدِّینارِ والدِّرْهَمِ وهُوَ سَهْمُ الشَّیْطانِ»(۵).

۵ ولشده تأثیر الشیطان علی الإنسان یعلمنا الإمام السجاد علیه السلام فی مناجاته کیف ندعو الله تعالی لینجینا منه کما فی قوله علیه السلام:

«إلهی أشْکُو إلَیْکَ عَدُوّاً یُضِلُّنی، وَشَیْطاناً یُغْوینی، قَدْ مَلأَ بِالوَسْواسِ صَدْری، وأحاطَتْ هَواجِسُهُ بِقَلْبی، یُعاضِدُ لی الهَوی، ویُزَیِّنُ لی حُبَّ الدُّنیا، وَیَحولُ بَیْنی وَبَیْنَ الطّاعَهِ وَالزُّلْفی»(۶).

۱- سوره فاطر، الآیه: ۶.

۲- مکارم الأخلاق: ج۲، ۲۳۵۴، ح ۲۶۶۰. میزان الحکمه: ج۵، ص ۱۹۱۹ ۱۹۲۰، ح ۹۳۶۹.

۳- غرر الحکم: ۲۶۲۳. میزان الحکمه: ج۵، ص ۱۹۲۰، ح ۹۳۷۱.

۴- تحف العقول: ص ۳۰۱. میزان الحکمه: ج۵، ص ۱۹۲۰، ح ۹۳۷۵.

۵- کنز العمال: ۳۰۸۸۳. میزان الحکمه: ج۵، ص ۱۹۲۱، ح ۹۳۷۶.س

۶- بحار الأنوار: ج۹۴، ص۱۴۳، ح ۲۱. میزان الحکمه: ج۵، ص ۱۹۲۰، ح ۹۳۷۲.

بعـد أن عرفنا مكائد الشـيطان وحبائله وفتنه صار لزاما علينا مجاهده هذا المخلوق الذى لا هم له إلا إيقاعنا فى معصـيه الله تعالى، وهذا ما أكده الإمام الكاظم عليه السلام بقوله لمّا سُئِلَ عن أوجب الأعداء مجاهده:

«أقْرَبُهُمْ إلَيْکَ وَأعَداهُمْ لَکَ... وَمَنْ يُحَرِّضُ أعْداءَکَ عَلَيْکَ، وَهُوَ إبليسُ»(۱).

فعـدم الابتعاد عن الشـيطان يوجب الوقوع فى معصـيه الله تعالى بل يوجب الوقوع فى شـرک الطاعه وهذا الشـرک هو أحد أنواع الشرک الذى قالت عنه الآيه الكريمه:

(إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)(۲).

ولنوضّح الأمر نقول: إن الأوامر تصدر من الله تعالى أو من قبل أنبيائه ورسله وأوليائه فلذلک قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْكُمْ)(۳).

وهـذه الأوامر لا شک أنها تصب فى مصـلحه الإنسان فى الدنيا وتكسـبه الجنان فى الآخره، إلا أن هناک طرفاً آخر يصدر أوامراً مخالفه للأوامر الإلهيه بل يزين ويسوّل لنا لنطيعه فى هـذه الأوامر ألا وهو إبليس، فإن أطعناه فى أوامره هـذه وأطعنا الله تعالى فى أوامر أخرى تكون قـد أشـركنا فى طاعه الله تعالى أمرا آخر وخرجنا عن عنوان التوحيـد فى الطاعه فلـذا الحذر الحذر من الوقوع فى الشـرک، وهذا لا يتم إلا من خلال مخالفه الشيطان والابتعاد عن المقدمات التى تفضى إلى معصيه الله تعالى فضلا عن نفس المعصيه والتمسک بأوامر الله تعالى ونواهيه.

۱- تحف العقول: ص۳۹۹. ميزان الحكه: ج۵، ص ۱۹۲۰، ح ۹۳۷۰.

۲- سوره لقمان، الآيه: ۱۳.

۳- سوره النساء، الآيه: ۵۹.

آثار طاعه الشیطان

لکل عمل أثر وضعی أو غیر وضعی، وهکذا طاعه الشیطان فإن لها آثاراً وخیمه وضعیه أو غیر وضعیه کما فی الزنا (علی سبیل المثال) الذی یقع فیه الإنسان نتیجه وسوسه الشیطان وتزیّنه للزانی والزانیه، نلاحظ أن الأثر الوضعی هو فساد الحرث والنسل والسقوط عن أعین الناس وغیرها من الآثار الوخیمه وأمّا الأثر الشرعی فهو الجلد لغیر المحصن والرجم للمحصن وغیر ذلک من الأمثله التی لها آثار وضعیه أو شرعیه أو غیر ذلک.

ولکی یتضح الأمر جلیا لابد من التأمل فیما ورد عن أهل بیت الحکمه والعصمه علیهم السلام.

قبل أن أشیر إلی آثار طاعه الشیطان التی وردت فی الروایات أرید أن ألخص ذلک فی هذه العباره المستقاه من الآیات والروایات ألا وهی (أن طاعه الشیطان توجب سخط الرحمن ودخول النیران فی الآخره، وضنک العیش وعدم راحه القلب والشقاء فی الدنیا) وباختصار أکثر (طاعه الشیطان شقاء الدنیا والآخره) ولکی نؤکد هذا المعنی لا بأس بالاطلاع علی الآیات والروایات التی أشارت إلیه وهی کما یلی:

۱ قوله تعالی:

(یَا بَنِی آَدَمَ لَا یَفْتِنَنَّکُمُ الشَّیْطَانُ کَمَا أَخْرَجَ أَبَوَیْکُمْ مِنَ الْجَنَّهِ یَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِیُرِیَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ یَرَاکُمْ هُوَ وَقَبِیلُهُ مِنْ حَیْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّیَاطِینَ أَوْلِیَاءَ لِلَّذِینَ لَا یُؤْمِنُونَ)(۱).

یبین لنا ما حصل لأبوینا رغم أنهما لم یطیعوه فی معصیه، إذ إنهما خالفا الأمر الإرشادی الذی أمرهما الله تعالی به إلا أن طاعه الشیطان أخرجتهما عن الجنه وما فیها

۱- سوره الأعراف، الآیه: ۲۷.

من روح وريحان إلى دنيا الألم والعذاب والكد والتعب.

٢ قوله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)(١).

يوضح أن اتباع الشيطان يوصل إلى الضلال بل الهلاك فى عذاب جهنم فى الدنيا والآخره.

٣ قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(٢).

يؤكد على أن الشيطان لا يريد للإنسان إلا أن يعيش قبيحا نجسا بعيداً عن كل ألوان الطهاره والحسن والجمال.

٤ قوله تعالى:

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)(٣).

تشير هذه الآيه الكريمه إلى خذلان الشيطان للإنسان الذى وقع فى إغرائه، وتصرح بأن طاعته قد تؤدى إلى الخروج عن الدين فى بعض الأحيان.

١- سوره الحج، الآيتان: ٣ و٤.

٢- سوره النور، الآيه: ٢١

٣- سوره الحشر، الآيه: ١۶.

۵ طاعه الشیطان توجب الوقوع فی الزلل والخوض فی الباطل، بل تلغی شخصیه المؤمن ویحل إبلیس بدلا عنها فی أفعالها وأقوالها وهذا ما أکده أمیر المؤمنین علیه السلام فی ذَمِّ أتْباعِ الشَّیْطانِ:

«اتَخِذُوا الشَّیْطانَ لأمْرِهِمْ مِلاَکاً، واتَّخَذَهُمْ لَهُ أشْراکاً، فَباضَ وفَرَّخَ فی صُدُورِهِم، وَدَبَّ وَدَرَجَ فی حُجُورِهِم، فَنَظَرَ بِأعْیُنِهِم، وَنَطَقَ بِألْسِنَتِهِم، فَرَکِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَیَّنَ لَهُمْ الخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِکَهُ الشَّیْطانُ فی سُلطانِهِ، وَنَطَقَ بِالباطِلِ عَلی لِسانِهِ!»(۱).

۶ طاعه إبلیس توجب الوقوع فی الجرائم والکبائر حتی تصل إلی درجه الکفر کما فی قول الإمام علی علیه السلام:

«إنَّ رَجُلاً کانَ یَتَعَبَّدُ فی صَوْمِعَهٍ، وإنَّ امرأهً کانَ لَها إخْوَهٌ فَعَرَضَ لَها شَیْءٌ فَأتَوهُ بِها، فَزَیَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَوَقَعَ عَلَیها، فَجاءَهُ الشَّیْطانُ فَقالَ: أقْتُلْها فَإنَّهُم إنْ ظَهَرُوا عَلَیْکَ افْتَضَحْتَ، فَقَتَلَها ودَفَنَها، فَجاؤوهُ فَأخَذُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ، فَبَینَما هُم یَمْشونَ إذْ جاءَهُ الشَّیْطانُ فقالَ: إنّی أنا الذی زَیَّنْتُ لَکَ فاسْجُدْ لی سَجْدَهً أُنْجِیکَ، فَسَجَدَ لَهُ، فذلِکَ قَولُهُ:

(کَمَثَلِ الشَّیْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اکْفُرْ فَلَمَّا کَفَرَ قَالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکَ إِنِّی أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِینَ) (۲)»(۳).

۷ طاعه إبلیس توجب الاتصاف بکل رذیله کالتکبر والحسد والبغی کما ورد عن الإمام الصادق علیه السلام:

۱- نهج البلاغه: الخطبه ۷. میزان الحکمه: ج۵، ص۱۹۲۲، ح۹۳۸۱.

۲- سوره الحشر، الآیه: ۱۶.

۳- الدرّ المنثور: ج۸، ص۱۱۶. میزان الحکمه: ج۵، ص۱۹۲۲ ۱۹۲۳، ح۹۳۸۳.

«يَقُولُ إِبْلِيسُ لِجُنُودِهِ: أَلقُوا بَيْنَهُمْ الحَسَدَ وَالبَغْىَ؛ فَإِنَّهُما يَعْدِلانِ عِنْدَ اللهِ الشِّرْكَ»(۱).

۸ أخطر ما يقع فيه الإنسان بعد طاعته للشيطان هو نسيان ربه ثم الوقوع فى الخسران المبين كما فى قوله تعالى:

(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)(۲).

۹ اتباع الشيطان يوجب ضروره التابع من أوليائه وحزبه فينالهم الخوف كما فى قوله تعالى:

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)(۳).

أسئله مهمه

السؤال: ما مقدار حدود سلطه الشيطان على الإنسان؟

الجواب: ليس للشيطان سلطه أكثر من التزيين والتسويل والوسوسه والنزغ، أى لا يجبر الإنسان على ارتكاب المعاصى ولا يسلبه الاختيار فى الأفعال وهذا ما جاء فى لسان الآيات والأحاديث التاليه:

۱ آيه تشير إلى النزغ أى الإغراء بين الناس وحمل بعضهم على بعض كما فى قوله تعالى:

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(۴).

۱- الكافى: ج۲، ص۳۲۷، ح۲. ميزان الحكمه: ج۵، ص۱۹۲۷، ح۹۳۹۳.
۲- سوره المجادله، الآيه: ۱۹.
۳- سوره آل عمران، الآيه: ۱۷۵.
۴- سوره الأعراف، الآيه: ۲۰۰.

٢ آیه تشیر إلی إظهار القبیح حسنا فیتصوره الإنسان نفعا فیقع فیه کما فی قوله تعالی:

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(١).

٣ آیه تشیر إلی الوسوسه وأثرها القبیح کما فی قوله تعالی:

(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)(٢).

۴ آیه تشیر إلی التسویل کما فی قوله تعالی:

(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ)(٣).

السؤال: ما هی الوسائل التی یتخذها الشیطان لإیقاع الإنسان فی المعاصی أو الکفر؟

الجواب: الوسائل کثیره وقد ذکر منها أمیر المؤمنین علیه السلام ثلاث فتن هی بمثابه أصول الفتن لیفتتن بها الإنسان فیقع فی معصیه الله تعالی:

«الفِتَنُ ثَلَاثٌ: حُبُّ النِّساءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطانِ، وشُرْبُ الخَمْرِ وَهُوَ فَخُّ الشَّيْطانِ، وحُبُّ الدِّينارِ والدِّرْهَمِ وهُوَ سَهْمُ الشَّيْطانِ»(۴).

السؤال: ما هو ردنا علی الذی یلقی باللوم علی الشیطان عند وقوعه فی المعصیه؟

١- سوره الأنفال، الآیه: ۴٨.

٢- سوره طه، الآیه: ١٢.

٣- سوره محمد، الآیه: ٢۵.

۴- کنز العمال: ٣٠٨٨٣. میزان الحکمه: ج۵، ص ١٩٢١، ح٩٣٧۶.

الجواب: إن إلقاء اللوم على الشيطان هو هروب من المسؤوليه وعدم الاعتراف بالتقصير، لما تقدم من أن إبليس ليس له إلا التزيين والوسوسه دون الإجبار على الفعل كما أن الشيطان يتبرأ من فعل الإنسان السيئ ويلقى باللائمه عليه كما فى قوله تعالى:

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(۱).

وردّ أمير المؤمنين عليه السلام على من يلعن الشيطان الذى أوقعه فى المعاصى بقوله:

«لَا تَسِبَّنَ إبليس (الشَّيْطانَ) فی العَلَنِ وَأنْتَ صَدیقُهُ فی السِّرِ»(۲).

السؤال: ما هو ردنا على من يقول أن شيطانه تغلب عليه فأوقعه فى المعصيه؟

الجواب: هذا تبرير يدل على التنصل من المسؤوليه ودفع التقصير عن النفس حيث إن الشيطان لا قدره له على المؤمن القوى لسببين هما:

ألف. ضعف كيد الشيطان كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(۳).

۱- سوره إبراهيم، الآيه: ۲۲.

۲- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ۲۰، ص۳۲۹، ح۷۶۷.

۳- سوره النساء، الآيه: ۱.

باء. إن المؤمن القوی هو الذی یجاهد الشیطان فینتصر علیه، وأمّا من یضعف أمام الشیطان ویستسلم له لا یعد من المؤمنین الأقویاء (والمؤمن القوی خیر من المؤمن الضعیف) ولذلک ینصحنا الإمام الکاظم علیه السلام فی وصیّته لِهشام:

«فَلَهُ (أی لإبلیس) فَلْتَشْتَدّ عَداوَتکَ، وَلاَ یَکُونَنَّ أصْبَرَ عَلی مَجاهَدَتِهِ لِهَلَکَتِکَ مِنْکَ عَلی صَبْرِکَ لِمُجاهَدَتِهِ؛ فَإنَّهُ أضْعَفُ مِنْکَ رُکناً فی قُوَّتِهِ، وَأقَلُّ مِنْکَ ضَرَراً فی کَثْرَهِ شَرِّهِ، إذا أنْتَ اعْتَصَمْتَ بِاللهِ فَقَدْ هُدِیتَ إلی صِراطٍ مُسْتَقیمٍ»(۱).

وفی روایه عن الإمام الکاظم علیه السلام لمّا سُئِلَ عن أوجب الأعداء مجاهده قال:

«أقْرَبُهُمْ إلَیْکَ وَأعَداهُمْ لَکَ... وَمَنْ یُحَرِّضُ أعْداءَکَ عَلَیْکَ، وَهُوَ إبلیسُ»(۲).

السؤال: لماذا ترک الله تعالی الشیطان یعبث بعباده؟

الجواب: نعلم أن هذه الدنیا هی دار امتحان واختبار ولکی یتحقق الثواب والعقاب فلابد من فتنه یفتتن بها المؤمن لکی یستحق أحد الأمرین من الثواب أو العقاب وهذا هو عین العدل الإلهی کما فی قوله تعالی:

(وَمَا کَانَ لَهُ عَلَیْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ یُؤْمِنُ بِالْآخِرَهِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِی شَکٍّ وَرَبُّکَ عَلَی کُلِّ شَیْءٍ حَفِیظٌ)(۳).

السؤال: ما هی الطریقه المثلی للتخلص من فتن الشیطان؟

۱- تحف العقول: ص ۴۰۰. میزان الحکمه: ج۵، ص۱۹۲۵، ح۹۳۸۷.

۲- تحف العقول: ص۳۹۹. میزان الحکه: ج۵، ص ۱۹۲۰، ح ۹۳۷۰.

۳- سوره سبأ، الآیه: ۲۱.

الجواب: الأمر واضح لكل ذی لب وهو أن الالتجاء إلی الله تعالی والتمسک بحبله والاستعاذه به خیر الطرق المنجیه من الشیطان الرجیم کما فی قوله تعالی:

(وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (۹۷) وَأَعُوذُ بِکَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)(۱).

وقوله تعالی:

(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)(۲).

وقوله تعالی:

(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُهَا أُنْثَی وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَی وَإِنِّی سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّی أُعِيذُهَا بِکَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)(۳).

وقوله تعالی:

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(۴).

وهذا ما أکده أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«أحْمَدُ اللهَ وَأسْتَعِينُهُ على مَداحِرِ الشَّيْطانِ وَمَزَاجِرِهِ (مَزاحِرِهِ)، وَالاعْتِصامِ مِنْ حَبائِلِهِ وَمَخاتِلِهِ»(۵).

السؤال: من هو الذی ینجو من إبلیس؟

الجواب: لا ینجو منه إلا العباد الذین یخشون الله تعالی ویعبدونه کأنما یرونه وهذا ما أشار إلیه قوله تعالی:

۱- سوره المؤمنون، الآیتان: ۹۷ و۹۸.

۲- سوره النحل، الآیه: ۹۸.

۳- سوره آل عمران، الآیه: ۳۶.

۴- سوره الأعراف، الآیه: ۲۰۰.

۵- نهج البلاغه: الخطبه ۱۵۱.

(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(۱).

وقوله تعالی:

(إِنَّ عِبَادِی لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغَاوِينَ)(۲).

وهذه العباده التی یجب أن یتصف بها من یرید النجاه من إبلیس بینها الإمام الصادق علیه السلام بقوله:

«قالَ إبْلیسُ: خَمْسَهُ (أشْیاءَ) لَیْسَ لی فیهِنَّ حِیلَهٌ وَسائِرُ النّاسِ فی قَبْضَتی: مَنِ اعْتَصَمَ بِاللهِ عَنْ نِیَّهٍ صادِقَهٍ وَاتَّکَلَ عَلَیْهِ فی جَمیعِ أمُورِهِ، وَمَنْ کَثُرَ تَسبیحُهُ فی لَیلِهِ وَنَهارِهِ، وَمَنْ رَضِیَ لأَخیهِ المؤْمِنِ بِما یَرْضاهُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ یَجْزَعْ عَلَی المُصیبَهِ حینَ تُصیبُهُ، وَمَنْ رَضِیَ بِما قَسَمَ اللهُ لَهُ وَلَم یَهْتَمَّ لِرِزْقِهِ»(۳).

وکما أشار الإمام الباقر علیه السلام إلی ضروره الخوف من الله تعالی خوفا حقیقیا بقوله:

«تَحَرَّزْ مِنْ إبْلیسَ بِالخَوْفِ الصّادِقِ»(۴).

وهناک طریقه سهله یتبعها العبد لیسلم من براثن إبلیس أشار إلیها الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«أکْثِرِ الدُّعاءَ تَسْلَمْ مِنْ سَوْرَهِ الشَّیْطانِ»(۵).

السؤال: إذا لم یکن لإبلیس سلطانٌ علی الذین آمنوا کما تصرح به الآیه الکریمه:

۱- سوره النحل، الآیه: ۹۹.

۲- سوره الحجر، الآیه: ۴۲.

۳- الخصال: ص۲۸۵، ح۳۷. میزان الحکمه: ج۵، ص۱۹۲۸، ح۹۴۰۱.

۴- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۱۶۴، ح۱. میزان الحکمه: ج۵، ص۱۹۲۸، ح۹۴۰۲.

۵- بحار الأنوار: ج۷۸، ص۹، ح۶۴. میزان الحکمه: ج۵، ص۱۹۲۸، ح۹۴۰۳.

(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (۱).

كيف نفسر تعرض بعض المؤمنين لأضرار إبليس؟

الجواب:

إن سلطه إبليس محصوره بالجانب المادى أى لا يستطيع أن يلحق الضرر إلا بالجنبه الماديه من الإنسان دون الجنبه المعنويه، أى أن دينه وعقائده مصونه من قبل الله سبحانه وتعالى وهذا ما يصرح به الإمام الصادق عليه السلام:

«يُسَلَّطُ وَاللهِ مِنَ المؤْمِنِ على بَدَنِهِ وَلاَ يُسَلَّطُ على دِينِهِ، قَدْ سُلِّطَ عَلى أَيُّوبَ عليه السلام فَشَوَّه خَلْقَهُ وَلَمْ يُسَلَّطْ عَلى دِينِهِ»(۲).

وقفه تأمل

أمرنا الله سبحانه أن نتدبر القرآن الكريم لكى نقف على روائعه الأدبيه وحقائقه العلميه وبواطنه وأسراره الغيبيه، وبما أننا غير معصومين من الخطأ أو الاشتباه لابد أن نستعين بمن هو معصوم من ذلك لكى يدلنا على ما هو صائب وصحيح، ولذا عند تأملنا وتدبرنا لقوله تعالى:

(إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (۳).

لابد أن نستعين بقول الإمام الصادق عليه السلام لنقف على حدود سلطان الشيطان على الإنسان فيقول الإمام عليه السلام:

«يُسَلطُ وَاللهِ مِنَ المؤْمِنِ عَلى بَدَنِهِ وَلاَ يُسَلطُ عَلى دِينِهِ، قَدْ سُلِّطَ عَلى أَيُّوبَ عليه السلام فَشَوَّه خَلْقَهُ وَلَمْ يُسَلَّطْ عَلى دِينِهِ».

۱- سوره النحل، الآيه: ۹۹.

۲- الكافى: ج۸، ص۲۸۸، ح۴۳۳. ميزان الحكمه: ج۵، ص۱۹۲۹، ح۹۴۰۵.

۳- سوره الحجر، الآيه: ۴۲.

وبعد معرفه حدود سلطه الشيطان يتضح لنا أن الشيطان لا يتسلط إلّا على الجانب المادى للمؤمن بإذن الله تعالى لحكمه يريدها سبحانه، وأمّا الجانب المعنوى لا يصل إليه إبليس.

فلذا أقول:... الخ.

إن العباد على رتب متفاوته فى العبوديه فمنهم من هو خطاء ومنهم من هو معصوم، والمعصومون فضل بعضهم على بعض كما فى قوله تعالى:

(وَرَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِی السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِیِّینَ عَلَی بَعْضٍ وَآتَیْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)(۱).

فلا سلطه لإبليس على المعصومين مطلقا، كما لا سلطه له إلّا على بعض العباد الذين اتبعوه باختيارهم، فزاد فى غوايتهم بتسلطه عليهم فصاروا أتباعا له بل صار بعضهم من جنده الذين يستخدمهم لإغواء الناس، وهناك شرح مفصل موكول إلى كتب التفسير فراجع.

۱- سوره الإسراء، الآيه: ۵۵.

الخطبه السابعه

اشاره

وفیها یصف رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، ویوبّخ معاویه، ویستنکر علیه ظلمه، ویدحض أباطیله، ویحذّره سوء منقلبه.

نص الخطبه

اشاره

(أمّا بَعْدُ، یا مُعاوِیَهُ! فَلَنْ یُؤَدِّی الْقائِلُ وَإنْ أطْنَبَ فی صِفَهِ الرَّسُولِ صَلّی اللهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم مِنْ جَمیعِ جُزْءاً، وَقَدْ فَهِمْتُ ما لَبِسْتَ بِهِ الْخَلَفَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ مِنْ إیجازِ الصِّفَهِ وَالتَّنْکُّبِ عَنْ إسْتبْلاغِ الْبَیْعَهِ، وَهَیْهاتَ هَیْهاتَ یا مُعاوِیَهُ! فَضَحَ الصُّبْحُ فَحْمَهَ الدُّجی وَبَهَرَتِ الشَّمْسُ أنْوارَ السُّرُجِ، وَلَقَدْ فَضَّلْتَ حَتّی أفْرَطْتَ، وَاسْتَأثَرْتَ حَتّی أجْحَفْتَ، وَمَنَعْتَ حَتّی بَخِلْتَ، وَجُرْتَ حَتّی جاوَزْتَ، ما بَذَلْتَ لِذی حَقٍّ مِنْ أتَمِّ حَقِّهِ بِنَصیبٍ حَتّی أخَذَ الشَّیْطانُ حَظَّهُ الأوْفَرِ، وَنَصیبَهُ الأکْمَلِ، وَفَهِمْتُ ما ذَکَرْتَهُ عَنْ یَزیدَ مِنْ اکْتِمالِهِ وَسِیاسَتِهِ لأُمَّهِ مُحَمَّدٍ، تُریدُ أنْ تُوهِمَ النّاسَ فی یَزیدَ، کأنَّکَ تَصِفُ مَحجُوباً، أوْ تَنْعَتُ غائِباً، أوْ تُخْبِرُ عَمّا کانَ مِمّا احْتَوَیْتَهُ بِعِلْمٍ خاصٍّ وَقَدْ دَلَّ یَزید مِنْ نَفْسِهِ عَلی مَوْقِعِ رَأْیِهِ، فَخُذْ لِیَزیدَ فیما أخَذَ بِهِ مِنْ اسْتِقْرائِهِ الْکِلابَ الْمُهارَشَهَ عِنْدَ

التَحارُشِ، وَالْحمامِ السِّبْقِ لِأَتْرابِهِنْ، وَالقِيناتِ ذَواتِ الْمَعازِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلاهی، تَجِدُهُ ناصِراً، وَدَعْ عَنْکَ ما تُحاوِلُ.

فَما أغناکَ أنْ تَلْقی اللهَ جَورَ هذَا الْخَلْقِ بِأَكْثَرَ مِمّا أَنْتَ لاقِيهِ، فَوَ اللهِ ما بَرِحْتَ تُقَدِّرُ باطِلًا فی جَوْرٍ، وَحَنَقًا فی ظُلْمٍ، حَتّی مَلأتَ الأسقِيَةَ، وَما بَينَکَ وَبَيْنَ الْموتِ إلّا غَمْضَةٌ، فَتَقْدِمَ عَلی عَمَلٍ مَحفوظٍ فی يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَلاتَ حينَ مَناص، وَرَأَيْتُکَ عَرَضْتَ بِنا بَعْدَ هذا الأمْرِ، وَمَنَعْتَنا عَنْ آبائِنا، وَلَقَدْ لَعَمْرُ اللهِ أوْرَثَنا الرَّسُولُ صَلّی اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وِلادَةً، وَجِئْتَ لَنا بِما حَجَجْتُم بِهِ القائِمَ عِنْدِ مَوْتِ الرسولِ، فَأذْعَنَ لِلحُجَّةِ بِذلِکَ، وَرَدَّهُ الإيمانُ إلَی النِّصْفِ، فَرَكِبْتُمُ الأعالِيلَ، وَفَعَلْتُمُ الأفاعيلَ، وَقُلْتُمْ: کانَ وَيَكُونُ، حَتّی أتاکَ الأمْرُ يا مُعاوِيَةُ مِنْ طَريقٍ کانَ قَصْدُها لِغَيرِکَ، فَهُناکَ فَاعْتَبِرُوا يا أولِی الأبْصارِ، وَذَكَرْتَ قِيادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بِعَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلّی اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وَتَأميرَهُ لَهُ، وَقَدْ کانَ ذلِکَ، وَلِعَمْرِو بْنِ العاصِ يَوْمَئِذٍ فَضيلَةٌ بِصُحْبَهِ الرَّسُولِ وَبَيْعَتِهِ لَهُ، وَما صارَ لِعَمْرٍو يَوْمَئِذٍ حَتّی أنِفَ الْقَوْمُ إمْرَتَهُ، وَكَرِهُوا تَقْديمَهُ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ أفْعالَهُ فَقالَ صَلّی اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: لا جَرَمَ مَعْشَرَ المُهاجِرينَ لا يَعْمَلُ عَلَيْكُم بَعدَ اليَوْمِ غَيْری.

فَكَيْفَ تَحْتَجُّ بِالْمَنْسُوخِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ فی أوْكَدِ الأحْوالِ وَأوْلاها بِالْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوابِ؟ أمْ كَيْفَ صاحَبْتَ بِصاحِبٍ تابِعٍ وَحَوْلُکَ مَنْ لا يُؤْمِنُ فی صُحْبَتِهِ، وَلا يُعْتَمَدُ فی دينِهِ وَقَرابَتِهِ، وَتَتَخَطّاهُم إلی مُسْرِفٍ مَفْتُونٍ، تُريدُ أنْ تَلْبِسَ الناسَ شُبْهَةً يَسعَدُ بِهَا الْباقِی فی دُنْياهُ، وَتشقی بِها فی آخِرَتِکَ، إنَّ هذا لَهُوَ الْخَسْرانُ الْمُبينُ، وأستَغْفِرُ اللهَ لی وَلَكُمْ).

المعنی العام

(أمّا بَعْدُ، یا مُعاوِیَهُ! فَلَنْ یُؤَدِّی الْقائِلُ وَإنْ أطْنَبَ فی صِفَهِ الرَّسُولِ صَلّی اللهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم مِنْ جَمیعِ جُزْءاً، وَقَدْ فَهِمْتُ ما لَبِسْتَ بِهِ الْخَلَفَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ مِنْ إیجازِ الصِّفَهِ وَالتَّنَکُّبِ عَنْ اسْتِبْلاغِ الْبَیْعَهِ، وَهَیْهاتَ هَیْهاتَ یا مُعاوِیَهُ! فَضَحَ الصُّبْحُ فَحْمَهَ الدُّجی وَبَهَرَتِ الشَّمْسُ أنْوارَ السُّرُجِ، وَلَقَدْ فَضَّلْتَ حَتّی أفْرَطْتَ، وَاسْتَأْثَرْتَ حَتّی أجْحَفْتَ، وَمَنَعْتَ حَتّی بَخِلْتَ، وَجُرْتَ حَتّی جاوَزْتَ، ما بَذَلْتَ لِذی حَقٍّ مِنْ أتَمِّ حَقِّهِ بِنَصیبٍ حَتّی أخَذَ الشَّیْطانُ حَظَّهُ الأوْفَرِ، وَنَصیبَهُ الأکْمَلِ، وَفَهِمْتُ ما ذَکَرْتَهُ عَنْ یَزیدَ مِنْ اکْتِمالِهِ وَسِیاسَتِهِ لأُمَّهِ مُحَمَّدٍ، تُریدُ أنْ تُوهِمَ النّاسَ فی یَزیدَ، کأنَّکَ تَصِفُ مَحجُوباً، أوْ تَنْعَتُ غائِباً، أوْ تُخْبِرُ عَمّا کانَ مِمّا احْتَوَیْتَهُ بِعِلْمٍ خاصٍّ وَقَدْ دَلَّ یَزیدُ مِنْ نَفْسِهِ عَلی مَوْقِعِ رَأْیِهِ، فَخُذْ لِیَزیدَ فیما أخَذَ بِهِ مِنْ اسْتِقْرائِهِ الْکِلابَ الْمُهارَشَهَ عِنْدَ التَحارُشِ، وَالْحَمامَ السِّبْقِ لأتْرابِهِنْ، وَالقِیناتِ ذَواتِ الْمَعازِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلاهی، تَجِدُهُ ناصِراً، وَدَعْ عَنْکَ ما تُحاوِلُ).

أما بعد: أمر یقال فی الخطبه.

یا معاویه: اسم لکلبه عوت، فلن یوصل الواصف وإن بالغ وأکثر فی نعت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم جزءا من صفاته، وقد علمت وعرفت ما سترت به یزید من اختصار النعت والتنحی عن إیصال البیعه، هیهات هیهات یا معاویه، کشف الصبح سواد اللیل وظلمته، وأضاءت الشمس أنوار المصابیح، ولقد رجحت حتی جاوزت الحد، وخصصت نفسک دون غیرک حتی أوقعت الضرر الشدید یغیرک، وحرمت حتی حرصت أن لا تنفق، وظلمت حتی تعدیت الحدود، وما أعطیت لصاحب حق حقه وحصته حتی أخذ الشیطان نصیبه الأکبر، وحصته الأکثر وعرفت ما ذکرته

عن يزيـد من كماله وقابليته وإدارته وتـدبيره لأمه محمد، تريد أن تشـبه على الناس فى يزيد، كأنك تنعت شـخصا غير ظاهر، أو تصف غير حاضـر، أو تخبر عن شـخص أحطته بعلم خاص وقـد أظهر يزيـد من نفسه على مكانه عقله وقوه رأيه، فخذ ليزيد فيما أخـذ به من تتبعه الكلاـب المقـاتله عنـد التهيـج، والحمام التى تسابق مثيلاتهن، والجوارى ذوات الـدفوف والطبول وأنواع اللهو، تجده جديراً بذلك، واترك محاوله تجميله وإظهاره بالمظهر اللائق للخلافه.

(فَمـا أغناكَ أنْ تَلْقى الله جَورَ هـذَا الْخَلقِ بِأكْثَرَ مِمّا أنْتَ لاقِيهِ، فَوَ اللهِ ما بَرِحْتَ تُقَـدِّرُ باطِلاً فى جَوْرٍ، وَحَنَقاً فى ظُلْم، حَتّى مَلَأتَ الأسـقِيَهَ، وَمـا بَينَـكَ وَبَيْنَ الْموتِ إلاَّ غَمْضَهٌ، فَتَقْـدِمَ عَلى عَمَلٍ مَحفوظٍ فى يَوْم مَشـهُودٍ، وَلاتَ حينَ مَناص، وَرَأيْتُكَ عَرَضْتَ بِنا بَعْدَ هذا الأمْرِ، وَمَنَعْتَنا عَنْ آبائِنا، وَلَقَدْ لَعَمْرُ اللهِ أوْرَثَنا الرَّسُولُ صَـلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وِلادَهً، وَجِئْتَ لَنا بِها ما حَجَجْتُم بِهِ القائِمَ عِنْـدِ مَوْتِ الرسولِ، فَأذعَنَ لِلحُجَّهِ بِذلِكَ، وَرَدَّهُ الإيمانُ إلَى النِّصْفِ، فَرَكِبْتُمُ الأعالِيلَ، وَفَعَلْتُمُ الأفاعيلَ، وَقُلْتُمْ: كانَ وَيَكُونُ، حَتّى أتاكَ الأمْرُ يا مُعاوِيَهُ مِنْ طَريقٍ كانَ قَصْدُها لِغَيرِكَ، فَهُناكَ فَاعْتَبِرُوا يا أولِى الأبْصارِ، وَذَكَرْتَ قِيادَهَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بِعَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـلَّم وَتَأميرَهُ لَهُ، وَقَـدْ كانَ ذلِكَ، وَلِعَمْرِو بْنِ العاصِ يَوْمَئِذٍ فَضِـيلَهٌ بِصُـحْبَهِ الرَّسُولِ وَبَيْعَتِهِ لَهُ، وَما صارَ لِعَمْرٍو يَوْمَئِـذٍ حَتّى أنِفَ الْقَوْمُ إمْرَتَهُ، وَكَرهُوا تَقْديمَهُ، وَعَـدُّوا عَلَيْهِ أفْعـالَهُ فَقالَ صَـلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـلَّم: لا جَرَمَ مَعْشَرَ المُهاجِرينَ لا يَعْمَلُ عَلَيْكُم بَعدْ اليَوْمِ غَيْرى).

وأنت غنى عن أن تلقى الله تعـالى بظلم هـذه الأمه أكثر مما أنت فيه من الظلم، فيقسم الإمام عليه السـلام بالله تعالى ويقول إنك ظللت تُهيّء ما هو غير صحيح أصلا فى ميل عن العدل، وغيظا شديدا فى ظلم، حتى ملأت آوانى السقى كنايه عن أكل

الحرام، ومـا يفصـلک عن الموت إلا انطباق الجفن، فتأتی يوم القيامه مع عملک المحفوظ والموثّق، ولا ملجأ ولا مفر حينئـذ من قبـاحه الأعمال، ويخاطب الإمام عليه السـلام معاويه قائلا: إنک ظهرت بنا أی قال رسول الله صـلی الله عليه وآله وسـلم ماذا قال؟ ومع ذلک حجبتنا عن وراثه أبينا رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم الذی نسبنا إليه ولاده فسمانا أبنيه.

صفات الرسول الأکرم صلی الله عليه وآله وسلم

لاـ يمکن للقلم أن يوصف کمـال وجمال رسول الله صـلی الله عليه وآله وسـلم ولا يمکن للعقل أن يـدرک مقام ورتبه من کان قاب قوسين أو أدنی من ربه، لقد وصفه القرآن الکريم بصفه لا يحاط بها ولا يجدها أحد فقال عز من قائل:

(وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِيمٍ)(۱).

إلا أننا لا نسـتغنی عن ذکر کمال وجمال وجلال رسول الله صـلی الله عليه وآله وسلم من خلال ذکر ما ورد فی حقه من الآيات الکريمه والروايات الشريفه وباختصار شديد لما لرسول الله صلی الله عليه وآله وسلم من حضور وظهور ووضوح وبيان:

الآيات الکريمه

۱ أيه کريمه تؤکد أن محمداً صلی الله عليه وآله وسلم هو سفير الله تعالی وواسطه فيضه کما فی قوله تعالی:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُکَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِی وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِکَ مَثَلُهُمْ فِی التَّوْرَاهِ وَمَثَلُهُمْ فِی الْإِنْجِيلِ کَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَی عَلَی سُوقِهِ يُعْجِبُ

۱- سوره القلم، الآيه: ۴.

الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)(۱).

۲ آيه أخرى تبين صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم التى فضل بها على غيره من البشر كما فى قوله تعالى:

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)(۲).

۳ آيه ثالثه ترشد إلى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ليس إلهاً، بل هو بشر ركبت فيه الغرائز والشهوات والعقل والروح إلا أنه رسمى وارتفع حتى صار حبيبا لربه وخليلا لخالقه عز وجل كما ورد ذلك فى قوله تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)(۳).

۴ آيه رابعه تشير إلى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم له من المؤهلات بما جعله شاهداً على الناس مطلعاً على أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، ثم مارس دورا آخراً ألا وهو دور من يدخل السرور على قلب البشر ودور من يزرع الخوف فى ذلك القلب فقالت الآيه:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)(۴).

۵ آيه خامسه دلت وأيدت على أن هذا الوجود المقدس الذى اسمه (محمد)

۱- سوره الفتح، الآيه: ۲۹.

۲- سوره التوبه، الآيه: ۱۲۸.

۳- سوره الكهف، الآيه: ۱۱۰.

۴- سوره الأحزاب، الآيه: ۴۵.

صلی الله علیه وآله وسلم هو الداعی بالحق إلی الله تعالی بدلیل قوله (بإذنه) وهو النور الذی یستعان به فی ظلمات الجهل والشرک والکفر فقالت:

(وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)(۱).

وهناک آیات کثیره لا یسمح المقام بذکرها.

رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یصف نفسه

۱ عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال:

أنا أشْبَهُ النّاسِ بِآدَم، وَإبْراهیمُ أشْبَهُ النّاسِ بی خَلْقُهُ وَخُلُقُهُ، وَسَمّانیَ اللهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ عَشْرَهَ أسْماءٍ، وَبَیَّنَ اللهُ وَصْفی، وبَشَّرَنی عَلی لِسانِ کُلِّ رَسولٍ بَعَثَهُ اللهُ إلی قَوْمِهِ، وسَمّانی وَنَشَرَ فی التَّوْراهِ اسمی، وَبَثَّ ذِکْری فی أهلِ التَّوْراهِ والإنْجیلِ، وَعَلَّمَنی کِتابَهُ، وَرَفَعَنی فی سَمائِهِ، وَشَقَّ لی اسماً مِنْ أسمائِهِ، فَسَمّانی مُحَمَّداً وَهُوَ مَحْمودُ، وأخْرَجَنی فی خَیْرِ قَرْنٍ مِنْ أمَّتی، وَجَعَلَ اسمی فی التَّوْراهِ أُحَیْدٌ(۲)، فَبالتَّوْحِیدِ حَرَّمَ أجْسادَ أُمَّتی عَلَی النّارِ.

وَسَمّانی فی الإنجیلِ أحمَدَ، فأنا مَحْمودٌ فی أهلِ السَّماءِ، وجَعَلَ أُمَّتی الحامِدینَ، وَجَعَلَ اسمی فی الزَّبورِ ماحی، مَحا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بی مِنَ الأرْضِ عِبادَهَ الأوْثانِ، وَجَعَلَ اسمی فی القُرْآنِ مُحَمَّداً، فَأنا مَحْمُودٌ فی جَمیعِ القِیامَهِ(۳) فی فَصلِ القَضاءِ، لَا یَشْفَعُ أحَدٌ غَیْری.

۱- سوره الأحزاب، الآیه: ۴۶.

۲- قال شارح الشّفاء للقاضی عیاض: أُحَید بضمّ الهمزه، وفتح المهمله، وسکون التحتیّه، فدال مهمله، وقیل: بفتح الهمزه، وسکون المهمله، وفتح التحتیه، قال: سُمّیت أحید لأنی أحیدُ بأمّتی عن نار جهنّم، أی أعدِلُ بِهِم، انتهی. بحار الأنوار: ج۱۶، ص۹۳، ح۲۷.

۳- فی معانی الأخبار: ص۵۰، ح۱، جمیع أهل القیامه.

وَسَمّانی فی القِیامَهِ حاشِراً، یُحْشَرُ النّاسُ علی قَدَمی، وسَمّانی الموقِفَ، أُوقِفُ النّاسَ بَیْنَ یَدَیِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وسَمّانی العاقِبَ، أنا عَقِبُ النَّبیِّینَ لَیْسَ بَعْدِی رَسولٌ، وَجَعَلَنی رَسولَ الرَّحْمَهِ ورَسولَ التَّوْبَهِ ورَسولَ المَلاحِمِ والمُقْتَفِیَ(۱)، قَفَّیتُ النَّبیِّینَ جماعَهً، وأنا المُقِیمُ الکامِلُ الجامِعُ.

ومَنَّ علَیَّ رَبِّی وَقالَ لی: یا مُحَمَّدُ صَلّی اللهُ عَلَیکَ فَقَدْ أرسَلتُ کُلَّ رَسولٍ إلی اُمّتِهِ بِلِسانِها، وأرسَلْتُکَ إلی کُلِّ أحْمَرَ وأسْوَدَ مِنْ خَلْقی، ونَصَرْتُکَ بالرُّعْبِ الّذی لَمْ أنْصُرْ بِهِ أحداً، وأحْلَلْتُ لَکَ الغَنیمَهَ ولَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلَکَ، وأعطَیْتُکَ لکَ ولاُمّتِکَ کَنْزاً مِنْ کُنوزِ عَرْشی: فاتِحَهَ الکِتابِ، وخاتِمَهَ سُورَهِ البَقَرَهِ، وجَعَلْتُ لَکَ ولاُمّتِکَ الأرضَ کُلَّها مَسجِداً وتُرابَها طَهُوراً، وأعْطَیْتُ لَکَ ولاُمّتِکَ التَّکْبیرَ، وقَرَنْتَ ذِکْرَکَ بِذِکْری حَتّی لاَ یَذْکُرَنی أحَدٌ مِنْ اُمّتِکَ إلاّ ذَکَرَکَ مَعَ ذِکْری، فَطُوبی لَکَ یا مُحَمَّدُ ولاُمّتِکَ»(۲).

۲ عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لمّا سأله یهودی عن وجه تسمیته بمحمد وأحمد وأبی القاسم وبشیر ونذیر وداع قال:

«أمّا مُحَمَّدٌ فإنّی مَحْمُودٌ فی الأرْضِ، وأمّا أحْمَدُ فَإنّی مَحْمُودٌ فی السَّماءِ، وأمّا أبو القاسِمِ فإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ یَقْسِمُ یَوْمَ القِیامَهِ قِسْمَهَ النّارِ؛ فَمَنْ کَفَرَ بی مِنَ الأَوَّلینَ وَالآخِرینَ فَفی النّارِ، ویَقْسِمُ قِسمَهَ الجَنَّهِ؛ فَمَنْ آمَنَ بی وأقَرَّ بِنُبُوَّتی فَفی الجَنَّهِ.

وأمّا الدّاعی فَإنّی أدعُوَ النّاسَ إلی دِینِ رَبّی عَزَّ وَجَلَّ، وأمّا النَّذیرُ فَإنّی اُنْذِرُ بِالنّارِ مَنْ عَصانی، وأمّا البَشیرُ فَإنّی اُبَشِّرُ بالجَنَّهِ مَنْ أطاعَنی»(۳).

۱- فی معانی الأخبار: ص ۵۰، ح ۱، المقفّی.

۲- علل الشرائع: ص۱۲۷، ح۳. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۱۹۸ ۴۱۹۹، ح ۱۹۷۴۱.

۳- معانی الأخبار: ص۵۲، ح۲. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۱۹۹، ح۱۹۷۴۲.

۳ قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

«أنا أدیبُ اللهِ وَعَلیٌّ أدِیبی»(۱).

وعن الإمام علی علیه السلام أنه قال:

«قیلَ للنَّبیِّ صلی الله علیه وآله وسلم: هَلْ عَبَدْتَ وَثَناً قَطُّ؟ قالَ: لا، قالوا: فَهَلْ شَرِبْتَ خَمْراً قَطُّ؟ قالَ: لا، وما زِلتُ أعْرِفُ أنّ الّذی هُمْ عَلَیْهِ کُفْرٌ وَما کُنْتُ أدْری ما الکِتابُ وَلاَ الإیمانُ»(۲).

فلا یسعنی أن أعلق علی ما ورد عنه فی نفسه الکریمه صلی الله علیه وآله وسلم.

أمیر المؤمنین علیه السلام

اشاره

وصف أمیر المؤمنین أخاه صلی الله علیه وآله وسلم وصفا یدل علی جمال الظاهر بقوله:

«کانَ رَسُولُ اللهِ صلی الله علیه وآله وسلم أبْیَضَ اللّونِ مُشْرَباً حُمْرَهً، أدْعَجَ العَیْنِ، سَبْطَ الشَّعْرِ، کَثَّ اللِّحْیَهِ، سَهْلَ الخَدِّ، ذا وَفْرَهٍ، دَقیقَ المَسْرُبَهِ، کَأنَّ عُنُقَهُ إبْریقُ فِضَّهٍ، لَهُ شَعْرٌ مِنْ لَبَّتِهِ إلی سُرَّتِهِ یَجْری کالقَضیبِ، لَیْسَ فی بَطْنِهِ وَلاَ صَدْرِهِ شَعرٌ غَیْرُهُ، شَثْنُ الکَفِّ والقَدَم، إذا مَشی کَأنَّما یَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ، وإذا قامَ کَأنَّما یَنْقَلِعُ مِنْ صَخْرٍ، إذا التَفَتَ، التَفَتَ جَمیعاً، کَأنَّ عَرَقَهُ فی وَجْهِهِ اللُّؤلؤُ، ولَریحُ عَرَقِهِ أطْیَبُ مِنَ المِسْکِ الأذْفَرِ، لَیْسَ بالقَصیرِ ولا بالطَّویلِ، وَلاَ بالعاجِزِ ولاَ اللَّئیمِ، لَمْ أرَ قَبْلَهُ ولاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلّی اللهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم»(۳).

۱- مکارم الأخلاق: ج ۱، ص ۵۱، ح ۱۹. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۲۲۱، ح ۱۹۷۸۶.

۲- کنز العمال: ۳۵۴۳۹. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۲۲۴، ح ۱۹۸۱۸.

۳- الطبقات الکبری: ج ۱، ص ۴۱۰. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۲۲۴، ح ۱۹۸۲۱.

ووصفه وصفا آخر یدل علی کمال الباطن بقوله علیه السلام:

«طَبیبٌ دَوّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أحْكَمَ مَراهِمَهُ، وَأحْمی (أمْضی) مَواسِمَهُ، یَضَعُ ذلِكَ حَیْثُ الحاجَهُ إلَیْهِ، مِنْ قُلوبٍ عُمیٍ، وآذانٍ صُمٍّ، وألْسِنَهٍ بُكْمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوائِهِ مَواضِعَ الغَفْلَهِ ومَواطِنَ الحَیْرَهِ، لَمْ یَسْتَضیئُوا بِأضْواءِ الحِكْمَهِ، ولَمْ یَقْدَحوا بِزِنادِ العُلومِ الثّاقِبَهِ، فَهُمْ فی ذلِكَ كالأنْعامِ السّائِمَهِ، والصُّخُورِ القاسِیَهِ»(۱).

بعض کمالاته

۱ ذکر صاحب المناقب بعضاً من کمالات النبی صلی الله علیه وآله وسلم فقال:

(كانَ النَّبیّ صَلّی اللهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ المَبْعَثِ مَوْصوفاً بِعِشْرینَ خِصْلَهٍ مِنْ خِصالِ الأنْبیاءِ، لَوْ انْفَرَدَ واحِدٌ بِأحَدِها لَدَلَّ عَلی جَلَالِهِ، فَكَیفَ مَنِ اجْتَمَعَتْ فیهِ؟! كانَ نَبیّاً أمیناً، صادِقاً، حاذِقاً، أصیلاً، نَبیلاً، مَكیناً، فَصیحاً، نَصیحاً، عاقِلاً، فاضِلاً، عابِداً، زاهِداً، سَخِیّاً، كَمِیّاً، قانِعاً، مُتَواضِعاً، حَلیماً، رَحیماً، غَیوراً، صَبوراً، مُوافِقاً، مُرافِقاً، لَمْ یُخالِط مُنَجِّماً ولاَ كاهِناً، ولا عَیّافاً)(۲).

۲ ذکر صاحب الطبقات الکبری عن عائشه لمّا سُئِلَت عَن خُلقِ النبی صلّی اللهُ علَیه وآله وسلّم فی بَیتِهِ قالت:

(كانَ أحْسَنَ النّاسِ خُلُقاً، لَمْ یَكُنْ فاحِشاً ولاَ مُتَفَحِّشاً، ولاَ صَخّاباً فی الأسْواقِ، ولا یَجزی بِالسَّیِّئَهِ مِثْلَها، وَلكِنْ یَعْفو وَیَصْفَحُ)(۳).

۱– نهج البلاغه: الخطبه ۱۰۸. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۲۲۸، ح۱۹۸۳۵. ذکر السید عبد الله شبر فی کتابه (الأخلاق) وصفا لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم مأخوذا من لسان الحدیث فمن أراد المزید فلیراجع، ص۲۲ ۲۵.

۲– المناقب لابن شهر آشوب: ج ۱، ص۱۲۳. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۲۴۵، ح۱۹۸۹۷.

۳– الطبقات الکبری: ج ۱، ص۳۶۵. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص۴۲۴۵، ح۱۹۸۹۹.

۳ ذکر صاحب الغارات عن إبراهیم بن محمد مِن وُلدِ علی علیه السلام قال:

(کانَ علیٌّ علیهِ السّلامُ إذا نَعتَ النَّبیَّ صلّی اللهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ قالَ:

«هُوَ خاتَمُ النَّبیّینَ، أجْوَدُ النّاسِ کَفّاً، وأجْرَأُ النّاسِ صَدْراً، وأصْدَقُ النّاسِ لَهْجَهً وَأوْفَی النّاسِ ذِمَّهً، وَألْیَنُهُمْ عَریکَهً، وَأکْرَمُهُمْ عِشْرَهً، (مَنْ رَآهُ بَدیهَهً هابَهُ، ومَنْ خالَطَهُ مَعْرِفَهً أحَبَّهُ، یَقولُ ناعِتُهُ: لَمْ أرَ قَبْلَهُ ولاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ)»(۱).

معاویه

(أمّا بَعْدُ، یا مُعاوِیَهُ! فَلَنْ یُؤَدّی الْقائِلُ وَإنْ أطْنَبَ فی صِفَهِ الرَّسُولِ صَلّی اللهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم مِنْ جَمیعٍ جُزْءاً، وَقَدْ فَهِمْتُ ما لَبِسْتَ بِهِ الْخَلَفَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ مِنْ إیجازِ الصِّفَهِ وَالتَّنَکُّبِ عَنْ اسْتِبْلاغِ الْبَیْعَهِ، وَهَیْهاتَ هَیْهاتَ یا مُعاوِیَهُ! فَضَحَ الصُّبْحُ فَحْمَهَ الدُّجی وَبَهَرَتِ الشَّمْسُ أنْوارَ السُّرُجِ، وَلَقَدْ فَضَّلْتَ حَتّی أفْرَطْتَ، وَاسْتَأثَرْتَ حَتّی أجْحَفْتَ، وَمَنَعْتَ حَتّی بَخِلْتَ، وَجُرْتَ حَتّی جاوَزْتَ، ما بَذَلْتَ لِذی حَقٍّ مِنْ أتَمِّ حَقِّهِ بِنَصیبٍ حَتّی أخَذَ الشَّیْطانُ حَظَّهُ الأوْفَر، وَنَصیبَهُ الأکْمَلِ، وَفَهِمْتُ ما ذَکَرْتَهُ عَنْ یَزیدَ مِنْ اکْتِمالِهِ وَسِیاسَتِهِ لأمَّهِ مُحَمَّدٍ، تُریدُ أنْ تُوهِمَ النّاسَ فی یَزیدَ، کَأنَّکَ تَصِفُ مَحجُوباً، أوْ تَنْعَتُ غائِباً، أوْ تُخْبِرُ عَمّا کانَ مِمّا احْتَوَیْتَهُ بِعِلْمٍ خاصٍّ وَقَدْ دَلَّ یَزیدُ مِنْ نَفْسِهِ عَلی مَوْقِعِ رَأیِهِ، فَخُذْ لِیَزیدَ فیما أخَذَ بِهِ مِنْ اسْتِقْرائِهِ الْکِلابَ الْمُهارَشَهَ عِنْدَ التَحارُشِ، وَالْحَمامِ السِّبْقِ لأتْرابِهِنْ، وَالقِیناتِ ذَواتِ الْمَعازِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلاهی، تَجِدُهُ ناصِراً، وَدَعْ عَنْکَ ما تُحاوِلُ).

قبل الخوض فی شخصیه معاویه لا بأس أن نشیر إلی بعض العوامل المحیطه بهذه

۱- الغارات: ج ۱، ص ۳۶۴. میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۴۲۴۶، ح ۱۹۹۰۳.

الشخصیه التی شقت الأمه شقتین، شق بقی ثابتا مرابطا علی الحق صابرا علی إیذاء أصحاب الباطل، مستیقظا لألاعیبهم ومکائدهم، وشق انطلت علیه تلک الحیل والألاعیب فانساق وراء الباطل رغم وضوحه وترک الحق الذی لا ریب فیه.

ومن العوامل التی کان لها الأثر الکبیر فی صنع هذه الشخصیه القبیحه ما یلی:

أولا: العامل التربوی

اشاره

ورث معاویه من أبیه أبی سفیان الحقد والعداء للإسلام الذی أطاح بعروش المشرکین وسیاده الجاهلیه الأولی، وورث من أمه هند التحریض والدعوه إلی قتل النبی وبنی هاشم بل إلی قتل جمیع المسلمین، ونشأ معاویه بین أحضان أسره رجالها جردوا سیوفهم وألبوا الرجال علی قتل النبی صلی الله علیه وآله وسلم ونساؤها حملت الحطب ودقت الدفوف للتحریض والمحاربه لنبی الإسلام صلی الله علیه وآله وسلم ونهجه.

ولکی نضع الأمور جلیه بین یدی القارئ الکریم لابد أن نعرض بعض الصور القبیحه لأسره معاویه التی کان لها الأثر الأکبر علی نشأته:

قال أبو سفیان: (یا بنی أمیه تلاقفوها تلقف الکره، فو الذی یحلف به أبو سفیان ما من جنه ولا نار).

انطلق أبو سفیان إلی قبر سید الشهداء حمزه، فرکله برجله وقال: یا أبا عماره، إن الأمر الذی اجتلدنا علیه بالسیف أمس فی ید غلماننا یتلعبون به)(۱).

هند

یکفیها عارا أنها آکله الأکباد، والمحرضه علی الإسلام.

۱- معاویه أمام محکمه الجزاء، الشیخ مهدی القریشی: ص۲۹ ۳۰.

أم جميل

هی حماله الحطب التی لعنها القرآن الكريم وبقيت ملعونه إلی يوم يبعثون.

الحكم بن أبی العاص

يقول حويطب فی حديث له مع مروان بن الحكم: (والله لقد هممت بالإسلام غير مره، كل ذلك يعوقنی أبوك يقول: تضع شرفك، وتدع دين آبائك لدين محدث وتصيرنا بعار).

أبو جهل

يقول:

(تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، حتی إذا تجاثينا علی الركب، وكنا كفرسی رهان، قالوا: منا نبی يأتيه الوحی من السماء فمتی ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه)(١).

عتبه والوليد

قتلا بسيف الإسلام وتركا هندا ناقمه حاقده علی الإسلام وعلی نبيه صلی الله عليه وآله وسلم.

ثانيا: العامل الاقتصادی

كان للعامل الاقتصادی السقيم دور فی بناء شخصيه معاويه إذ كانت الحياه الاقتصاديه قائمه علی الربا والغزو الاستغلال، فللربا دور كبير فی سياده بعض الأسر القرشيه والتی منها أسره معاويه.

١- تفسير الميزان للسيد الطباطبائی: ج١٣، ص١٢٥. الدر المنثور للسيوطی: ج۴، ص١٨٧.

فلذا جاء فی التاریخ (أن معاویه باع سقایه من ذهب أو فضه بأکثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ینهی عن مثل هذا، إلا مثلاً بمثل، فقال معاویه: ما أری بمثل هذا بأساً، فاستاء أبو الدرداء من جراءته علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ورده لحکم من أحکام الإسلام، فاندفع یقول: من یعذرنی من معاویه أنا أخبره عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ویخبرنی عن رأیه، لا ساکنتک بأرض أنت بها، ثم ترک الشام وانصرف إلی یثرب)(۱).

ثالثا: العامل الأخلاقی

اشاره

من العوامل الرئیسیه فی تکوین شخصیه الإنسان هو العامل الأخلاقی، فلقد کانت الحیاه الأخلاقیه فی العصر الجاهلی لاسیما فی مکه فی غایه السوء والابتعاد عن الطهاره والفضیله لانتشار المنکر والفحشاء وتعاطی الخمر وإباحه الزنی والعدوان والظلم وإلی غیر ذلک من الفساد مما لا یخفی علی أحد، وفی هذه الأجواء نشأ معاویه فی أسره لا تتورع عن مثل هذه الأمور کما هو مشهور عن أبی سفیان فی تعاطیه الزنا مع سمیه أم زیاد وغیرها بل أن هناک روایات تاریخیه تشیر إلی زنا هند أم معاویه، وهذا مما لا یخفی علی قارئ منصف للتاریخ(۲).

بعد هذا العرض الذی قدمناه بین یدی القارئ الکریم والذی تظهر من خلاله خسه هذه الشخصیه الفاسده التی غیرت الإسلام وشوهت صورته الناصعه نرغب فی بیان رأی سید المرسلین محمد صلی الله علیه وآله وسلم الذی لا ینطق عن الهوی لکی نزداد بصیره فی شخصیه معاویه.

۱- حیاه الإمام الحسن علیه السلام: ج۲، ص۱۵۰. بحار الأنوار: ج۳۴، ص۳۸۳. السنن الکبری للبیهقی: ج۵، ص۲۸۰.

۲- معاویه أمام محکمه الجزاء، الشیخ مهدی القریشی: ص۲۴۳.

القول القاصم

لا يختلف اثنان فی کون محمـد بن عبـد الله بن عبـد المطلب هو رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم ولا یشک امرء فی أن هذا الرسول الکریم لا ینطق عن الهوی إن هو إلا وحی یوحی، فقول رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم هو قول الله سـبحانه وتعالی وحکمه حکم الله تعالی ومـدحه وذمه هو مـدح الله تعالی وذمه، ومن نال ذماً من الله تعالی ورسوله صـلی الله علیه وآله وسـلم لا شک فی هلاکه وخلوده فی نار جهنم، ولکی نقف علی رأی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وقوله فی معاویه نطلع علی ما یلی:

۱ رأی النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم أبـا سـفیان مقبلا علی حمار، ومعاویه یقوده، ویزیـد ابنه یسوقه، فقال صـلی الله علیه وآله وسلم:

«لعن الله القائد والراکب والسائق»(۱).

۲ أقبلت امرأه إلی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم أرادت التزویج بمعاویه فنهاها صـلی الله علیه وآله وسـلم عن ذلک وقال لها:

«إنه صعلوک»(۲).

۳ قال صلی الله علیه وآله وسلم لأصحابه:

«إنه یطلع من هذا الفج رجل یحشر علی غیر ملتی، فتشوق إلیه المسلمون، وإذا بمعاویه قد طلع منه»(۳).

۴ دعا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی معاویه وابن العاص فقال:

«اللهم ارکسهم فی الفتنه رکسا، اللهم دعهم إلی النار دعّاً»(۴).

۱- معاویه أمام محکمه الجزاء، الشیخ مهدی القریشی: ص۱۸. تاریخ الطبری: ج۱۱، ص۳۵۷.
۲- تاریخ الخمیس: ج۲، ص۲۹۶.
۳- تاریخ الطبری: ج۱۱، ص۳۵۷.
۴- معاویه أمام محکمه الجزاء، الشیخ مهدی القریشی: ص۱۸. وقعه صفین: ص۲۴۶. مسند أحمد بن حنبل: ج۴، ص۴۲۱.

۵ وهناک قول مشهور للنبی صلی الله علیه وآله وسلم قال فیه:

«إذا رأیتم معاویه یخطب علی منبری فاضربوا عنقه»(۱).

إلاـ أنّ، أهل التحریف والوضع حرّفوا الحـدیث إلی قوله صـلی الله علیه وآله وسـلم: (إنه مأمون أمین) ولا شک فی سـخافه هـذا التحریف وما أسهل الرد علیهم وهو کما یلی:

ألف: إن شخصیه معاویه ومساوئها تکذب أنه أمین مأمون.

باء: محاربته لأمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام تکذب هذا الحدیث.

جیم: لا یوجد داع أو مناسبه لکی یمدح النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم معاویه، کما أن هناک من الصـحابه من هو مأمون حقا وأمین صدقا وقد خطب فی الناس بعد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کأبی ذر أو عمار ولم یقل فی حقهما شیئا من ذلک.

دال: کیف یناقض قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بعضه بعضا، لقد تقدم ذم النبی صلی الله علیه وآله وسلم لمعاویه وهو ذم لا یقبل التغییر، فکیف یغیر النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم قوله فیمتدح معاویه؟

تدلیس معاویه

قول الإمام الحسین علیه السلام:

«تُریـدُ أنْ تُوهِمَ النّاسَ فی یَزیـدَ، کأَنَّکَ تَصِفُ مَحجُوباً، أوْ تَنْعَتُ غائِباً، أوْ تُخْبِرُ عَمّا کانَ مِمّا احْتَوَیْتَهُ بِعِلْمٍ خاصٍّ وَقَـدْ دَلَّ یَزید مِنْ نَفْسِهِ عَلی مَوْقِعِ رَأْیِهِ، فَخُذْ لِیَزیدَ فیما أخَذَ بِهِ مِنْ اسْتِقْرائِهِ الْکِلابَ الْمُهارَشَهَ عِنْدَ التَحارُشِ، وَالْحَمامِ السَّبْقِ لِأَتْرابِهِنْ، وَالقِیناتِ ذَواتِ الْمَعازِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلاهی، تَجِدُهُ ناصِراً، وَدَعْ

۱- بحار الأنوار للعلامه المجلسی: ج۳۳، ص۱۸۷. شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی: ج۴، ص۳۲.

عَنْکَ ما تُحاوِلُ».

یـدل دلاله صـریحه علی تـدلیس معاویه بإظهار یزیـد بمظهر حسن لکی ینال بـذلک رضا الناس ومن ثم ینتزع بیعتهم له، إلا أن هـذا التـدلیس لا یرفع من مقام یزیـد شـیئا لما فی یزیـد من خصال قبیحه ورذائل ینـدی منها جبین الإنسانیه وهذا ما ورد فی قول الإمام الحسین علیه السلام إذ یقول:

«وَقَدْ دَلَّ یَزیـد مِنْ نَفْسِهِ عَلی مَوْقِعِ رَأْیِهِ، فَخُذْ لِیَزیـدَ فیما أَخَذَ بِهِ مِنْ اسْـتِقْرائِهِ الْکِلابَ الْمُهارَشَهَ عِنْدَ التَحارُشِ، وَالْحَمامِ السِّبْقِ لِأَتْرابِهِنْ، وَالقِیناتِ ذَواتِ الْمَعازِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلاهی، تَجِدُهُ ناصِراً، وَدَعْ عَنْکَ ما تُحاوِلُ».

یا لها من صـفعه شدیـده علی فم معاویه الـذی أراد تزکیه یزیـد وتزویقه، ویا له من قطع لسان لکل من تسول له نفسه أن یمتدح الفاسقین الظلمه یدلس علی الناس حقیقتهم وقذارتهم.

عمرو بن العاص

أراد معاویه أن یرفع من عمرو بن العاص ویعطیه شأنا فالتجأ إلی ذکر صحبته مع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وبیعته له، إلا أن الإمام علیه السـلام قطع علیه الطریق بـذکر ما حصل من شـکوی ضد هذا الوزغ فجاء رد رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم سریعا إذ قال للأنصار:

«لا جرم معشر المهاجرین لا یعمل علیکم بعد الیوم غیری».

ولکی نرفـد القـارئ الکریـم بحقیقه عمرو بن العـاص لابـد أن نطلع علی هـذه الشخصـیه الانتهـازیه المتذبـذبه حسب مصـالحها ومنافعها من خلال هذه الصور:

۱ هذه الروایه التاریخیه تبین أن عمرو بن العاص یبحث عن الدنیا وحب الظهور ولا یرید أن یکون أحد المسـلمین بل یری نفسه فوق ذلک.

(وقال جویریه بن أسماء: حدثنی عبد الوهاب بن یحیی بن عبد الله بن الزبیر: ثنا أشیاخنا أن الفتنه وقعت، وما رجل من قریش له نباهه أعمی فیها من عمرو بن العاص، وقال: ما زال معتصماً بمکه لیس فی شیء مما فیه الناس، حتی کانت وقعه الجمل، فلما فرغت بعث إلی ولدیه عبد الله ومحمد، فقال: إنی قد رأیت رأیاً، ولستما باللذین تردانی عن رأیی، ولکن أشیرا علیَّ، إنّی رأیت العرب صاروا عیرین یضطربان، وأنا طارح نفسی بین جداری مکه، ولست أرضی بهذه المنزله، فإلی أی الفریقین أعمد؟ قال عبد الله: إن کنت لابد فاعلاً فإلی علیّ، قال: إنی إن أتیت علیّاً قال: إنما أنت رجل من المسلمین، وإن أتیت معاویه یخلطنی بنفسه، ویشرکنی فی أمره فأتی معاویه)(۱).

۲ هذه الروایه فیها تصریح من عمرو بحب الدنیا والمصالح الخاصه.

(ثم إنّ عمراً قال: یا معاویه، أحرقت کبدی بقصصک، أتری أنّا خالفنا علیاً لفضل منا علیه، لا والله، إن هی إلا الدنیا نتکالب علیها، وأیم الله لتقطعن لی قطعه من دنیاک، أو لأنابذنک، قال: فأعطاه مصر، یعطی أهلها عطاءهم، وما بقی فله)(۲).

۳ حوار یکشف خباثه عمرو بن العاص ودوره فی فتنه عثمان.

(قال جویریه بن أسماء أن عمرواً قال لابن عباس: یا بنی هاشم، أما والله لقد تقلدتم لقتل عثمان قرم الإماء العوارک، أطعتم فساق أهل العراق فی عتبه، وأجزرتموه مراق أهل مصر، وآویتم قتلته، فقال ابن عباس: إنما تکلم لمعاویه، وإنما تکلم عن رأیک، وإن أحق الناس أن لا یتکلم فی أمر عثمان لأنتما، أمّا أنت یا معاویه، فزینت له ما کان یصنع، حتی إذا حُصر طلب منک نصرک، فأبطأت عنه، وأحببت قتله وتربصت

۱- تاریخ الإسلام، الذهبی: ج۲، ص۲۶۷.
۲- المصدر السابق.

به، وأمّا أنت يا عمرو، فأضرمت المدينه عليه، وهربت إلى فلسطين تسأل عن أبنائه، فلما أتاك قتله أضافتك عداوه علىّ أن لحقت بمعاويه، فبعت دينك منه بمصر، فقال معاويه: حسبك يرحمك الله، عرضنى لك عمرو، وعرض نفسه)(۱).

۴ تصريحه بأنه من العصاه الذين ماتوا بأوزارهم:

(قال الزهرى: عن حميد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو أن أباه قال حين احتضر: اللهم أمرت بأمور ونهيت عن أمور، تركنا كثيراً مما أمرت، ووقعنا فى كثير مما نهيت)(۲).

۵ عاقبه عمرو بن العاص سيئه كبدايته وهذا ما يظهر الحوار التالى:

(قال الطحاوى: ثنا المزنى: سمعت الشافعى يقول: دخل ابن عباس على عمرو بن العاص وهو مريض، فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنياى قليلًا، وأفسدت من دينى كثيراً، فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفزت، ولو كان ينفعنى أن أطلب طلبت، ولو كان ينجينى أن أهرب هربت)(۳).

۶ عمرو ينجو بكشف عورته أمام سيد أهل الحياء والمعروف أمير المؤمنين عليه السلام.

(فلما سمع عمروٌ شعره قال: والله لو علمت أنّى أموتُ ألف مَوتَةٍ لَبارزتُ عليّاً فى أوَّلِ ما ألقاه، فلما بارزه طعنه علىٌّ فصرَعه، واتَّقاه عمروٌ بعَورته، فانصرف علىٌّ عنه.

وقال علىٌّ حين بدت له عورةُ عمروٍ فصرف وجهَهُ عنه(۴):

۱- تاريخ الإسلام، الذهبى: ج۲، ص۲۶۸.

۲- تاريخ الإسلام، الذهبى: ج۲، ص۲۶۹.

۳- تاريخ الإسلام، الذهبى: ج۲، ص۲۶۹.

۴- وقعه صفين، نصبر بن مزاحم المنقرى: ص۴۲۴.

ضربی ثُبی الأبطال فی المَشَاغِبُ(۱)

ضربُ الغلام البطلِ المُلاعِبِ

أین الضِّراب فی العَجاجِ الثائبِ

حین احمرار الحَدَقِ الثواقبِ

بالسَّیْفِ فی تَهتهه الکتائب(۲)

والصبر فیه الحمدُ للعواقب

وهناک الکثیر من الصور القبیحه التی تبین شخصیه عمرو بن العاص ترکناها للاختصار.

عاقبه الظالمین

اشاره

قول الإمام الحسین علیه السلام:

(فَما أغناکَ أنْ تَلْقی الله جَورَ هذَا الْخَلْقِ بِأکْثَرَ مِمّا أنْتَ لاقِیهِ، فَوَ اللهِ ما بَرِحْتَ تُقَدِّرُ باطِلاً فی جَوْرٍ، وَحَنَقاً فی ظُلْم، حَتّی مَلَأتَ الأسقِیَهَ، وَما بَینَکَ وَبَیْنَ الْموتِ إلاَّ غَمْضَهٌ، فَتَقْدِمَ عَلی عَمَلٍ مَحفوظٍ فی یَوْم مَشْهُودٍ، وَلاتَ حینَ مَناص، وَرَأیْتُکَ عَرَضْتَ بِنا بَعْدَ هذا الأمْرِ، وَمَنَعْتَنا عَنْ آبائِنا، وَلَقَدْ لَعَمْرُ اللهِ أوْرَثَنا الرَّسُولُ صَلّی اللهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وِلادَهً، وَجِئْتَ لَنا بِما حَجَجْتُم بِهِ القائِمَ عِنْدِ مَوْتِ الرسولِ، فَأذْعَنَ لِلحُجَّهِ بِذلِکَ، وَرَدَّهُ الإیمانُ إلَی النِّصْفِ، فَرَکِبْتُمُ الأعالِیلَ، وَفَعَلْتُمُ الأفاعیلَ، وَقُلْتُمْ: کانَ وَیَکُونُ، حَتّی أتاکَ الأمْرُ یا مُعاوِیَهُ مِنْ طَریقٍ کانَ قَصْدُها لِغَیرِکَ، فَهُناکَ فَاعْتَبِرُوا یا أولِی الأبْصارِ، وَذَکَرْتَ قِیادَهَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بِعَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلّی اللهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وَتَأمِیرَهُ لَهُ، وَقَدْ کانَ ذلِکَ، وَلِعَمْرِو بْنِ العاصِ یَوْمَئِذٍ فَضیلَهٌ بِصُحْبَهِ الْرَّسُولِ وَبَیْعَتِهِ لَهُ، وَما صارَ لِعَمْرٍو یَوْمَئِذٍ

۱- الثبه: الجماعه، والعصبه من الفرسان. وثبی: هی تبین جمع ثبه، مع الجمع الملحق بالسالم، کمزین وعضین، وحذفت النون للإضافه: وفی الأصل: (ضرب ثبا)، والوجه ما أثبت.

۲- التهتهه: مصدر قولهم تهته فی الشیء بالبناء للمفعول: أی ردد فیه، وقد تکون: (نهنهه) بنونین، وهو الکف والزجر.

حَتّی أنِفَ الْقَوْمُ إمْرَتَهُ، وَكَرِهُوا تَقْديمَهُ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ أفْعالَهُ فَقالَ صَلّی اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: لا جَرَمَ مَعْشَرَ المُهاجِرينَ لا يَعْمَلُ عَلَيْكُم بَعدْ اليَوْمِ غَيْرِی.

فَكَيْفَ تَحْتَجُّ بِالْمَنْسُوخِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ فی أوْكَدِ الأحْوالِ (الأحْكام) وَأوْلاها بِالْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوابِ؟ أمْ كَيْفَ صاحَبْتَ بِصاحِبٍ تابعٍ وَحَوْلُكَ مَنْ لا يُؤْمِنُ فی صُحْبَتِهِ، وَلا يُعْتَمَدُ فی دينِهِ وَقَرابَتِهِ، وَتَتَخَطّاهُم إلی مُسْرِفٍ مَفْتُونٍ، تُريدُ أنْ تَلْبِسَ النّاسَ شُبْهَةً يَسعَدُ بِهَا الْباقِی فی دُنْياهُ، وَتشقی بِها فی آخِرَتِكَ، إنَّ هذا لَهُوَ الْخَسْرانُ الْمُبينُ).

الظلم کلمه واضحه المفهوم والمعنی نظریا وعملیا لکثره من یتعاطها ولکثره وقوعها یومیا، فلذا لا حاجه لنا فی بیان معناها إلا أننا لابد أن نبین عاقبه الظلم وعاقبه الظالمین من خلال الآیات الکریمه والروایات الشریفه الآتیه:

۱ قوله تعالی:

(أَلَمْ تَرَ إِلَی الَّذِی حَاجَّ إِبْرَاهِیمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِیمُ رَبِّیَ الَّذِی یُحْیِی وَیُمِیتُ قَالَ أَنَا أُحْیِی وَأُمِیتُ قَالَ إِبْرَاهِیمُ فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ وَاللَّهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ)(۱).

یشیر إلی أن الظالم لا ینال شیئا من هدی الله تعالی وتوفیقاته بل یبقی فی عماه وغیه.

۲ قوله تعالی:

(وَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَیُوَفِّیهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا یُحِبُّ الظَّالِمِینَ)(۲).

۱- سوره البقره، الآیه: ۲۵۸.

۲- سوره آل عمران، الآیه: ۵۷.

يشير إلى أن الظالمين حرموا من محبه الله تعالى الذى بيده كل شىء ومنه الخير الحقيقى والفوز الصادق.

۳ قوله تعالى:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)(۱).

يشير بصراحه إلى عاقبه الظالمين التى هى الخسران المبين وإن كانوا بحسب الظاهر فائزين.

۴ قوله تعالى:

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(۲).

يشير إلى أن الظالمين فى شقاق بعيد.

۵ قوله تعالى:

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِىَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(۳).

آثار الظلم فى الدنيا

ورد فى الروايات والأحاديث الشريفه ما يشير إلى آثار الظلم وما يحل بالظالمين فى الحياه الدنيا قبل الحياه الآخره نذكر منها ما يلى:

۱ الظلم يوجب الخسران وضياع الجهد سدى لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

۱- سوره الأنعام الآيه: ۲۱.

۲- سوره الحج، الآيه: ۵۳.

۳- سوره هود، الآيه: ۴۴.

«الظُّلْمُ فی الدُّنْیا بَوارٌ، وَفی الآخِرَهِ دَمارٌ»(۱).

۲ الظلم یؤدی إلی الانزلاق إلی الهاویه والوقوع فی الباطل ویزیل العطاء الإلهی ویقضی علی الأمم مهما کانت قویه وشدیده کما فی قول الإمام علی علیه السلام:

«الظُّلْمُ یُزِلُّ القَدَمَ، وَیَسْلُبُ النِّعَمَ وَیُهْلِکُ الأُمَمَ»(۲).

۳ الظلم یؤدی إلی مقت الناس وکراهیتم ولعنتهم لأیام الظالم ولیالیه کما فی قول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إیّاکَ وَالظُّلْمَ؛ فَمَنْ ظَلَمَ کَرُهَتْ أیّامُهُ»(۳).

۴ یؤدی الظلم إلی فساد القلوب وقساوتها کما صرح بذلک رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله:

«إیّاکُمْ وَالظُّلْمَ؛ فَإنَّهُ یُخْرِبُ قُلُوبَکُمْ»(۴).

۵ یوجب الظلم ارتفاع النعم ونزول النقم بالظالم فلا یهنأ ولا یستقر کما ورد ذلک فی قول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«لَیسَ شَیْءٌ أدْعی إلی تَغْییرِ نِعْمَهِ اللهِ وَتَعْجِیلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إقامَهٍ عَلی ظُلْمٍ؛ فَإنَّ اللهَ سَمِیعُ دَعْوَهِ المُضْطَهِدِینَ (المَظْلومِینَ)، وهُوَ للظالِمِینَ بِالمِرصادِ»(۵).

۶ یؤدی إلی قصر العمر وسرعه الموت کما صرح بذلک سید المتقین علیه السلام بقوله:

۱- غرر الحکم: ۱۷۰۷. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۳۳۴، ح۱۱۳۷۴.

۲- غرر الحکم: ۱۷۳۴. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۳۳۴، ح۱۱۳۷۵.

۳- غرر الحکم: ۲۶۳۸. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۳۳۵، ح۱۱۳۸۸.

۴- کنز العمّال: ۷۶۳۹. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۳۳۶، ح۱۱۳۹۲.

۵- نهج البلاغه: الکتاب ۵۲. غرر الحکم: ۷۵۲۳. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۳۳۶، ح۱۱۳۹۵.

«مَنْ ظَلَمَ قُصِمَ عُمْرُهُ»(۱).

۷ الظلم يكون مرآه عاكسه لعيوب الظالم فيفتضح عند تتبع عيوبه وهذا ما أكده الإمام على عليه السلام بقوله:

«إنَّ البَغْيَ وَالزُّورَ يُوتِغانِ المَرْءَ فى دِينِهِ ودُنْياهُ، ويُبْدِيانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ»(۲).

۸ الظلم يوجب لعنه الله تعالى للظالم فى حالات عباده الظالم على وجه الخصوص كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلَيَّ: يا أخا المُرْسَلِينَ، يا أخا المُنْذِرينَ، أنْذِرْ قَوْمَكَ أنْ لاَ يَدْخُلُوا بَيْتاً من بيوتى إلاّ بِقُلوبٍ سَلِيمَهٍ وَألْسُنٍ صادِقَهٍ، وأيْدٍ نَقِيَّهٍ، وَفُروجٍ طاهِرَهٍ، ولاَ يَدْخُلُوا بَيْتاً مِنْ بُيوتِى ولِأَحَدٍ مِنْ عِبادِى عِنْدَ أحَدٍ مِنْهُم ظُلاَمَهٌ فَإنِّى ألْعَنُهُ ما دامَ قائماً بَيْنَ يَدَيَّ يُصَلِّى حَتَّى يَرُدَّ تلك الظُّلامَهَ إلى أهْلِها»(۳).

آثار الظلم فى الآخره

۱ إذا حشر الله تعالى عباده سيحشر منهم على نورهم وفى نورهم فيبصرون فلا يكونوا من العمى، وهناك من يحشر فى ظلمه لا يرى الحقيقه فلذا حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الظلم لأنه يؤدى إلى العمى والظلمه فقال لِرَجُلٍ يُحِبُّ أنْ يُحْشَرَ يَوْمَ القِيامَهِ فى النّورِ:

«اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإنَّهُ ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيامَهِ»(۴).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

۱- غرر الحكم: ۷۹۴۰. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۳۳۶، ح۱۱۳۹۶.

۲- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج۱۷، ص۱۲.

۳- كنز العمال: ۴۳۶۰۰. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۳۴۳ ۲۳۴۴، ح۱۱۴۴۳.

۴- الكافى: ج۲، ص۳۳۲، ح۱۱. ميزان الحكمه: ج۶، ص۲۳۳۷، ح۱۱۴۰۶.

«لَا تَظْلِمْ أحَداً، تُحْشَرْ يَوْمَ القِيامَهِ فى النّورِ»(۱).

۲ عند الحساب ووضع الموازين ونشر الصحف تظهر ثلاث حالات من الظلم، ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم يغفر وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول:

«الدَّواوينُ عِنْدَ اللهِ ثَلاثهٌ: دِيوانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً، ودِيوانٌ لا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً، ودِيوانٌ لا يَغْفِرُهُ اللهُ، فأمّا الدِّيوانُ الذى لا يَغْفِرُهُ اللهُ فالشِّرْكُ، قالَ اللهُ تعالى:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّهَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)(۲).

وَأمّا الدّيوانُ الذى لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً فَظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، مِنْ صَوْمِ يومٍ تَرَكَهُ، أو صَلاهً تَرَكَها، فإنَّ اللهَ يَغْفِرُ ذلكَ وَيَتَجاوَزُ إنْ شاءَ اللهُ.

وأمّا الدِّيوانُ الذى لا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً فَظُلْمُ العِبْادِ بَعْضَهُم بَعْضاً، القِصاصُ لَا مَحالَهَ»(۳).

۳ يؤكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن ظلم الناس له عاقبه وخيمه لا يتحملها الإنسان كما جاء ذلك عنه عليه السلام بقوله:

أمّا الظُّلْمُ الذى لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ العِبادِ بَعْضَهُمْ بَعْضاً، القِصاصُ هُناكَ شَدِيدٌ، لَيسَ هُوَ جَرْحاً بِالمُدى، ولَا ضَرْباً بِالسِّياطِ، ولكِنَّهُ ما يُسْتَصْغَرُ ذلِكَ مَعَهُ»(۴).

۱- الكافى: ج ۲، ص ۳۳۲، ح ۱۱. ميزان الحكمه: ج ۶، ص ۲۳۳۷، ح ۱۱۴۰۹.

۲- سوره المائده، الآيه: ۷۲.

۳- ميزان الحكمه: ج ۶، ص ۲۳۳۹، ح ۱۱۴۱۴. مسند أحمد: ج ۶، ص ۲۴۰. مستدرك الحاكم: ج ۴، ص ۵۷۶.

۴- ميزان الحكمه: ج ۶، ص ۲۳۳۹ ۲۳۴۰. نهج البلاغه: ج ۲، ص ۹۵. مستدرك الوسائل: ج ۱۲، ص ۱۰۴.

۴ یعیش الظالم یوم القیامه حسره شدیده وندامه مره تصل إلی حد أنه یعبر عنها بفعل حسی کما ورد ذلک فی قوله تعالی:

(وَیَوْمَ یَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَی یَدَیْهِ یَقُولُ یَا لَیْتَنِی اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِیلًا)(۱).

وأکده أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله:

«للظالِمِ غَداً یَکْفِیهِ عَضُّهُ یَدَیْهِ»(۲).

۱- سوره الفرقان، الآیه: ۲۷.

۲- بحار الأنوار: ج۷۷، ص۳۹۷، ح۱۸. میزان الحکمه: ج۶، ص۲۳۴۴، ح۱۱۴۴۶.

المحتويات

سمعه لا كسمعنا

البصير

هل هما من صفات الذات؟

آثار العمل الصالح فی الآخره

نصائح

أسئله مهمه

نصائح ضروریه

الخطبه السادسه: وفیها یُذکّر بفضائل أهل البیت علیهم السلام ویأمر باتّباعهم

نص الخطبه

فضل أهل البیت علیهم السلام

فضلهم فی القرآن الکریم

فضلهم علیهم السلام فی السنه النبویه

بحث عقائدی

العدل الثانی

۱ صحیح الترمذی

۲ القاموس المحیط

۳ مسند أحمد

۴ الطبقات الکبری لابن سعد

۵ المعجم الکبیر للطبرانی

۶ جامع الأصول

۷ مسند عبد بن حمید

۸ الدر المنثور

۹ الجامع الصغیر

۱۰ مصنف ابن أبی شیبه

۱۱ المستدرک علی الصحیحین

۱۲ کتاب السنه

ص: ۳۷۶

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذکر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیهٔ العمل.

نشاطات المؤسسهٔ:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامهٔ المسابقات فی مطالعهٔ الکتب

إقامهٔ المعارض الالکترونیهٔ: المعارض الثلاثیهٔ الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنهٔ الدینیهٔ والسیاحیهٔ

إنتاج الأفلام الکرتونیهٔ والألعاب الکمبیوتریهٔ

افتتاح موقع القائمیهٔ الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیهٔ وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلهٔ والاستفسارات الدینیهٔ والأخلاقیهٔ والاعتقادیهٔ والردّ علیها

تصمیم الأجهزهٔ الخاصهٔ بالمحاسبهٔ، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالهٔ القصیرهٔ ((sms

إقامهٔ الدورات التعلیمیهٔ الالکترونیهٔ لعموم الناس

إقامهٔ الدورات الالکترونیهٔ لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسهٔ وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمهٔ؛

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیهٔ للکتاب علی موقع القائمیهٔ ویمکن تحمیلها علی الأنظمهٔ التالیهٔ

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیهٔ والانجلیزیهٔ والفارسیهٔ

الکلمهٔ الأخیرهٔ

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فى طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.